سلسلة الدراسات اللغوية (8)

علم الصرف الصوتي

MORPHO - PHONOLOGY

الدكتور
عبدالقادر عبدالجليل
أستاذ مشارك
جامعة آل البيت



1998



بسم الله الرحمن الرحيم

وخَشِعتِ الأَصْواتُ للرّحمن فلا تَسْمَعُ إلاّ هَمْساً

وكذلك أنزلناه قُرآناً عربياً وصَرّفنا فيه من الوعيد
لَعَلّهُم يتّقون أو يُحدِثُ لَهُمْ ذِكْراً

صدق الله العظيم

الإهداء

إلى سيّدة العمر... زوجتي
التي أبحرت معي وهي تشدّ الحيازيم
وتصارع تيارات الموج الصاخب
وقد نذرت السنين روحاً تسبح في فضاء الغربة
هذا السِّفْر...
أغرودة ملأى بالحُبِّ

عبد القادر

الدكتور عبد القادر عبد الجليل

* أُستاذ مشارك
* دكتوراه فلسفة – جامعة Glasgow بريطانيا عام 1978.
* مختص في اللسانيات العربية – علم الأصوات الوظيفي.
* عضو الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب.
* عضو جمعية المترجمين العراقيين– عضو الاتحاد الدولي للمترجمين F.I.T.
* مارس التدريس في الجامعات العراقية والعربية منذ عام 1978 وحتى الآن.
* نشر أكثر من (11) بحثاً علمياً و(9) كتب في ميدان الدراسات اللسانية الحديثة.

1- اللغة بين ثنائية التوقيف والمواضعة – عمان 1997 .
2- البنية اللغوية في اللهجة الباهلية – عمان 1997 .
3- الدلالة الصوتية والصرفية في لهجة الإقليم الشمالي- عمان 1997 .
4- التنّوعات اللغوية – عمان 1997 .
5- المدارس المعجميّة – عمان 1997 .
6- الأصوات اللغويّة – عمان 1998 .
7- هندسة المقاطع الصوتية – عمان 1998 .
8- علم الصرف الصوتي – عمان 1998 .
9- المعجم المفصّل في علم الأصوات –(عربي– انجليزي) (انجليزي– عربي) – تحت الطبع – عمان 1998 .

* له ديوانا شعر: كبرياء الدفء وهواجس الطيور المهاجرة.
* شارك في العديد من المهرجانات الشعرية.

الرموز والمختصرات

Symboles and Abbreviations

س	⟸	دالة الصوت الصامت
ع	⟸	دالة الصوت الصائت القصير
ع ع	⟸	دالة الصوت الصائت الطويل.
O	⟸	دالة المقطع القصير المفتوح (س ع)
R	⟸	صفة المقطع القصير المفتوح
M	⟸	دالة المقطع المتوسط المغلق (س ع س)
B	⟸	صفة المقطع المتوسط المغلق
V	⟸	دالة المقطع المتوسط المفتوح (س ع ع)
T	⟸	صفة المقطع المتوسط المفتوح
X	⟸	دالة المقطع الكبير المغلق المزدوج النواة (س ع ع س)
Z	⟸	صفة المقطع الكبير المغلق المزدوج النواة
N	⟸	دالة المقطع الكبير المغلق (س ع س س)
Y	⟸	صفة المقطع الكبير المغلق
K	⟸	دالة المقطع المتوسط المزدوج الصامت المغلق (ع س س)
L	⟸	صفة المقطع المتوسط المزدوج الصامت المغلق.
S	⟸	دالة المقطع القصير المغلق (ع س)

H	⟸	صفة المقطع القصير المغلق
F	⟸	دالة المقطع فوق الكبير المغلق (س ع ع س س)
P	⟸	صفة المقطع فوق الكبير المغلق
E	⟸	دالة المقطع فوق الكبير المفتوح (س ع ع س س ع)
D	⟸	صفة المقطع فوق الكبير المفتوح
1	⟸	س
2	⟸	س س
3	⟸	ع
4	⟸	ع ع
a	⟸	علامة الطرد
/Λ/	⟸	علامة النبر الرئيسي
/–/	⟸	علامة النبر الثانوي
/W/	⟸	علامة النبر الضعيف
pf.	⟸	Prefixes السوابق (الصدور)
If.	⟸	Infixes الدواخل (الأحشاء)
Sf.	⟸	Suffixes اللواحق (الاعجاز).
A	⟸	رمز تحوّل اسم الفاعل.
Q	⟸	رمز تحوّل اسم المفعول.

C ⟸ رمز تحوّل الصفة المشبهة.

J ⟸ رمز تحوّل اسم التفضيل.

U ⟸ رمز تحوّل اسم الزمان.

I ⟸ رمز تحوّل اسم المكان.

G ⟸ رمز تحوّل اسم الآلة.

ϕ ⟸ صفة الاختزال الصوتي.

+ ⟸ علامة الإيجاب.

− ⟸ علامة السلب.

⟹ ⇑ ⟹ ⇓ = يقود إلى.

σ ⟸ بما أنّ

< > ⟸ دالة المقطع المغلق

$\overline{\sigma}$ ⟸ دالة المقطع المفتوح

المُثول أَمَامَ دائِرة الضَّوْءِ

أمَا وَقَدْ أصْغَيتُ مَسامعَ قلبي ..

وأمْهَدْتُ لِقَدمي ..

وأجْهَدْتُ نَفْسِي ..

وَجَالَسْتُ الصَّرفَ مُحَدِّثاً لا يكْذِبُ ..

وعايَنْتُ الصَّوتَ ناصحاً لا يَغُشُّ ..

فاسْتَنْصَحْتُ مَسْلكَهُما ..

وكُنْتُ مِنْ حَرَثَتِهِ ..

لا رَجْماً بظَنٍّ غَير مُصيبٍ ..

لأمْرٍ تشابَهتْ القُلُوبُ بهِ ..

وكِبْراً تَضايَقَتْ الصُّدورُ به ..

إنّما وُضوحُ رُؤيا وجَلاءُ فَجْر ..

حيث لا يُنبِّيءُ مِثْلُ خبير ..

أما وَقَد استوى الزَّرْع على عُودِهِ

وكُفيتْ المؤُونَةُ الطلَبَ ..

المُثول أَمَامَ دائِرة الضَّوْءِ

أَمَا وَقَدْ أصْغَيتُ مَسامعَ قلبي ..
وأَمْهَدْتُ لِقَدمي ..
وأَجْهَدْتُ نَفْسِيَ ..
وَجَالَسْتُ الصَّرفَ مُحَدِّثاً لا يَكْذِبُ ..
وعايَنْتُ الصَّوتَ ناصحاً لا يَغُشُّ ..
فاسْتَنْصَحْتُ مَسْلَكَهُما ..
وكُنْتُ مِنْ حَرَثَتِهِ ..
لا رَجْماً بظَنٍّ غير مُصيبٍ ..
لأَمْرٍ تشابَهَتْ القُلُوبُ بهِ ..
وكِبراً تضايَقَتْ الصُّدورُ به ..
إنّما وُضوحُ رُؤيا وجَلاءُ فَجْر ..
حيث لا يُنَبِّئُ مِثْلُ خبيرٍ ..
أما وَقَد استوى الزَّرْع على عُودِهِ
وكُفيتُ المؤُونَةُ الطلَبَ ..

وعُوفي النَّصُّ مِن علاج التَجربةِ ..
فَلَيس بَعْدَ بلُوغِ الغَايَةِ مُسْتَعْتَبٌ ..
وَقَدْ أخلَصْتُ الفِعْلَ لِعِلْمٍ هو أَرْجحُ ما وُزِنْ ..
مَقْبول في أَدْناهُ ..
مُوَسَّع في أَقْصاهُ ..
وقد أدْليتُ بِدَلْوي وَوَجَّهتُ وِجْهَتي ..
وسَعْيتُ إلى إحْكام التَّقْديرِ ..
ولَمْ أَتَعدَّ حُدودَ مَنْزِلَتِه ..
وكُنْتُ أُعالِجهُ دون رَيْث المُبْطيء ..
أُقيمُ الأوْدَ، وأَنْهَجُ الحُدودَ ..
وأَتَفَيَّأُ ظِلالَ الآراءِ ..
وأوصِلُ الأسْبابَ بِقرائِنِها
وأُقيمُ الرَّصَدَ ..
وحَسْبي أنّي نَهَجْتُ سَبيلَ العِلْم
اللّهُمَّ لا تؤاخِذْني بما يَقولونَ ..
واجْعَلْني أفْضَلَ مِمّا يَظُنّونَ ..

واغفر لي ما لا يَعْلَمونَ ..

يا مَنْ بَطَنَ خَفِيَّات الأُمورِ ..

اللّهُمَّ وَقَدْ بَسَطْت لي ، فيما لا أمْدَحُ بهِ غَيْرَكْ ..

وَلا أُثْني به على أحدٍ سِواكْ ..

أحْمَدك ساطحَ المِهادِ ..

ومُخْصِبَ النِّجادْ ..

يا مَنْ اضْطَمَّتْ عليه جوانحي ..

ووعَاهُ قلبي ..

وإليه مَصيرُ كُلِّ نَسَمَةٍ .

عبد القادر عبد الجليل

عمّان ٢٨ - رمضان ١٤١٨ هـ

المحتويات

القسم الأوّل

المعايير اللغويّة بين منطق الاستدلال والرؤيا الوصفية

القسم الثاني

أبنية الوحدات الصَّرفيّة وتحوّلاتها

القسم الأول

المعايير اللغويّة بين منطق الاستدلال والرؤيا الوصفية

يحدثنا ابن خلدون قائلاً :

«وخشي أهل العلوم منهم، أن تفسد تلك الملكة رأساً، ويطول العهد بها، فينغلق القرآن، والحديث على الفهوم، فاستنبطوا من مجاري كلامهم، قوانين لتلك الملكة مطّردة، شبه الكليّات والقواعد، يقيسون عليها سائر أنواع الكلام».(1)

وازدادت العربية نماءً ، وتتابعت منابع الدرس اللغوي، تدرُّ قدرة، وتمكناً في توظيف الرؤية العميقة لعلوم العربية.

ومن المعلوم أنّ تنظيم وبناء اللغة العربية الفونولوجي، يقوم على منظومة القوانين الصوتية، والصرفية، والدلالية وهي تقود الجوانب الائتلافية للعناصر الفونيمية، وقابليتها، وقدرتها على التشكيل، والتحقيق، والإظهار، والتداخل في التراكيب اللغوية. أثناء قيامها الفعلي بوظائفها ومهماتها الاستدلالية.

إنَّ الدراسة الصوتية، هي عماد أية لغة من اللغات، وبدونها لا يمكن لها أنْ ترقى، لأنّ أبنيتها، وتراكيبها تقوم على أساس التشكيلات الصوتية، وتبادلية المواقع، وإمكانية القدرة على إنتاج صور دلالية، تكوّن المنظور الفكري، وتغني مساراته.

ولّما كانت الأصوات هي دعامة اللغة الأساسية، كان لا بد لها من الدخول المباشر في صيغها، وأبنيتها التركيبية ، سواءً على مستوى النظم (Syntax)، أو على مستوى الدلالة (Semantics)، أو على مستوى الصرف (Morphology)، أو على مستوى المعجم، Lexicogrophy وإنّ أيّ دراسة لغوية لا تأخذ بعين الاعتبار الجانب الصوتي، كملحظ أساسي، تعدّ قاصرة، وغير منتجة، إذا كنا

مقدمة ابن خلدون (639).

1/1 نظام العربية ومسار علومها

يتشكّل نظام العربية الصوتي والصرفي من الفونيمات، في أُصولها الثنائية والثلاثية، والتنّوع في التوزيع البنائى، للأفعال والأسماء والصفات. يجري ذلك في سلوك تناسقي ، وإحكام تركيبي دقيق، تشدّه وحده اللغة المقدسة، لغة القرآن الكريم، مناط الأحكام. هذه اللغة ونسيجها، مقصد البلغاء ، ورغبة النحاة، وهم يتطلعون إليها ، وفي النفس انّ علم اللغة من الدين، وبه تعرف معاني ألفاظ القرآن والسنّة .

والقرآن، كلام الله، ومما أفاد الفارابي، أن لا سبيل إلى علمه وإدراك معانيه، إلاّ بالتبحّر في علم هذه اللغة .

ومن هذا المنطلق، ثابر علماء العربية، وهم ينكبّون على هذه اللغة الكريمة، درساً، وتحصيلاً، يسبرون أغوارها ، ويتلمسون أبعاد فنونها القولية ، في ممارسات جريئة، تقوم على المنهج الاستقرائى الوصفي، والمنهج الاستنباطي ، معتمدين الدقة في الأحكام. ورسم الأبعاد، لمجمل القضايا والتصورات المنطقية.

وبدأ مسار العلوم العربية، متداخلاً في مرحلته الأولى ، عطاءً متدفقاً، وهم يقفون أمام القرآن، عنوان حضارة، ودستور أمّة، وليس كتاباً يتلى في الصلوات، أو يُتبرك به في المناسبات.

وتتوالى التواليف، نزوعاً عقلياً هادفاً إلى معالجة جوهر قضية العقيدة الدينية، الكامن في تلك اللغة. فكانت دروس النحو، والصرف، والبلاغة، والبيان، محاور مستفيضة، في ظل العقيدة، وهذا مما يزيدهم منعة، وقوة، وثباتاً لهذا الدين.

نعدُّ اللغة منظومة محكمة البنية، وأنّ كلّ ما جاءت به بحاجة إلى إعادة في الرؤية والبناء التحليلي .

الدراسة الحالية، رؤية لسانية محدثة، تقوم على الإفادة من معطيات علم الأصوات، بشقية النطقي (Articulatory phonetics)، والوظيفي (phonolgy)، في تحليل بيانات التصريف، وتوجيهها، بما يخدم الرؤية المنطقية السليمة لشؤون هذه اللغة .

يسير المخطط البياني للغة العربية وفق المنظور التالي :



وبناءً على هذه الرؤية، أخذنا بمصطلح علم الصرف الصوتي - Morpho) (phonology. لاعتقادنا بتلازمية الجانبين، وقدرتهما على بيان النهج العلمي السليم للصيغ والتراكيب، في جوانبهما التحليلية والوصفية

ترجم هذا المصطلح عند بعضهم بـ «الفونولوجيا الصرفيّة» ومهمته الوظيفية تقوم على النظر في التركيب الصوتي للوحدات الصرفيّة. ويسميه بعضهم (Morphonology) والبعض الآخر (Morpho - phono - Morphology) (phonemics -. إنّ وحدة التحليل عند نفرمن أهل الدرس الصوتي الحديث هي «المورفونيم (Morphoneme) دلالة الاشتراك بين علمي الصرف والصوت. وسميت بـ (الفونيم الصرفي) وغالباً ما تؤشّر حالات هذا النوع من الفونيمات في ظواهر صوتية (كالمماثلة والمخالفة،وإعادة التوازن اللغوي) ويمثلون له باللغة الانجليزية بـ(Phonetician- phonetic) فـ (ic) هي مورفونيم(k) الذي يقع مرة (ic)ومرة (F).وكذلك في الكلمات (Logician-Logic) وفي العربية بتاء الافتعال التي تتأثر بالمجاورة الصوتية كما في «ازدحم، ازدهر» وغيرها من الوحدات اللغوية.

1/2 الدرس الصرفي والدرس النحوي

لقد أفاد الدارسون أنّ البحث الصرفي في اللغة العربية، يعتبر مقدّمة للبحث في ميدان النحو. جاء في المنصف : «أنّك لا تجد كتاباً في النحو إلاّ والتصريف في آخره .. فالتصريف إنّما هو لمعرفة أنْفُس الكلم الثابتة، والنحو إنّما هو لمعرفة أحواله المتنقلة .. وإذا كان ذلك كذلك ؛ فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النحو، أن يبدأ بمعرفة التصريف، لأنّ معرفة الشيء الثابتة ينبغي أن يكون أصلاً لمعرفة حاله المتنقلة»(2).

---

(2) المنصف (4/1) .

وربّ من يسأل إذا كان الأمر على ما ذهب إليه ابن جنّي، فلماذا لم تتقدم مباحث علم الصرف على علم النحو ؟ . وتأتي الإجابة واضحة المعالم عند ابن عصفور الإشبيلي (ت669 هـ) قائلاً: « وقد كان ينبغي أن يُقدَّم علم التصريف على غيره من علوم العربية ؛ إذ هو معرفة ذوات الكلم في أنفسها من غير تركيب، ومعرفة الشيء في نفسه قبل أن يتركب، ينبغي أن تكون مُقدَّمة على معرفة أحواله التي له بعد التركيب، إلاّ أنّه أُخّر، للطفة ودقته، فجعل ما قُدِّم عليه من ذكر العوامل توطئة، حتى لا يصل إليه الطالب، إلاّ وهو قد تدرّب، وارتاض للقياس»[3].

لم يكن الدرس الصوتي الاّ مقدّمة منطقية للدرس الصرفي، وإن تداخلت المباحث، واختلفت المناهج، إلاّ أنّ هذين العلمين نشآ تحت مظلة واحدة، كان مبتدؤها نظرية الخليل الصوتية المركزية ، التي عالج على ضوئها، ضروب اللغة، وحصر أبنيتها، وفق منظور التبادل والتوافق الرياضي، فكان أنْ وضع معجم العين، وحرّك دائرة بنائه الانتاجي على قطب تبادلية المواقع، فكان أن حصل على كمٍّ تصاعدي من الجذور، بيّن منها المهمل والمستعمل، بعد أن عرضه على المُستقرء من المادة اللغوية المرويّة. ثم كانت الأبجدية الصوتية، التي أقام عليها بناء معجمه اللغوي ، وقد أضحت المتّجه، الذي سار عليه روّاد هذه

---

(3) الممتع في التصريف (30/1 -31)
– هناك تبادل مطّرد بين (النحو) و(الصرف) عند بعض اللغات .
– أطلق الغربيون مصطلح (phonology) على التصريف. أما التركيب القواعدي (grammatical) فهو ما يعرف بنظم الوحدات اللغوية في مجموعات أو تراكيب.
– يتدرج مصطلح التصريف تحت مصطلح النحو عند ابن السّراج : «النحو إنّما أريد به أن ينحو المتكلّم إذا تعلمه كلام العرب .. فباستقراء كلام العرب علم أنّ الفاعل رفع، والمفعول به نصب، وأن فَعَلَ ، مما عينه ياء أو واو تقلب عينه من قولهم : قامَ، باعَ» الأصول (37/1) وهذه من مقاييس التصريف.

المدرسة، من أمثال أبي علي القالي، وأبي منصور الأزهري، والصاحب ابن عبّاد، وابن سيده، الذي أفاد من المنظور الصوتي بشكل واضح المعالم، وهوي يدوّن رؤيته الصرفية في المحكم، ويناقش مسائلها بإحكام صنعة، وهذا ما ظهر جلياً في كتابه المخصص، الذي أفرد في نهايته باباً خاصاً، لمعالجة قضية المقصور والممدود في البنية اللغوية.

ولنستمع إلى الخليل، وهو مما نقل ابن كيسان، مما حكاه السيوطي، يقول:

«سمعت من يذكر عن الخليل أنّه قال: لم أبدأ بالهمزه، لأنّها يلحقها النقص، والتغيير، والحذف. ولا بالألف لأنّها لا تكون في ابتداء كلمة، لا في اسم ولا في فعل، إلاّ زائدة أو مبدلة، ولا بالهاء، لأنها مهموسة خفيّة لا صوت لها، فنزلت إلى الحيّز الثاني، وفيه العين، والحاء، فوجدت العين أنصع الحرفين، فابتدأت به ليكون أحسن في التأليف»(4)

إذن فمبتدأ الرحلة كان مع الأصوات؛ ولسنا هنا صدد مناقشة نظرية الخليل الصوتية، فهو مما استوفيناه في كتابنا المدارس المعجمية . ولكن وددنا أنْ نوضّح أنّ الخليل بن أحمد أقام أبنية اللغة وفق الكمية الصوتية الإنتاجية، وكيفية أئتلاف عناصرها.

إذن فالدرس الصرفي العربي برز من نسيج الرؤية الصوتية للفونيمات التركيبة العربية وقام على طبيعتها التكوينية، وهو يعالج الأبنية الصرفية.

فالبدء كان مع أصغر المكوّنات التي تؤلف خلية الوحدة اللغوية، وهو الصوت المفرد، وحركته داخل الأبنية، حينما يتبادل المواقع مع غيره من الأصوات: نام، صام، حام، قام، رام، هام، لام، سام، عام.

---

(4) المزهر 90/1 .

1/3 التصنيف الصرفي

ذهب السيوطي إلى أنّ معاذ الهرّاء أول من وضع علم التصريف ، وأفاد قائلاً: «وقد وقع في شرح القواعد لشيخنا الكافيجي أنّ أوّل من وضعه معاذ بن جبل، وهو خطأ بلا شكّ، وقد سألته عنه فلم يجبني بشيء»(5)

ومعاذ الهراء عم أبي جعفر الرؤاسي، شيخ الكسائي، رأس مدرسة الكوفة النحويّة. وقد أشار اليه السيوطي أنه أول من وضع التصريف(6) .

بينما يذهب آخرون إلى أنّ الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه هو واضع لبنات هذا العلم، إذ هو أوّل من تنبّه إلى رصد مواضع الزيغ والزلل في التراكيب اللغوية وهيئاتها(7) .

وأيّا ما تذهب إليه الروايات، فإنّ الصرف العربي نشأ تحت مظلة النحو، وأنّ كلّ ما نطقت به الروايات، وعلى الخصوص، في القرن الأول الهجري، عن السلوك النحوي، يؤشّر جانباً مهماً من جوانب بنية الصرف العربي(8).

إنّ مانقله ابن الجزري، وياقوت الحموي، وابن النديم، وابن خلكان من رواية مفادها؛ استحسان الإمام علي (رضي الله عنه) لصنيع أبي الأسود الدؤلي حينما قال له : «ما أحسنَ هذا النحو الذي نحوت فسمي النحو نحواً» (9) قد لا

---

(5) الاقتراح (85) وبغية الوعاة (219/2)
المزهر (400/2) بغية الوعاة (291/2)
بغية الوعاة (291/2)

(6) المرجع نفسه.

(7) عنوان الظرف في علم الصرف (5)
شذا الصرف في فن الصرف (17)

(8) المرجع السابق

(9) طبقات القرّاء (12/1)
معجم الأدباء 34/12
الفهرست (65)
وفيات الأعيان (2/7).

يضيف أمراً ذابال، لأنّ أبا الأسود الدؤلي هو تلميذ الإمام علي، ولذا فإنّ الصنيع مشترك بينهما إنْ كان الرأي من ذوي النصفة، وهو مما أنْفَذَ إليه ذلك.

ويكشف لنا حاجي خليفة أنّ أبا عثمان المازني أول من التفت إلى علم الصرف، مدوناً أبوابه، ومفصّلاً في قضاياه، بعد أن كان ملتحفاً بعلم النحو»(10)

وقد أشار ابن النديم إلى أنّ محمد بن الحسن الرؤاسي ألّف كتاباً في التصغير، وكتاباً آخر في الابتداء، والوقف الصغير والكبير، وآخر في الأفراد والجمع، وكلّها من مباحث علم الصرف. (11)

وألّف أبو القاسم الزجاجي ت (339هـ) كتاب الجمل، وقد ضمّنه مباحث صرفيه عن المقصور والممدود، وبعض ضروب الإمالة والإدغام.

ويأتي ابن جنّي شارحاً لكتاب التصريف للمازني، ويسميه « المنصف في شرح التصريف» ، إضافة الى مصنفه الذي سمّاه (التصريف الملوكي) ، والذي يُعدّ - بحقّ - دراسة متقدمة في ميدان الصرف العربي، تقوم على منهج استقرائي - وصفي، حين جمع القواعد، وقسّم الأبواب، وأفاض في بيان القيم الصرفية.

---

(10) كشف الظنون (288/1).
مفتاح السعادة ومصباح الزيادة طاش كبري زاده (113/1).

(11) الفهرست (79).
بغية الوعاة (33).
ذكرت د.خديجة الحديثي أنّ أوّل كتاب وضع في ميدان علم الصرف هو كتاب التصريف لابن كيسان، ويبدو أن هذه الرواية لا تمت بصلة لابن كيسان لأنه توفي سنة 299 هـ وليس كما ذكر (120) هـ . وكذلك كتاب التصريف لمخنف (ت 125هـ) : أبنية الصرف في كتاب سيبويه (29) وذكر محمد الطنطاوي أنّ علي الأحمر الكوفي (ت 194 هـ) له كتاب التصريف . نشأة النحو (151) . أن عدم وصول هذه الكتب الينا يجعل كشف طوالعها امراً يشوبه الغموض.

ويأتي ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) ليضع مصنفاً ضخماً سمّاه «الشافية» وقد نهج في سلوكه التبويبي مسلكاً دقيقاً، حين عالج المسائل والقضايا الصرفية، وفق نظام دقيق لموضوعاته؛ وهو مما أثار انتباه المعنيين بالدراسات الصرفية، فأقبلوا عليه شرحاً وتقييماً، لما احتواه من مادة غزيرة لضروب هذا العلم (12).

ومن خلال ديباجة مقدّمته ندوّن الآتي:

«جمع فيه أوابد الفن، وشوارده، وأتى بين ثناياه على غُرر ابن جني وتدقيقه، وأسرار ابن الأنباري واستدلالاته وتعليله، وإفاضة المازني وترتيبه، وأمثلة سيبويه وتنظيره، ولم يترك في كلّ ما بحثه لقائل مقالاً، ولا أبقى لباحث منهجاً حتى كان كتابه حرياً بأن ينجعه طالب الفائدة»(13).

وليس مرادنا أن نتعرض لتاريخ المباحث الصرفية العربية، بقدر ما أردنا الإلماع إلى أنّ الدرس الصرفي العربي القديم نما وشبّ على يد ابن جني، وابن الحاجب، وابن مالك النحوي، وأنّ من جاء بعدهم لم يمنح الدرس الصرفي أكثر مما قدّماه، وأسهما في بنائه.

1/4 حدود التصريف

الصرف لغة : من صَرَف الشيء، ردّه عن وجهه، وصَرَفَ الأجير من العمل، خلّى سبيله، وصَرَف المال أنْفقَه. وأصْرَفَ الشَّراب، قدَّمه صِرْفاً لم يَمْزجْه بغيره وصَارَفَ نفسه عن الشيء، تكلَّف صَرْفَها عنه .

وصَرَّفَ الأمرَ : دبَّرَهُ ، وبَيَّنَهُ . وفي التنزيل :

(12) شرح الشافية (1 /7 ,8) (2 /3 ,4) (5/3 ,6).
(13) المرجع نفسه (المقدّمة 3)

﴿ولقد صرَّفنا للناس في هذا القرآن من كُلِّ مَثَل﴾[14]، وصرَّف الألفاظ: اشتقت بعضها من بعض، واصْطَرَفَ : تصرَّف في طلب الكَسْب، وانصرف عنه: تحوّل عنه. قال تعالى : ﴿ثمّ انصْرفوا صَرفَ الله قلوبهم﴾ [15] وتصرَّف: تقلّب فيه، ومنه تصاريف الرياح تقلبها في وجهاتها. والصَّرافة مهنة الصَّرّاف . والصَّرْفُ : صَرْف الدهر، نوائبه وحدْثانه .. والصَّرْف : عِلْمُ تَصرُّف أبنية الكلام واشتقاقه .

والصَّرفُ عند النحاة : تنوين يلحق الاسم يجعلونه دليلاً على تمكّن الاسم من باب الاسمية. والصِّرْف : الشيء الخالص لم يُشَبْ بغيره .

والصَّيْرَفُ: صَرّاف الدراهم، والجمع صيارف وصيارفه. والصَّيرفي: الصَّيرفُ، والمصْرِفُ: الانصراف ومكان الصَّرفِ ومنه سمي (البنك) مَصْرِفاً[16]

فإنْ عبّر بعض أهل اللغة بـ «الصَّرف» مراعاة للأصل وأنّه اللفظ الموازن والأكثر اختصاراً لـ «النحو». وهي عبارة أهل الصرف وابن مالك عدا متقدميهم. ومن عبّر بـ «التصريف» فبالنظرة إلى كثرة التحوّلات المرافقة لطبيعة هذا العلم، وهو متجه القوم من زمن الخليل حتّى زمن ابن مالك وابن الحاجب.

---

(14) الاسراء / 89

(15) التوبة / 127

(16) المعجم الوسيط ابراهيم مصطفى وآخرون (صرف)
الصرفُ مصدر صَرَفَ والتَّصريف مشتقّ منه للمبالغة والكثرة. وأصل هذا المصدر : «تَصرْرَف» لأنَّ فعله «صَرَّفَ مشدد الراء». ومما يجب أن يشتمل المصدر على جميع حروف فعله، أبدلت الثابتة بصائت طويل (الياء) . وفي صيغة «التصريف» إشارة إلى أنّ الفن له تصرّفات كثيرة. إن صوت الياء ليست للتعويض، إنّما ، صوت التاء في أول المصدر هي عوض صوت الراء. وقد استخدم العلماء لفظتي « الصَّرف والتَّصريف» مع هذا العلم، ونقلت الكلمتان من المصدريّة إلى العلميّة.

وفي الأصطلاح، العلم الذي يبحث في أبنية الوحدة اللغوية وتلوّناتها، على وجوه وأشكال عدّة، وبما يكون لأصواتها من الأصالة، والزيادة والحذف، والصحة، والإعلال ، والإدغام، والإمالة، وبما يعرض لتواليها من التغيّرات مما يفيد معانٍ مختلفة.

1/5 اللغة الإشتقاقية

العربية لغة اشتقاقية ، وإنْ اعتمدت منابع أخرى، فإنّها تصوغ للمعاني المتعددة أبنية متنوعة، من الجذر الواحد.

والعربية أكثر لغات الأرض تصريفاً، وهي في هذا الأمر تشبه اللغة اللاتينية القديمة وبعض أخواتها الساميات .

واللغة العربية في هذا المسار تدلل على غزارة مادتها المعجميّة، وقدرتها الاستيعابية للدلالات، مما يمكن أن يساير ضروب الفكر وإحتياجاته.

فالجذر الواحد فيها تتوالد منه مجاميع من الوحدات اللغوية، التي تقدّم زادها لكل طالب ومُريد ،وهو يضرب في شتى فنون القول. وثراؤها هذا، دليل ديمومتها، وتجددها، عبر مراحل الزمن المختلفة . ولو استعرضنا مشتقات الجذر الثلاثي (جَمَعَ) لطالعتنا المواد التالية :

جَمَعَ ، أجْمَعَ ، جامَعَ، جمَّعَ، اجْتَمَعَ، تَجَمَّعَ، استَجْمَعَ، أجمَعَ، الإجْماعُ، الاجْتماعُ، الجامعُ، الجامعَةُ، الجِماعُ، الجَماعَةُ، الجماعيَّةُ، الجَمْعُ، الجُموعُ، الجُمْعُ، المُجتَمَعُ، الجَمْعاء، الجُمْعَةُ، الجُمعة ، الجُمّاعُ، الجَمْعيَّةُ، الجَميعُ، المَجمَعُ، المَجْمَعَةُ، مَجامعُ، المُجمْعَةُ، المَجْموعُ .

وسمة كهذه، ذات بُعْد معنويّ تضفي على العربية وبنائها القدرة على التوليد، والصياغة، ورفد متن اللغة، ومدّه نماءً في كم الألفاظ التصاعدي، ومراده إكساء المعاني المتنوعة، تيسيراً للفكر، وخدمة لتنوّعات أغراضه.

وثمة أمر لفظي آخر يبزغ من هذه السمة التوليدية، يكمن في الطبيعة الإئتلافية للعناصر الصوتية داخل الوحدة اللغوية. وتلعب الصوامت والصوائت دوراً بارزاً عبر انتقالاتها التصريفيّة، فتحدث التحوّلات، والتبدلات الصوتية، مما يخفّف من ثقل نطقي، ويُيسِّرُ على المستخدم، ويسّهل عليه جريان الألفاظ، أثناء تياراته الكلاميّة.

ولو أستعرضنا بعضاً من أمثلة هذا النوع، لطالعتنا الوحدات اللغوية : (عَوَدَ) وهي تتألف من مقاطع قصيرة ثلاث $(R)^3$، وفي هذا ثِقَلُ واضح، فيعمد التصريف إلى استبدال المقطعين الأوّلين القصيرين بمقطع صوتي متوسط مفتوح (Open syllable) لتكون بنية الكلمة مؤلفّة من المقطعين (R+T) وفي هذا سهولة ويسر على المتكلّم. وما ظاهرتا المماثلة (Assimilation)، والمخالفة (Dissimilation) الاّ ضرباً من الظواهر الصوتية، وقوى بين يدي التصريف يوجههما وفق الاحتياج إلى اليسر والتسهيل. والأمثلة عليهما كثيرة: ازدجر في ازتجر، اطّلعَ في اطلتع، اثّاقل في يتّاقل، وانجاص في أجّاص، وفي نصب جمع المؤنث السالم بالكسرة، نيابة عن الفتحة، وأنه تتساوى فيه حالتا النصب والجر؛ ولعلّ ثقل المعيار الصرفي أوعز إلى التركيب الصوتي، بأن يخفف من هذه المتوالية الحركية للفتحات، وبتأثير ظاهرة المخالفة الصوتية غيّرت متجهها من الاستعلاء إلى الاستفال. والأمر نفسه مع صورة المثنى في كسر نونه، وجمع المذكرّ السالم في فتح نون (17).

---

(17) ينظر مبحث المماثلة والمخالفة والقوانين الصوتية.

بل إنّ التصريف ليرتكز على المنظومة الصوتية، وهو يتعرّض الى التضعيف في الصوامت.

ولعلّ ما ورد في كتب التراث تحت عنوانات : كراهية اجتماع المثلين، توالي الأمثال المكرورة، ما شبّه من المضاعف بالمعتل، إشارة إلى هذه الظاهرة الثقيلة . وقد نبّه المبّرد في المقتضب إلى ثقلها ، لحركة اللسان في عملية الرفع والعودة، مستعرضاً: أمليت في أمللت وتسريت في تسرّرت، ودينار وقيراط في دنّار وقرّاط، إذ تعود في الجمع الى الأصل، لأنّك فرّقت بين المضاعفين: دنانير وقراريط [18].

1/6 مدخلات علم التصريف

ولما كان التصريف يذهب الى معنى التحويل والتغيير، فإنه لا يدخل إلاّ من بوابة الوحدات التي تسمح له بدخول حرمها وتستجيب لنداء مذهبه .

ويطالعنا ابن عصفور في هذا المنحى قائلاً:

« اعلم أنّ التصريف لا يدخل في أربعة أشياء وهي : الأسماء الأعجميّة التي عجمتها شخصيّة كاسماعيل ونحوه، لأنّها نقلت من لغة قوم ليس حكمها كحكم هذه اللغة .. والحروف وما شُبّه بها من الأسماء المتوغّلة في البناء نحو «مَنْ» و «ما» لأنها لافتقارها، بمنزلة جزء من الكلمة التي تدخل عليها، فكما أنّ جزء الكلمة الذي هو حرف الهجاء لا يدخله تصريف، فكذلك ما هو بمنزلته..

---

(18) المقتضب (246/1) .

بل إنّ التصريف ليرتكز على المنظومة الصوتية، وهو يتعرّض الى التضعيف في الصوامت.

ولعلّ ما ورد في كتب التراث تحت عنوانات : كراهية اجتماع المثلين، توالي الأمثال المكرورة، ما شبّه من المضاعف بالمعتل، إشارة إلى هذه الظاهرة الثقيلة . وقد نبّه المبّرد في المقتضب إلى ثقلها ، لحركة اللسان في عملية الرفع والعودة، مستعرضاً: أمليت في أمللت وتسريت في تسرّرت، ودينار وقيراط في دنّار وقرّاط، إذ تعود في الجمع الى الأصل، لأنّك فرّقت بين المضاعفين: دنانير وقراريط (18).

1/6 مدخلات علم التصريف

ولما كان التصريف يذهب الى معنى التحويل والتغيير، فإنه لا يدخل إلاّ من بوابة الوحدات التي تسمح له بدخول حرمها وتستجيب لنداء مذهبه .

ويطالعنا ابن عصفور في هذا المنحى قائلاً:

« اعلم أنّ التصريف لا يدخل في أربعة أشياء وهي : الأسماء الأعجميّة التي عجمتها شخصيّة كاسماعيل ونحوه، لأنّها نقلت من لغة قوم ليس حكمها كحكم هذه اللغة .. والحروف وما شُبّه بها من الأسماء المتوغّلة في البناء نحو «مَنْ» و «ما» لأنها لافتقارها، بمنزلة جزء من الكلمة التي تدخل عليها، فكما أنّ جزء الكلمة الذي هو حرف الهجاء لا يدخله تصريف، فكذلك ما هو بمنزلته..

(18) المقتضب (246/1) .

وكلّما كان الاسم من شبه الحرف أقرب، كان من التصريف أبعدْ»(19)

والصرف معيار العربيّة، وبواسطته يوقف على أبنية الكلم، في جوانبها الثابتة، والمتغيّرة . وهو سبيل الوقوف على التبدلات الصوتية، وهي تركب جوانب تبادلية المواقع، في الأبنية ، تسهيلاً ورفْداً.

---

(19) الممتع في التصريف 1 /35
ينأى التصريف عن ابراهيم، يوسف، اسماعيل، جالينوس، أرسطو، وهي من الأسماء الاعجمية. وكذلك اسماء الأصوات: لما، نَخْ ، قَبْ، عيط ؛ واسماء الأفعال : أف، صه، إيه، آمين، بَلَه، رويد، هيت، هيهات، شتّان؛ والأفعال الجامدة: ليس، عسى ، خلا ، حاشا، نِعمَ، بئسَ، حبّذا، قلّما، شَدَّما، هب، ما أكرمه، أكرم به؛ وحروف المعاني: من ، إلى، رُبَّ ، سوفَ ، لو ، ما، ليت، لا ، إلاّ، وما يشبه الحروف: مَهمْا، مَنْ ، كيفَ ، متى، أيّان، حيث ، أين، هو ، أنا، أنتَ، من الأسماء المبنية واسماء الإشارة والأسماء الموصولة واسماء الاستفهام ، والحروف بانواعها المختلفة. ويتعامل ما دون ذلك مع الأسماء العربية المتمكنة وهي التي تقبل الحركات الثلاث، أي ما ليس مبنياً وهي نوعان متمكّن أمكن وهو المصروف، ومتمكن غير أمكن وهو الممنوع من الصرف. وغير المتمكن وهو الذي أشبه الحرف فكان مثله مبنياً. ويتعامل التصريف كذلك، مع الأفعال المتصرفة.
– يطلق المحدثون من علماء الدرس الصرفي – الصوتي على التصريف (النظام الصرفي Morphological system) ويذهبون إلى أنه يقوم على ركائز ثلاث:
1- ركيزة المعاني الصرفية (الاسمية، والفعلّية، والحرفيّة، وما يلحقها من مباني التصريف (الشخص، والعدد، والنوع، واليقين) وكذلك جوانب الصياغة الصرفية، كالطلب، والصيرورة، والمطاوعة، والألوان، والأداء، والحركة، الاضطراب أو العلاقات النحوية كالتعددية واللزوم وغيرها.
2- ركيزة العلاقات العضويّة (التّجرد – الزيادة، التكلّم، الخطاب، الغيبية، الاسمية – الفعلية، التذكير والتأنيث ، عن طريق المقابلات التي هي عصب النظام الصرفي. مثل « ضَخْمٌ ، فَهْمٌ» من حيث تشابهمها في الصيغة (فَعْلٌ) وبالمقابلة الخلافية من حيث الدلالة فالأول صفة مشبّهة ، والثاني مصدر.
3- ركيزة المباني الصرفيّة الاسمية والصفة والفعل واللواصق والزوائد والأدوات.
وهناك مباني القرائن اللفظية كالضمائر والظروف والأدوات. انظر اللغة العربية معناها ومبناها .(151-68)

وهو، بعد ذلك، مقياس تخضع له مفردات اللغة، وتتنفس قبل ضيق الخناق، وهي تصلح هيئتها، وتعكس الرغبة في ميل العرب إلى التزوّد، والنفور من الثقل، غاية لبالغ الإيجاز، وإحكام الصنعة، ومدّ سبل التعبير. ففيه تقويم اللسان، وصون له من الزلل نطقاً صوتياً، والوقوف على جوانب الدلاله المختلفة، وتحقيق لجانب العدل، وانزياح عن مرافئ الجَوْر.

والصَّرْفُ، بعد ذلك، علم العربيّة، ومقياسها الموحّد، وهو ما يعرف بالانجليزية (Morphology) ، يتعامل مع الكلمة وتركيبها، عن طريق التحليل إلى أصغر عناصرها الصرفية، واضعاً في كنانته ما تؤدّيه هذه العناصر من ضروب الوظائف.

ولعلّ في الصوامت الأربعة (الهمزة، والنون، والياء الانتقالية، والتاء) خير دليل على القدرة والتمكّن في تحويل الفعل الماضي بزمنه إلى زمن الاستقبال والحضور (المضارع). وهي بنفس الوقت إختزالات صوتية للفاعل:

أذهب ⟸ أ ϕ أنا

نذهب ⟸ ن ϕ نحن

يذهب ⟸ ي ϕ هو

تذهب ⟸ ت ϕ أنت

1/7 صناعة التصريف

صناعة التصريف كفن الصياغة، تحتاج إلى مهارة فائقة ودقة وإتقان. فكما يتعامل الصائغ مع معدن الذهب، أنفس المعادن وأعلاها رتبة، فكذلك صَرّافُ اللغة . وكما يصوغ صائغ الذهب القلادة، والأساور ويحكم بنائها، ويتفنن في إبراز قيمها الفنية، من أصل واحد (الذهب) فكذلك الصَّرفيُّ، يصنع من المادة اللغوية عن طريق صياغتها صوراً شتّى، تتلائم وطلبات المريدين من أهل الفكر .

وكما يَزِنُ الصائغ مادته الثمينة بميزان خاص، تتوافر فيه عناصر الدّقة والأمان، فكذلك صرّاف اللغة، يحتاج إلى ميزان، ليعرف بواسطته عدد أصوات الوحدة وترتيبها، وأصولها وزوائدها، وما فيها من حركات صوتية، وقيم صفرية (السَّكَنَات) ، وما يعتورها من تحوّلات ، ليعرف به مقدار ما يصوغه.

هكذا يذهب أهل الصَّرْف والقائمون عليه، في بيان معيارهم اللغوي، كالرضي الاسترابادي وغيره من المحدثين.ومعيار الصائغ من جنس مادته التي يتعامل معها (المعدن)، ومعيار الصرفي، أيضاً من جنس مادته، ومادته الأصوات، فمعيارهُ صوتي – صرفي يعرف به عدد أصوات الوحدة اللغوية المراد وزنها، وترتيبها، وما فيها من أصوات أصلية وزائدة وحركات وسكنات.

هذا الميزان لا يختص بمفردةٍ دون أخرى، إنّما هو مقياس صوتي موحّد تخضع له كافة وحدات اللغة العربية .

إنّ أية مفردة في اللغة تتألف بنائياً من مجموعة من الأصوات، هذه الأصوات قد تدخل بنيتها بعض الأصوات الدخيلة الأخرى، رغبة في زيادة

معنى أو توجيه محتوىً دلالي. فالوحدات اللغويّة :

قَلَمٌ، قَلَمَانِ، أقْلامٌ، مَقْلَمَة، قُلامَةٌ، قالِمُ، قَلَمَةٌ، قِلامٌ ، مَقالِمٌ .

جَذْرٌ، جَذَرَ، أَجْذَرَ، انْجَذَرَ، جُذُورٌ، جِذْرُ، جُذَيْرُ، مُجْذُورُ، جَذْرانِ .

تصرّفتْ من أصل واحد، تتضح معالمه الصوتية في أصوات (القاف واللام والميم) و(الجيم والذال والراء)، حيث نلاحظ أنّها حافظت على وجودها القيمي في كلّ حلقات السلسلة. أمّا الأصوات المضافة لها من أجل إظهار قيمة دلالية متغايرة، فهي زوائد جاءت من أجل سدّ هذه الحاجة الفكريّة.

والوحدة اللغوية إنّ كانت أصواتها الأساسية ثابتة، كما جاءت في أصل اللغة أطلق عليها (المجّردة) وأنّ كانت تلبسها بعض الأصوات الزائدة أطلق عليها «المزيدة» .

ولذا فإنّ من شروط هذا (الميزان الصوتي) أن لا يُعيّر إلاّ من كان له أصل ثابت في اللغة من العناصر والمكونات الصوتية، وذو هيئة محددة واضحة الصورة.

والعربية لغة اشتقاقية، معروفة بصيغ وحداتها القياسيّة. ولكل صنف فيها من الحروف، والأفعال، والأسماء هيئة بنائية صوتية، تدرك من الوهلة الأولى عند التصويت بها، وبمجرد النظر إلى صيغتها الشكلّية اللفظية.

1/8 الميزان والاستقراء اللغوي

دلّ الاستقراء اللغوي على أنّ أصول المفردات العربية ترجع إلى الثلاثي، والرباعي، والخماسي. لكنّ النسبة الغالبة ثلاثية الأصول، لأنها الأكثر استعمالاً ودوراناً على ألسنة القوم(*) ولذلك اتخذوا أصلاً ثلاثي البناء الصوتي، واعتمدوه ميزاناً لصرّاف اللغة، وهو (النواة الصوتية الأساسيّة) .

إختار علماء اللغة مادة لفظية صوتية سهلة المأخذ لاستخدامها في بناء هذا الميزان، وهذه المادة تتألف من ثلاثة أصوات هي [الفاء، العين، اللام] .

وسمّوا الصوت الأول (فاء الكلمة).

وسمّوا الصوت الثاني (عين الكلمة).

وسمّوا الصوت الثالث (لام الكلمة).

ملتزمين في الميزان أن تقابل هذه الأصوات بالحركات والسكنات التي وقعت عليها أصوات المفردة الموزونة .

وهذا الأمر مع الوحدات المجّردة. أما المزيدة فلهم معها شأن سيأتي بيانه.

ولّما كانت هذه الأصوات الثلاثة مُحرّكة بالصائت القصير (الفتح) حُرّكت مقابلاتها من الأصوات بنفس هذا الصائت. فالوحدة (جَلَسَ) وزنها (فَعَلَ) .

(*) تبين للباحث، من خلال دراسة إحصائية باستخدام الكمومبيوتر أقامها على معجم الجيم أن عدد الجذور الثلاثية بلغ 2931 جذراً وقد حصلت على ما نسبته 80.93٪ ، والجذور الرباعية 647 أو 17.97٪ والجذور الخماسية 39 أو 1.08٪.
ويكاد الأمر نفسه يستبان من خلال الدراسات الإحصائية الأخرى التي أجريت على لسان العرب لابن منظور وتاج العروس للزبيدي.

1/9 أصوات الميزان وسرّ البداية

لكن لماذا اختيرت الأصوات الثلاثة (فَعَلَ) لهذا الميزان الصرفي ؟

أما سرّ هذا الاختيار التركيبي فيعلله الرضي الاسترابادي بقوله : لأنّه مشترك بين جميع الأفعال والأسماء. فالتركيب (فَعَلَ) ، تتقاسمه كل الوحدات اللغوية، وتشترك في طبيعته القصدية، فلمّا كان فعل النوم، والكتابة، والقتل، وغيرها مشتركة بوجود الهمّة على فعل الشيء، أرتضوا أنّ يكون ما اشترك في معناه مشترك في لفظه[20] .

ولكنّي لا أنزع إلى هذا الرأي، فأمر التكلّف واضح فيه، وأميل إلى التفسير الصوتي، الذي أراه يمّثل جوهر الغرض القصدي في هذا الاختيار.

ضمَّ هذا الميزان الأصوات الثلاثة، لما تمتلكه من خواص صوتية متميّزة.

فالفاء صوت أسناني شفوي أحتكاكي مهموس مرقق- Labiodental Interdental Consonant

وهذا الصوت لا نظير له في العربية من الأصوات المجهورة، ولو أنّ البعض يميل إلى الأعتقاد بأنّ نظيره المجهور هو صوت (V) الإنجليزي المماثل لبعض الأصوات المستوردة في الفارسية، والتركية، والمستخدمة في لغة تعاملاتنا اليومية. ولأنه شفوي فهو يمتلك خاصية الرؤية التشكيلية الصورية، حتى ولو كان همساً، وتماثله في ذلك أصوات (الباء والميم والواو) . ولأنّها أصوات شفوية خالصة القيمة التصويرية، لذا ينفرد (صوت الفاء) بأن الأسنان والشفتين تشتركان في إنتاجه، عكس (أصوات الميم، والباء) الخالصة الشفوية . أمّا (صوت الواو) فَمُستبعَد لأنّه صوت أنتقالي صامت أو نصف حركة (semi- vowel) أو شبه صوت لين ذو طبيعة مزدوجة.

---

(20) شرح الشافية 13/1 .

ولذا فإنّ (صوت الفاء) يمّثل الاختيار الصوتي الأفضل، لما يمتلكه من خواص صوتية قابلة للرؤية التجسمية، ولو كان عن بُعْد .

أما الصوت الأخر (العين) فهو صوت حلقي إحتكاكي مجهور مرقق linguo- phrayngal Consonant من الأصوات المتوسطة بين الشدّة والرخاوة، وأحد أفراد عائلة (لم يَرْوِعَنّا) التي تتميز بشدّة وضوحها السمعي، ولذا فإنّ البعض من علماء الدرس الصوتي الحديث أضافوا اليها (الصوائت الثلاثة الألف والواو والياء) من جانب قوتها الاسماعية العالية.

وصوت اللام، أحد أفرادها، أيضاً، صوت لثوي جانبي متوسط بين الشدّة والرخاوة، مجهور مفخّم ومرقق. Alveolar Lateral Consonont لهذه الأسباب الصوتية والصفات الوظيفية اختيرت الأصوات الثلاثة (الفاء والعين واللام) لتمثل الميزان الصرفي العربي .

1/10 حركة الميزان الصرفي

1/10/1 وزن الوحدة اللغوية المجرّدة .

1/10/2 وزن الوحدة اللغوية المزيدة .

1/10/3 وزن الوحدة اللغوية الناقصة :

1/10/3/1 (فاؤه) – ما سقط صوته الأوّل .

1/10/3/2 (عينه) – ما سقط صوته الثاني .

1/10/3/3 (لامه) – ما سقط صوته الثالث .

1/10/3/4 (فاؤه ولامه) – ما سقط صوتاه الأول والثالث .

1/10/4 وزن الوحدة اللغوية في حالة الإدغام .

1/10/5 وزن الوحدة اللغوية في حالة الإعلال .

1/10/6 وزن الوحدة اللغوية في حالة الإبدال .

1/10/7 وزن الوحدة اللغوية في حالة القلب المكاني .

1/10/1 وزن الوحدة اللغوية المجرّدة

كما علمنا، أنّ (فَعَلَ) لا تقابل الاّ الكلمات الثلاثية المجرّدة، التي تمثل الأصول الأساسية في بناء الوحدة اللغوية. لكنّ الكلمات المجرّدة قد تكون ثلاثية البناء الصوتي، أو رباعية، أو خماسية.

فالثلاثية، والرباعية هيئة صوتية مشتركة بين الأفعال والأسماء . أمّا الوحدات الخماسية التكوين الصوتي، فإنّها تختصّ بالأسماء، لأنّه لا يوجد فعل في العربية خماسي مجرّد .

الثلاثية : جَلَسَ ⟸ فَعَلَ

كَرُمَ ⟸ فَعُلَ

حَسِبَ ⟸ فَعِلَ

بَحْرُ ⟸ فَعْلُ

كَبِدُ ⟸ فَعِلُ

الرباعية في أصل وضعها اللغوي :

دِرْهَمُ ⟸ فِعْلَلُ

دَحْرَجَ ⟸ فَعْلَلَ

جَعْفَرٌ ⟸ فَعْلَلٌ

قِمْطَرُ ⟸ فِعْلَلُ

ضِفْدَعُ ⟸ فِعْلَلُ

بُلْبُلُ ⟸ فُعْلُلُ

الخماسيّة في أصل وضعها اللغوي :

فَرَزْدَقُ ⟸ فَعَلَّلُ

قِرْطَعْبٌ ⟸ فِعْلَلٌّ

سَفَرْجَلُ ⟸ فَعَلْلٌ

خُزَعْبِلٌ ⟸ فُعَلِّلٌ

جِرْدَحْلٌ ⟸ فِعْلَلٌّ

قَمطَرِيرٌ ⟸ فَعْلَلِيلٌ

ومن الملاحظ أنّ القدرة الاستيعابية للميزان هي (ثلاث لامات) تُدغَمُ اثنتين، وتأتي الثالثة سائبة التمثل الصوتي .

1/10/2 وزن الوحدة اللغوية المزيدة

نظراً لحاجة استيعاب الدلالات اللغوية لمضامين تغني جوانب الفكر المتعددة، تزاد بعض الأصوات على الأصول المجّردة، من أجل إثراء الجانب الدلالي للغة، أو لاتباعها من حيث الصيغة البنائية بوحدات لغوية أخري.

هذه الأصوات التي تتحرك على مساحة المفردة، وتمتلك القدرة على رسم الظلال الدلاليّة، أطلق عليها «حروف الزيادة»[21] وهي أصوات تتحرك من أجل أداء وظيفي معيّن .

---

(21) انظر فصيلة عناصر الزيادة الصوتية.

وقد جمعها الشاعر :

سألتُ الحروف الزائدات عن اسمها　　　فقالت ولم تبخَلْ: أمانٌ وتَسْهيلُ

فالجذر (ذَكَرَ) الثلاثي المجرّد يأتي في صور :

ذَكَرٌ ⟸ فَعَلٌ

ذِكْرٌ ⟸ فِعْلٌ

ذُكِرَ ⟸ فُعِلَ

ذَكِرَ ⟸ فَعِلَ

وفي صورة المزيدة يأتي :

يَذْكُرُ ⟸ يَفْعَلُ

أذْكُرُ ⟸ أفْعَلُ

تَذْكِرَةٌ ⟸ تَفْعِلَةٌ

ذاكِرَةٌ ⟸ فاعِلَةٌ

اسْتَذْكَرَ ⟸ اسْتَفْعَلَ

ذَكَّرَ ⟸ فَعَّلَ

ذِكْرى ⟸ فِعْلَى

مِذْكارٌ ⟸ مِفْعَالٌ

مُذَكَّرَةٌ ⟸ مُفَعَّلَةٌ

مَذْكُورٌ ⟸ مفعولٌ

وما يتصل بالوحدة اللغويّة من حالات مورفيميّة (كالتعريف، والتأنيث، والجمع، والتصغير، أو النسبة أو التوكيد، أو الإضافة، فإنّه يوزن بلفظه:

أَلْوَحْيُ ⟸ أَلْفَعْلُ

كَتَبَتْ ⟸ فَعَلَتْ

كاتِبَةٌ ⟸ فاعِلَةٌ

لَنسفُعَنْ ⟸ لَنفْعُلَنْ

كِتابانِ ⟸ فعالانِ

كُتُبٌ ⟸ فُعُلٌ

جالسون ⟸ فاعلون

ضاحكاتُ ⟸ فاعلاتُ

بَصْرِيٌّ ⟸ فَعْلِيٌّ

1/10/3 وزن الوحدة اللغويّة الناقصة

يؤدي تصريف شؤون الوحدة اللغوية الصوتية، أحياناً، إلى سقوط أحد أصواتها الأساسيّة، مما يتطلب عند عرضها على الميزان الصرفي أن نقابل ذلك بالمثل . وحالات السقوط على أنواع أربعة :

1/10/3/1 ما سقط صوته الأول (الفاء)

يحدث هذا الوضع الصوتي مع الأفعال غير الصحيحة (المعتلة الصوت الأول – المثال) أي التي أوّلها صوت (الواو الإنتقالية) :

وَقَفَ : يَقِفُ : قِفْ ⟸ يَعِلُ : عِلْ

وَثَبَ: يَثِبُ : ثِبْ ⟸ يَعِلُ : عِلْ

وَدَعَ : يَدَعُ : دَعْ ⟸ يَعلُ : علْ

وَجَدَ : يَجِدُ : جِدْ ⟸ يَعلُ : عَلْ

وَسَعَ: يَسَعُ : سَعْ ⟸ يَعلُ : علْ

وَثِقَ : يَثِقُ: ثِقْ ⟸ يَعلُ : علْ

وقد يحدث الحذف الصوتي مع مصادر بعض الصيغ الفعلية : ثِقَةً ، ضِعَةً، هِبَةً ⟸ عِلَةً

1/10/3/2 ما سقط صوته الثاني (العين)

تحدث هذه الظاهرة مع الصيغ الصوتية الجوفاء، أي ما كان وسطها صوت صائت، وحينئذٍ يكون وضعه في الميزان وفق الآتي :

جادَ: يَجودُ : جُدْ : جُدْتُ : جُدْنَا : جُدْنَ

فَعَلَ : يَفْعلُ : فُلْ : فُلْتُ : فُلْنَا : فُلْنَ

يقومُ : لم يَقُمْ ⟸ يَفُلْ

يسودُ: لم يَسُدْ ⟸ يَفُلْ

وإذا كان في الوحدة اللغويّة حذف لبعض الأصوات الأصلية، أو الزائدة، حذف ما يقابلها في الوزن :

اْسْعَ : افْعَ

وفى ⟸ فِ ⟸ ع

وعى ⟸ ع ⟸ ع

وقى ⟸ قِ ⟸ ع

رأى ← رِ ← فِ

وشى ← شِ ← ع

هادٍ ← فاعٍ

قَيْلُولَةٌ ← فَيْلُولَةٌ

أُمْسِيَةٌ ← أُفْعِلَةٌ

اسْمٌ ← افْعٌ

عِدَةٌ ← عِلَةٌ

كُرَةٌ ← فُعَةٌ

سَنَةٌ ← فَعَةٌ

مَيْتٌ ← فَيْلٌ

مُرْتَقٍ ← مُفْتَعٍ

1/10/3/3 ما سقط صوته الثالث (اللام)

حالة صوتية تلازم الفعل المنتهي بصائت طويل مثل : رمى ، دعا، سَمَا، فإن صوته الثالث يحذف حين يصاغ منه الزمن المضارع ويدخل دائرة الجزم، وكذلك من صيغة الأمر :

رَمَى : يَرْمي : ارْمِ : لم يَرْمِ

فَعَلَ: يَفْعلْ : افْعِ : لم يَفْعِ

وفي العربية صيغ وردت ضمن المادة المعجميّة ذات بناء ثنائي التكوين مثل :

أبٌ ، أخٌ، حَمٌ، يَدٌ، دَمٌ، فَمٌ ، هَنٌ .

هذه الكلمات ثنائية الأصول وعددها في اللغة العربية لا يزيد عن أربع وثلاثين كلمة. وفي حقيقة وضعها فإن اشباع الصائت القصير على الصوت الثاني منها يولّد لنا بناءً ثلاثياً ، وهو مذهب صوتي مقبول، لأنه يتوافق ومتّجه الميزان الصرفي، وليس كما ذهب بعض المحدثين إلى القول إنّه لتكثير البنية، باعتماد الأصل الثلاثي.

إن مذهب الثلاثية في أصل البنى اللغوية أمر يتفق عليه الباحثون قديمهم وحديثهم، إلاّ نفر ممن وقف على مثل هذه الوحدات الثنائية، فراح ينادي بأصل العربية الثنائى، وهو متّجه لا يمتّ إلى واقع العربية التاريخي وأخواتها الساميات بأدنى صلة .

وجرياً وراء قانون اختزال الجهد (22) الذي يميل الإنسان على ضوئه إلى مبدأ السهولة واليسر للوصول إلى مقاصده الغرضيّة. وبما أنّ مفتاح اللغة المنطوقة بيد المتحدثين، فإن الأصوات تكون عرضة للتّبدل. ويبدو أنّ الأصوات الصائتة أكثر مرونة من الأصوات الصامتة في قبول هذه الظاهرة لعدم احتياجها إلى عناء في التحقيق الانتاجي، وهذا يفسّر لنا ذوبان الصوائت الطويلة على نهايات هذه الوحدات.

ودليلنا على ذلك أن :

أبُ ← فَعُ ← أبوْ : فَعُلْ

أخُ ← فَعُ ← أخوْ: فَعُلْ

حَمُ ← فَعُ ← حَمُوْ :فَعُلْ

---

(22) انظر مبحث القوانين الصوتية .

يَدُ ← فَعُ ⟸ يَدُوْ:فَعُلْ

دَمُ ←فَعُ ⟸ دَمُوْ:فَعُلْ

فَمُ ← فَعُ ⟸ فَمُوْ:فَعُلْ

هَنُ ←فَعُ ⟸ هَنُوْ:فَعُلْ

1/10/3/4 ما سقط صوتاه الأول والثالث (الفاء واللام)

ويحدث هذا مع ما نعته قدامى القوم بالوحدة اللغوية (اللفيف المفروق)[23] وهو ما كان أوله صوتاً انتقالياً (الواو) وآخره صائتاً طويلاً (الألف) مثل:

وَعَى ← فَعَلْ ←يَعِي ←عِ ← ع

وَقَى ← فَعَلْ ←يَقِي ←قِ ← ع

وَفَى ← فَعَلْ ← يَفِي ← فِ← ع

هذه الوحدة التي أصبحت مع صيغة الأمر على صوت واحد هي بمثابة تركيب متكامل يشتمل على الفعل والفاعل وهو من حسنات العربية الاختزالية، مما خلَت منه بقية اللغات.

وبعض القوم يلحقون به (صوت الهاء) وينعتونها بـ (السَّكْتُ) و (الإستراحَةُ) و(الوَقْفُ) وكلّها مصطلحات تومىء إلى التخفيف من هذا الصائت القصير الملحق بالحرف، لأنّ في الوقف عليه ثِقَلٌ ، مما تطلّب استحضار هذا الصوت الحنجري الاحتكاكي المهموس المرقق .

---

(23) الثلاثي اللفيف (المفروق – وهى، وعى) (والمقرون هوى ، غوى) (والمثال وعَدَ، وقف، والأجوف قال، جاء ، والناقص ر مى ، سما) .

إن إلحاق هذا الصوت بالحرف (الجملة) وإن كان فيه إراحة للمتحدث، إلاّ أنّ ذلك أدى إلى تغيّر في المقاطع الصوتية. فبينما (ع) تتألف من مقطع قصير (R) ، نجد أنّها مع إلحاق صوت الهاء الحنجري تتألف من مقطع متوسط مغلق (T).

ونظراً لتوفّر هامشين صوتيين في المقاطع المتوسطة يحيطان مركز النواة، فإن ذلك يكسب النفس راحة أكثر .

نطالعُ في كتاب سيبويه :

(عِهْ ، شِهْ) ، حينَ (الوقْف)، لكنّها تعود إلى طبيعتها الأولى حين (الوصل) : [عِ حديثاً]، [شِ ثوباً]. وفي المضارع الذي بقي على حرف واحد: [إنْ تعِ أعِهْ] من وَعَيَتُ. وفي المضارع والأمر المحذوف اللام : [لم يَغْزِهْ]، و[ارْمِهْ] [24] .

هذه (الهاء) صوت قيمته التعبيريّة (صفر) ولا مَحلَّ له من الإعراب، في الجانب التركيبي .

1/10/4 وزن الوحدة اللغوية في حالة الإدغام

يرى ابن جنّي أنّ الإدغام هو التقريب الصوتي؛ أي تقريب صوت من صوت، ويقع في درجات أقصاها حالة التماثل[24] .

إنّ تحقيق ظاهرة الإدغام في المستوى الصوتي ذو غرض قصدي، مساره التخفيف، واليسير في عملية الاجراء النطقي . فاللسان يعلوه الثّقل وهو يرتفع ويعود في اللحظة ذاتها، ليرتفع مرة ثانية، بغية تحقيق إنتاجية الصوتين.

---

(24) الكتاب 2/271-278 .

وتكاد مصنّفات القدامى لا تفرغ من ذكر مصطلح الإدغام، على الرغم مما يعتري جوانبه من اللبس . وعلامة الإدغام عند الخليل بن أحمد، التشديد؛ والمبرّد في الإدغام يعتمد اللسان إعتماداً واحداً [25].

يطرأ الإدغام على وحدات لغوّية كثيرة، طالما فيه إراحة للنفس من عناء الثّقل المصاحب لحركة اللسان، صعوداً وهبوطاً.

والميزان الصرفي لا يتأثر بهذه التبدلات الصوتية، لأنّه يعتمد الأصل في وزنها، وما جاء بعد ذلك من تحوّلات فإنّها تخضع لعوامل الزيادة في أصوات الميزان وفق منظورها الترتيبي التالي :

1/10/4/1 لا يؤثر الإدغام في الوزن إذا كان الصوتان أصليين:

يرى ابن جنّي أنّ الإدغام هو التقريب الصوتي؛ أي تقريب صوت من صوت، ويقع في درجات أقصاها حالة التماثل [25] .

إنّ تحقيق ظاهرة الإدغام في المستوى الصوتي ذو غرض قصدي، مساره التخفيف، التيسير في عملية الإجراء النطقي. فاللسان يعلوه الثّقل وهو يرتفع ويعود في اللحظة ذاتها، ليرتفع مرة ثانية، بغية تحقيق إنتاجية الصوتين.

وتكاد مصنّفات القدامى لا تفرغ من ذكر مصطلح الإدغام، على الرغم مما يعتري جوانبه من اللبس. وعلامة الإدغام عند الخليل بن أحمد، التشديد؛ والمبرّد في الإدغام يعتمد اللسان إعتماداً واحداً [26] .

---

(25) الأصوات اللغوية (299) .

(26) معجم العين (55/1) .

المقتضب (333/1) .

يطرأ الإدغام على وحدات لغّوية كثيرة، طالما فيه إراحة للنفس من عناء الثّقل المصاحب لحركة اللسان، صعوداً وهبوطاً.

والميزان الصرفي لا يتأثر بهذه التبدلات الصوتية، لأنّه يعتمد الأصل في وزنها، وما جاء بعد ذلك من تحوّلات فإنّها تخضع لعوامل الزيادة في أصوات الميزان وفق منظورها الترتيبي التالي :

لا يؤثر الإدغام في الوزن إذا كان الصوتان أصليين:

شدَّ ⟸ فَعَلَ

ظَلَّ ⟸ فَعَلَ

مَرَّ ⟸ فَعَلَ

شمَّ ⟸ فَعَلَ

أو كانا من كلمتين :

سكتُّ ، عليَّ ، مُخرِجَىَّ، ولديَّ

أو كان صوتي عِلّة :

سيِّدٌ ⟸ فيعلٌ

ليِّنٌ ⟸ فيعلٌ

حيَّ ⟸ فَعِلَ

عيَّ ⟸ فَعِلَ

عُصِيٌّ ⟸ فُعُولٌ

دُنوٌّ ⟸ فُعولٌ

1/10/4/2 أما إذا كان أحد الصوتين مكرراً عن الآخر، فإنّ الإدغام يؤثر في الوزن

قرَّبَ ⟸ فَعَّلَ

احْمَرَّ ⟸ افعلَّ

اطمأنّ ⟸ افعللَّ

مُتخرِّج ⟸ مُتفعِّلٌ

اقشعَرَّ ⟸ افعلَلَّ

مُتوعِّدٌ ⟸ متفَعِّلٌ

1/10/4/3 وكذلك إذا كان مع الإدغام حذف أو زيادة فإنّ ذلك يظهر على الوزن :

اشدُدْ : شُدَّ ⟸ فُعْلَ

احبُبْ : حُبَّ ⟸ فُعْلَ

اقتتل : قتّل ⟸ فَتْعَلَ

اكتتب: كتّبَ ⟸ فَتْعَلَ

تزيّن : ازيّن ⟸ اتفَعَّلَ

تدارك : ادّارك ⟸ اتفاعَلَ

والإدغام في رؤيته الصوتية تطويل الصوت الصامت، ولذا فإنّ الأصوات المدغمة تسمى بـ (الصوامت المضاعفة).

وتكلّم متقدمو القوم عن الادغامين الصغير والكبير. فالأوّل ما كان فيه

الحرف الأوّل ساكناً والثاني متحرّكاً . والثاني ما كان فيه الحرف الأول متحرٌكاً والثاني ساكناً. وسُمّي الثاني كبيراً لشموليته في الحدث الفعلي، ولتأثيره في تسكين الحرف المتحرٌك قبل إدغامه، واحتوائه جانباً من الصعوبة في التحقيق . فمن الأوّل ، جواز فكّ الادغام وإبقائه :

قال تعالى : ﴿ مَنْ يَرْتَدَّ منكم عن دينه ﴾ المائدة / 54

وقال تعالى: ﴿ومَنْ يَرْتَدِدْ منكم عن دينه فَيَمُتْ وهو كافر﴾ البقرة/ 217

وقال تعالى: ﴿ومَنْ يَشَاقّ الله فإنّ اللّه شديد العقاب﴾ الحشر / 4

وقال تعالى: ﴿ومَن يُشاقِقِ الله ورسوله فإنّ الله شديد العقاب» الأنفال/13

فقد أدغم في الصيغة الأولى وفكّ في الصيغة الثانية، لأنّ الصوت الثاني مسكّن لحدث عارض وهو الجزم.

ويسميه سيبويه (الإخفاء)، وهو صالح الحدوث في جميع الحروف ما عدا صوت (الألف) لأنّه ساكن أبداً في نظره، ولأنّ الحرف لا يدغم إلاّ بمثله، وليس لهذا الصوت مثل متحرٌك .

ومن الثاني الذي هو عكس القاعدة (تحرّك الصوت الثاني وسكون الصوت الأول) مع هاء السكت، قال تعالى « ما أغنى عَنّي ماليهْ هلك عَنّي سلطانيْه» الحاقة / 28، 29 .

ومن أمثلة إدغام الأصوات المتقاربة والمتباعدة:

قال تعالى : ﴿ أنّ غَيْرَ ذات الشوكة تكونُ لكم﴾ الانفال / 78

قال تعالى : ﴿ألا بُعْداً لمدين كما بعدت ثمود﴾ هود / 59

الحرف الأوّل ساكناً والثاني متحرّكاً . والثاني ما كان فيه الحرف الأول متحرّكاً والثاني ساكناً. وسُمّي الثاني كبيراً لشموليته في الحدث الفعلي، ولتأثيره في تسكين الحرف المتحرِّك قبل إدغامه، واحتوائه جانباً من الصعوبة في التحقيق . فمن الأوّل ، جواز فكّ الادغام وإبقائه :

قال تعالى : ﴿ مَنْ يَرْتَدَّ منكم عن دينه ﴾ المائدة / 54

وقال تعالى: ﴿ومَنْ يَرْتَدِدْ منكم عن دينه فَيَمُتْ وهو كافر﴾ البقرة/ 217

وقال تعالى: ﴿ومَنْ يَشَاقَّ الله فإنّ اللّه شديد العقاب﴾ الحشر / 4

وقال تعالى: ﴿ومَن يُشاقِقِ الله ورسوله فإنّ الله شديد العقاب» الأنفال/13

فقد أدغم في الصيغة الأولى وفكّ في الصيغة الثانية، لأنّ الصوت الثاني مسكّن لحدث عارض وهو الجزم.

ويسميه سيبويه (الإخفاء)، وهو صالح الحدوث في جميع الحروف ما عدا صوت (الألف) لأنّه ساكن أبداً في نظره، ولأنّ الحرف لا يدغم إلاّ بمثله، وليس لهذا الصوت مثل متحرِّك .

ومن الثاني الذي هو عكس القاعدة (تحرّك الصوت الثاني وسكون الصوت الأول) مع هاء السكت، قال تعالى « ما أغنى عَنّي مالِيهْ هلك عَنّي سلطانِيْه» الحاقة / 28، 29 .

ومن أمثلة إدغام الأصوات المتقاربة والمتباعدة:

قال تعالى : ﴿ أنّ غَيْرَ ذات الشوكة تكونُ لكم﴾ الانفال / 78

قال تعالى : ﴿ألا بُعْداً لمدين كما بعدت ثمود﴾ هود / 59

قال تعالى : ﴿كلمّا نضجَتْ جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها﴾ النساء / 56

قال تعالى : ﴿ إلاّ ما حملت ظهورها﴾ الأنعام / 146

وتتمثل ظاهرة الإدغام بشكل واضح في الوحدات اللغويّة التي تحتوي على «الأصوات الشمسّية» بعد أل التعريف .

1/10/5 وزن الوحدة اللغوية في حالة الإعلال

الإعلال تغيير يلحق الأصوات المعتلّة (الصائتة) الطويلة، مما يتسبب في تغيير البنية اللغوية؛ حذفاً ، أو قلباً، أو تسكيناً، وفقاً لضوابط، وقوانين، يحددها علم القواعد.

لا يؤثر الإعلال في الوزن الصرفي، سواء كان إعلالاً بالحذف، أو بالتسكين ، أو بالقلب. ويجري ذلك على وفق الصور التالية :

1/10/5/1 لا يؤثر الإعلال في الوزن الصرفي، إذا وقع في صوت أصلي:

مُنتَدى ⟸ مُفْتَعَل

الغازي ⟸ الفاعلُ

مكانٌ ⟸ مَفْعَلٌ

يختارُ ⟸ يَفْتَعلُ

ميزانُ ⟸ مفعْال

موسرٌ ⟸ مُفْعِلٌ

يعودُ ⟸ يَفْعَلُ

تُبودِل ⟸ تفوعلَ

1/10/5/2 إذا وقع الإعلال في صوت علّة فائض، فإنّ الوزن الصرفي يظهر أثره .

شويعر ⇐ فويعل

عواصم ⇐ فواعِلُ

عصافير ⇐ فعاليل

1/10/5/3 يتأثر الوزن، إذا كان في الإعلال حذف صوتي:

يَدَعُ ⇐ يَعلُ

مَصونٌ ⇐ مَفعِلٌ

مَيْتٌ ⇐ فيلٌ

كينونة ⇐ فيلولة

1/10/6 وزن الوحدة اللغوية في حالة الإبدال

الإبدال صورة لغوية تنمو تركيبتها الصوتية عن طريق إبعاد أحد الأصوات الصامتة، وإقامة آخر مكانه .

لا يؤثر الإبدال الصوتي في الوزن الصرفي، ويجري وفق الصور التالية:

1/10/6/1 إذا كان الصوت المبدل أصلياً.

1/10/6/2 إذا كان الصوت المبدل مكرراً لصوت أصلي .

1/10/6/3 إذا كان الصوت المبدل منقلباً عن صوت أصلي .

1/10/6/4 إذا كان الصوت المبدل صوتاً صحيحاً فائضاً.

1/10/6/5 إذا كان الصوت المبدل يائين وقد وقعتا في آخر الوحدة اللغويّة.

تُراث ⟸ فُعالٌ

آلام ⟸ أفْعالٌ

شؤم ⟸ فُعْلٌ

دينار ⟸ فِعّالٌ

ديوان ⟸ فَعّال

رجاء ⟸ فَعال

ازدهر ⟸ افتعلَ

يزدحم ⟸ يفتعل

تميميّ ⟸ فعيليّ

عليّ ⟸ فعيلُ

اعتناء ⟸ افتعالٌ

1/10/6/6 أما إذا كان الصوت المبدل صائتاً فائضاً، فإنّه يؤثر في وزن الوحدة اللغويّة :

رسائلُ ⟸ فعائلُ

ضمائرُ ⟸ فعائلُ

صحراء ⟸ فعلاءُ

1/10/7 وزن الوحدة اللغويّة في حالة القلب المكاني

القلب المكاني، كما يذهب ابن فارس، من سَنَن العرب. ويؤكد ابن دريد وجود الظاهرة، وابن جنّي يستشعر صعوبة في جعل أحد اللفظين أصلاً لصاحبه، أو مقلوباً عن صاحبه، ويرى في ذلك فساداً وتكلّفاً [27].

القلب المكاني، تبادل في المواقع يحدث بين الأصوات المتجاورة في السلسلة الكلامية، وهو بعد ذلك ظاهرة صرفية تدور في ميدان التقديم والتأخير .

وقد عرفت اللغات السامية القلب المكاني، وحتّى اللغات اللاتينية، مما يدلنا على قدم هذه الظاهرة وتأصّلها.

ويرى ماريو باي أنّ السبب وراء هذه الظاهرة الصوتية نمو النشاط الانساني بمرور الزمن، والميل الطبيعي لنمو مفردات اللغة وتكاثرها [28].

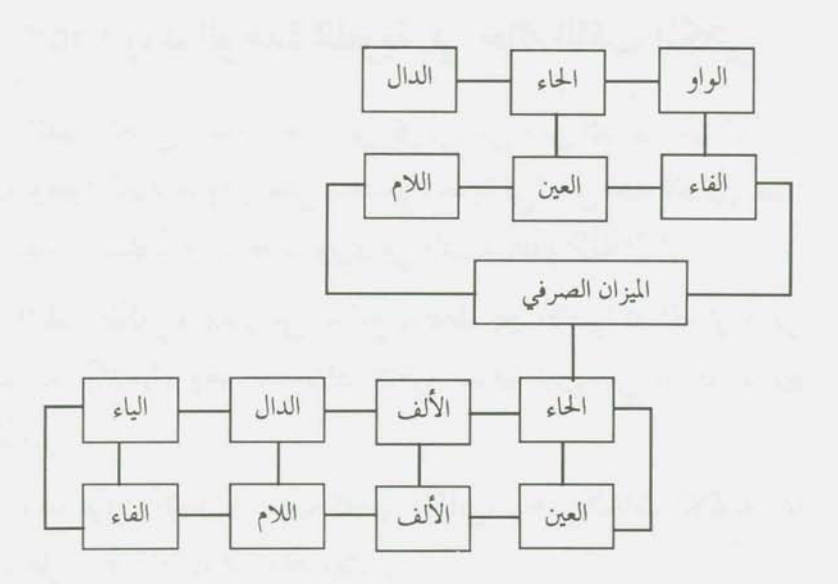
ولعلّ قانون اختزال الجهد خير من يفسِّر وجود الظاهرة[29]. إن هذا التبادل الموقعي يؤثر في الميزان الصرفي، فالوحدة اللغويّة (حادي) أصلها (واحد) ووزنها (فاعل) ولذا فإنّ وزنها (عالف) وفق المنظور التركيبي التالي :

---

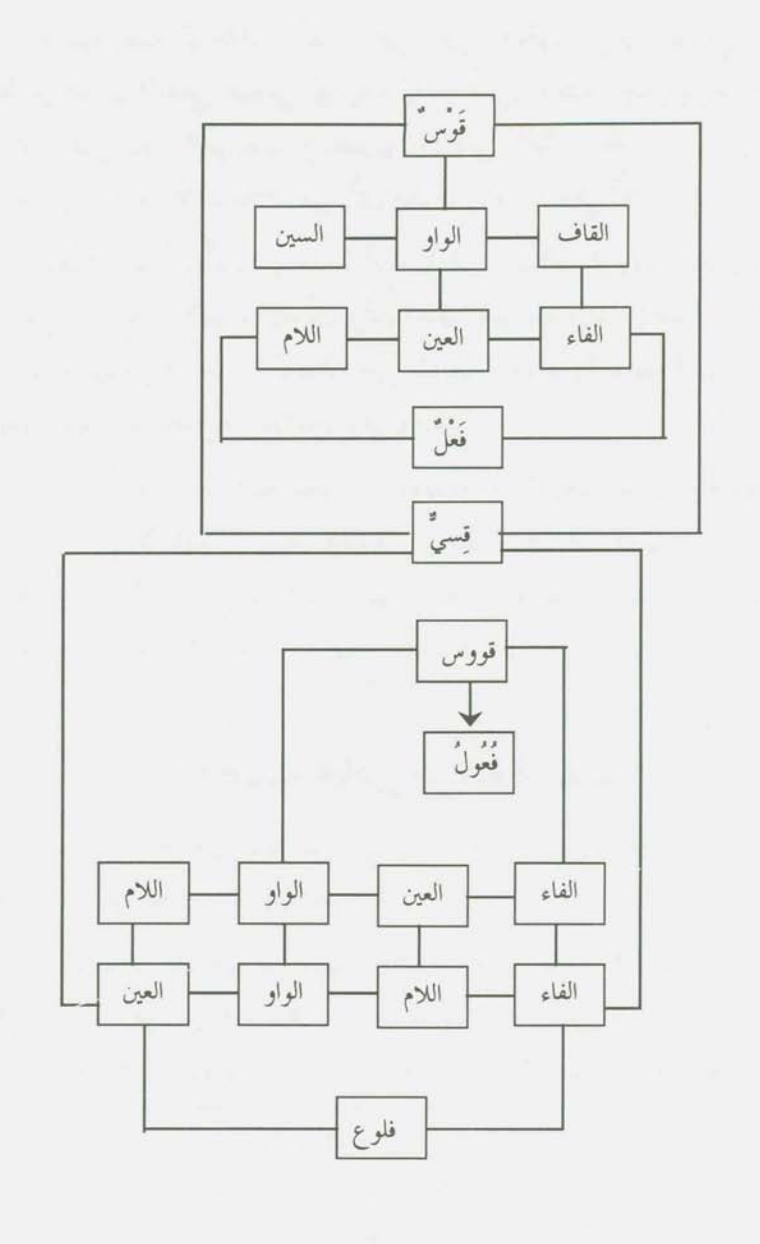
(27) البنية اللغوية في اللهجة الباهلية (68) .

(28) المرجع نفسه (69) .

(29) الأصوات اللغوية (265) .



والوحدة اللغويّة (قسيٌّ) أحد أنواع جمع المفردة (قوس) . وأصل الجمع (قووس) على وزن (فُعُول) وهو معيار الوحدات التي تأتي على زنة (فَعْلٌ). ويأتي القلب المكاني ليقلب الصورة البنائية، ويبادل أماكن تواجدها، وفق البيان الصوتي التالي :


قَوْسٌ
القاف
الواو
السين
الفاء
العين
اللام
فَعْلٌ
قِسِيٌّ
قووس
فُعُولُ
الفاء
العين
الواو
اللام
الفاء
اللام
الواو
العين
فلوع

وشبيه بهذه الوحدات: أَيِسَ : في يَئِسَ : فيكون وزنها الصرفي عن طريق التبادل الموقعي لصوتي الهمزة والياء (عَفِلَ). ومثله (جبذ) و(جذب) اللتان تنازعهما الكوفيون والبصريون، على أنّها لغتان على رأي البصريين[30]، وخلاف ذلك على رأي الكوفيين. و(آبار) في أبْئار .

وهكذا تتبوأ الأصوات منزلة أساسية في بناء الصيغ وتلوّناتها، وهي تدخل مسرح التراكيب اللغويّة، وتمدُّ الفكر بمقوماته وسبل إخصابه، وأنّه دون رؤيتها من الداخل، والوقوف على طبائعها وخواصّها الوظيفية، لا يمكن لعلوم العربيّة أنْ تصل منازلها من الرقي والتقدّم.

وقبل أن نبحر مع البنية اللغويّة، حدودها، ووظائفها وعلومها، وخلاياها التركيبية، ودلالاتها التعبيريّة، وسياقاتها، وجذورها عبر منظومة الثوابت والمتغيرات، لا بدّ أن نؤشّر البيان الصوتي لتلك الفونيمات، التي أطلق عليها بُناة اللغة (حروف الزيادة)[31] ونفصّل القول في أبعادها الصوتية.

1/11 فصيلة عناصر الزيادة الصوتية

تتبوأ هذه العناصر منزلة مهّمة في البناء الصرفي، وعليها تتوقف الأحكام والمقاييس في مجمل القضايا اللغوية.

وقد أفاض القدماء في بيانها، وهم يدرسون المادة اللغوية، لما تحمله في درسهم الصوتي، والصرفي من أهمية في توجيه البنى، والتراكيب. هذه الأصوات في حقيقتها صوائت طويلة، منها ما يمكن أن نصطلح عليه

---

(30) البنية اللغوية في اللهجة الباهلية (68)

(31) وهي ما أشرنا إليه في وزن الوحدة اللغوية المزيدة.

Long -vowels، والآخر ننعته بالأصوات الانتقالية Semi - Consonants، لامتلاكها القدرة على تبادل المواقع مع الأصوات الصامتة Consonants وهما صوتا (الواو والياء).

هذه الأصوات هي عناصر المادة اللغوية (الخام) تشكِّلُ مع عناصر صوتية أخرى البناء الصوتي للغة العربية. وقد رأيت أنّه من الحقّ أن نطلق عليها (أصوات) بدلاً من (حروف) لأنّ الحرف هو الجانب المادي للصوت. وبما أنّ القدماء كانوا وراء ظاهرة النّص المكتوب، يعتمدونه في بيان القيم اللغوية المختلفة، ويقيمون عليه الأقيسة والمعايير، أوقعهم ذلك في تراكمية تعقيدية، في الميدانين الصوتي، والصرفي ، وبمعيتها النظمي والدّلالي، وجرّهم إلى شائكات تحليلية، قادتهم إلى عدم الصواب في التصّور ، والبيان، وهم يتحدثون عن الصوامت والصوائت، عناصر اللغة الأساسيّة ، اعتماداً على المكتوب دون الملفوظ، وهذا، واقعاً من ظواهر خداع الكتابة.

اللغة العربيّة – لغة اشتقاقية تقوم على بنية صوتية أصليّة تسمى بـ (الجذر – Root)[32] وهذه البنية، لكي تسدّ حاجات الفكر من الوحدات اللغويّة، تتشكل على هيئات وصور متباينة، بواسطة عناصر صوتية تدخل عليها من بواباتها الثلاثة على وفق قوانين وأنظمة ومعايير تحكم صوغها، لكي تنتج صيغاً تسدّ الحاجة، وتوفّي أغراض المريدين، وتملأ حقائب رغباتهم البيانية. ونحن في معرض بيان العناصر الصوتية، لا بد أن نؤشّر المنابع اللغوية.

---

(32) تباينت الآراء في أصل الاشتقاق وأشهرها ثلاثة : المصدر عند البصريين أصل المشتقات، والفعل عند الكوفيين، أصل المشتقات. وقال قوم إن أصل المشتقات أسماء الأعيان (الأمكنة والأهل وسواها).

1/12 منابع الوحدة اللغوية

1/12/1 الاشتقاق :

يعتبر الاشتقاق ، كما حدّه السيوطي : « أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنىً ومادة أصلية، وهيئة تركيب لها، ليدلّ بالثانية على معنى الأصل، بزيادة مفيدة، لأجلها اختلفا حروفاً أو هيئة، كضارب من ضرب، وحذر من حذر» (33) ، أساس المادة اللغويّة .

وقد أطلق قدامى القوم على هذا النوع من الاشتقاق بـ (الاشتقاق الصغير)، وهو يشكّل نسبة عالية، بالقياس إلى النوعين الآخرين وهما الاشتقاق الكبير، والأشتقاق الأكبر.

ولعلّ ابن جنّي المعتزلي أكثر من تحدّث عن هذه الأنواع، وفصّل القول فيها، مع التباين الاصطلاحي.

عالج ابن جنّي هذه الأنواع في تكويناته: الاشتقاق الأكبر، وتصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، وإمساس الألفاظ أشباه المعاني. وقد أراد من كلّ ذلك أن يبسط القول في نظريته اللغويّة التي تتحرك في دائرة «ا لدلالة الصوتية» .

فالاشتقاق الكبير هو الاشتقاق الأكبر عنده، وهو :

« أنْ تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثة، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنىً واحداً، تجتمع التراكيب الستة، وما يتصرف من كلّ واحد منها عليه، وإنْ تباعد شيء من ذلك عنه، رُدَّ بلطف الصنعة والتأويل إليه» (34).

---

(33) المزهر (346/1) .

(34) الخصائص (134/2).

وهذا ما قامت عليه نظرية الخليل الصوتية المركزية، التي وضع من خلالها الإمكانات النظريّة لحصر اللغة، عن طريق معطيات المادة، معتمداً مبدأ الجذريّة أساساً في بناء معجم (العين)، وما تفرزه من ألوان المشتقّات، وهو المبدأ الذي سار عليه واضعو المعجم العربي، كأساس عام في التركيب، وتوزّعوا بعد ذلك فرقاً في أنظمة الترتيب والتبويب [35].

فالجذر الصوتي الثلاثي البناء (قَوَلَ) تُنْبيءُ تقاليبه عن الاشتراك في معنى واحد عن طريق تبادلية المواقع، وهو الخفوف والحركة [36].

والاشتقاق الأكبر، عند ابن جنّي ، (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني). ولكي تكون المعاني متقاربة، كالثنائي (ج+ب) عند اقترانه بصوت ثالث يؤدي إلى معنى اجتماع الأجزاء وتراجعها. ويمثل هذا الجانب تطّوراً آخر في جوهر الأصوات، فرض وجوده على اللغة بمرور الزمن، وكان أكثرها لصوقاً وأميل إلى الارتباط بالمعاني، وهو على درجات تتحكم فيه قوى، الخفّة والثقل، والكثرة والقلة، والطول والقصر، والقوة والضعف. وسميت هذه الظاهرة بالأصداء (Echoism) أو ظاهرة أفعال الأنوماتوبيا (Onomatopia)

أما في إمساس الألفاظ أشباه المعاني، فيكون السبب في تقارب المعاني، تقارب جرس أصواتها فمحسوس الحدث عند ابن جنّي، يكافئ مسموع الصوت.

---

(35) المدارس المعجمية (108).

(36) اللغة بين ثنائية التوقيف والمواضعة (74)

– جاء في كتاب تراث الإنسانية أنّ عدد الأبنية العربيّة المستعملة والمهملة على المراتب الأربع من غير تكرار (12,305,412) ؛ (896/1).

ونحن لا نبتغي الإفاضة في شرح أبعاد النظرية الاشتقاقية العربيّة، بقدر ما أردنا الإلماع إلى ماهيّة النوع الذي يقوم على أساسه بناء العربيّة .

1/12/2 الإلصاق

يعتبر الإلصاق الوسيلة الأخرى التي تبنّتْها العربية في إقامة تراكيبها.

ينهض الإلصاق على مبدأ إضافة كميّة من العناصر الصوتية إلى الوحدة اللغويّة، على هيئة سوابق أو لواحق (prefixes - Suffixes) دون الإمساس بتشكيل بنائها الصوتي.وهذا ما يجعل العربية تأخذ نصيباً محدوداً في جانب انتمائيتها إلى اللغات الإلصاقية، كالانجليزية، والفرنسية وسواهما.

تبرز ظواهر الإلصاق الصوتي في البنية العربيّة عبر التعريف بـ(أل)، والتأنيث، بإضافة ألف مقصورة، وممدودة، أو تاء؛ والنسب بإضافة ياء إلى آخر اللفظة، والتصغير، بأضافة ياء التصغير على تركيب الوحدة المصغّرة، والتثنية بإضافة (ألف ونون) أو (ياء ونون) والجمع بإضافة (واو ونون) أو (ياء ونون)، أو (ألف وتاء).

وتتفاوت نسب القبول لهذه السوابق أو اللواحق؛ وكلّ يجري وفق أنظمة وأحكام متقنة .

تقضي تكوينات العناصر الصوتية المُضافة إلى هيئة الصورة اللفظية إلى زيادة كميّة الدلالة، وهو أهمّ ما تقدمه مجموعة هذه العناصر، لأنّ اللغة وعاء الفكر، وهما وجهان لِعُملةٍ واحدة، فلا بّد من أن تواكب اللغة النمو الفكري، وهذا أحد الجوانب التي تثري بنائها. فمن الجذر الثلاثي (كتب) نشتق: كاتبٌ، مكتوبٌ، كتابٌ، كَتيبَةٌ، مَكْتبٌ .. فنزيد أصوات الألف (الصائت

الطويل) بعد الصامت (الكاف) لتؤدي معنىً مضافاً إلى عموم المعنى، وهو الدلالة على الفاعليّة، ونزيد الصامت (الميم) والصائت الطويل (الواو المديّة) لبيان من وقع عليه الأثر ، ونزيد صوت الألف (الصائت الطويل) بعد الصوت الصامت (التاء) ليؤدي دلالة المُنْجز من صناعة الكاتب، وهكذا تستمر الدَّلالة في النمو والتباين، من خلال حركة الصوامت، والصوائت، وتبادلها بين المواقع.

وما أصوات (الهمزة، والنون، والياء ، التاء) في أول بناء صيغة الفعل المضارع، إلاّ دليلاً آخر على قدرة هذه الأصوات للإنتقال بالحدث من الزمن الماضي إلى زمن الحضور والاستقبال ، بالإضافة إلى حَمْلها شارَة الفاعل، مما يغني عن الافتراضات النحوية القائمة على التأويل التَّعَسُّفي باستتار الفاعل.

1/12/3 **الإلحاق** :

إضافة صوتية تلحق الاسم أو الفعل، وتكون بزيادة صوت واحد أو أكثر، لكي يتوائم تركيبه اللفظي مع تركيب آخر في الكميّة والنوعيّة (في عدد الصوامت والصوائت وتراكيبها الصفريّة).

وقد نَثَرهُ القدماء على أبواب مصنّفاتهم، دون أنْ يفردوه بمبحث خاص، وكأنّهم رأوا فيه، على الرغم من أهميته الصرفيّة، زاداً سميناً لطلاّب موسيقى الشعر، وقوافيه، وأوزانه ، فضلاً عن قيمته الصوتية .

ويبدو من فيض الأمثلة والشواهد التي ساقها القدماء، أنَّ هذا الباب قد يولج من قبل نفرٍ من المعاصرين، كتّاباً أو شعراء، لا ثراء نصوصهم اللغويّة، ولذا لا يمكن لقيمته أن تبرز للعيان، الاّ في ميدان البحث الألسني المعاصر،

وروّاد مصطلحات المناهج الفكريّة، وصيّادو الألفاظ، لذلك لا نُحبّذ الإفاضة في تفصيلاته سوى أنْ نقول :

لا تخضع الزيادة الصوتية الإلحاقية لعوامل الاطّراد في الإفادة الدّلاليّة . وأمثلة هذا الجانب لا تؤشّرها الأصوات الملحقة في (كاتب، مكتوب،كتابة) لأنّها أفادت معنىً فرعياً أضيف إلى المعنى العام. ولكن حين نستمع إلى الشاعر وهو يقول :

وأنتَ كثيرٌ يا ابنَ مروانَ طَيِّبٌ

وكان أبوك ابنَ العَقائِل كَوْثَرا

نجد أن كلمة (كَوْثر) جاءت بدلالة (الكَثْرة) التي يؤدّيها جذرها اللغوي (كَثُرَ) . ولعلّ الشاعر بهذه الزيادة الإلحاقية أقام الوزن، وأجرى نهر القافية. ولذا فإنّ الزيادة – هنا – لا تعدو الجانب اللفظي ، ليس غير .

وإلحاق (صوت الباء) في آخر الفعل (ضَرَبَ) لا تفيد معنىً إضافياً، قدر ما تلحق الفعل بالرباعي («دَحْرَجَ»، وتجعله مساوياً له في الوزن، وحركة الصوائت ، والتركيب الصفري .

ولذا فإنّ الزيادة الإلحاقية يجب أن تقود (الملحق والملحق به) إلى سلوك مماثل في كافة الجوانب (التصريفية، ماض، مضارع، أمر ،اسم فاعل، اسم مفعول، إن كان فعلاً، وان كا ن اسماً تبعه في التصغير وجمع التكسير).

[ضَرْبَبَ – يُضَرْبِبُ – ضَرْبَبَةً – مُضَرْبِبُ – مُضَرْبَبُ]

[دَحْرَجَ – يُدَحْرِجُ – دَحْرَجَةً – مُدَحْرِجُ – مُدَحْرَجُ]

[ضَرْبَبٌ] [جَعْفَرٌ]

- **إلحاق الاسم الرباعي المجّرد**

[يجب ان يجمع على ما يجمع عليه جعفر – جعافر ، وكذا ضربب – ضرابب، وأنْ يصغر جعفر على جعيفر، فكذا ضربب، ضُريبب] .

- **إلحاق الثلاثي بالرباعي (الأفعال)**

جَهْوَرَ، دَهْوَرَ، جَلْبَبَ ، حَوْقَلَ، هَيْمَنَ ، قَلْنَسَ ..

- **إلحاق الثلاثي بالرباعي (الاسماء)**

جَدولٌ ، ومَهْدَدٌ ، من الجَدْل والمهَدْ .

- **إلحاق الثلاثي بالخماسي**

عَفَجَ : غلظ طبعه وجفا وبزيادة صوتين صامتين تصبح

⟸ عفَنْجَجٌ «الاسم».

⟸ عفَنْجَجْ «الفعل».

عَلَدَ – الغليظ الشديد من الخيل ليصبح: عَلَنْدَى – «الاسم».

بزيادة النون والألف ملحقاً بالخماسي المجرّد مثل «سَفَرْجَلُ» «فُرزدق» .

- **إلحاق الرباعي المجرّد بالخماسي المجرّد**

سَجَنْجَلُ فُعَيْلَلٌ (المرآة)

سُمَيْدَعُ فُعَيْلَلٌ «الجميل من الرجال»

سَبَهْلَلُ فَعَلَّلُ «الفارغ من الرجال»

فهذه الأسماء وما ماثلها ملحقة بالاسم الخماسي المجرّد . (فَرَزْدَقُ).

تخضع هذه الصيغ الملحقة لضروب من التلوّنات الصرفية الأخرى كالتصغير، وجمع التكسير:

جعفر ⇐ جعيفر ⇐ جعافر
ضربب ⇐ ضريبب ⇐ ضرابب
وهذا في الرباعي

ومن الملحق بجعفر: «زينب، كوكب، حنظل».

عفنجج ⇐ عُفينج ⇐ عفانج
علندي ⇐ عُليند ⇐ علاند
وهذا في الخماسي لأنّ التصغير والتكسير مع هذا البناء يكون بحذف الصوت الخامس

وكما يحدث الإلحاق بالصيغ المجرّدة، فإنّه يحدث – أيضاً – مع الصيغ المزيدة – أسمية أو فعليّة.

احرنجم – فعل خماسي مزيد بالنون، نظراً لاحتياج هذا الصوت في تأدية مهمة المطاوعة في أصل الفعل (حَرْجَمَ) يقال: حَرجَمْتُ القومَ فاحْرنجموا إذا (اجتمعوا)

افْرَنْقَعَ – فعل خماسي مزيد بالنون، نظراً لاحتياج هذا الصوت في تأدية مهمة المطاوعة في أصل الفعل (فَرْقَعَ) يقال: فرقَعْتُ الأولادَ فافرنقعوا أي (تفرّقوا).

أما (اعشوشب) فإنه لا يمكن أن يكونَ ملحقاً بهذين الفعلين، لأنّ صيغته البنائية مختلفة من حيث ترتيب مواقعها الصوتية وهو شرط الإلحاق.

وهكذا يتبين أنّ الإلحاق، عملية صوتية، القصْد من تحقيقها إلحاق صيغة بنائية بأخرى، ولذلك يمتنع فيه الإدغام الصوتي. ففي «قُعْدُدٌ – مَهْدَدٌ – شَمْلَلٌ...»، لأسباب تتصل بفقدان البناء اللفظي هيئة البناء الملحق به.

1/13 الحركة البيانية للزوائد الصوتية

ما سبق بيانه، حالات الزيادة الصوتية لأغراض الإلحاق. وهناك نوع من الزيادة الصوتية يدخل في صلب بناء التراكيب، ويوجّه حركة المقاطع، باعتبارها فونيمات فوق تركيبية Supra - segmental phonemes ، وهي:

1/13/1 الزيادة من أجل عبور الصوت الساكن : «صائت الإيصال»

1/13/2 الزيادة لبيان ماهيّة الصائت: «هاء السكت»: «هاء التبيين»

1/13/3 الزيادة للتعويض الصوتي.

1/13/1 الزيادة من أجل عبور الصوت الساكن «صائت الإيصال»[37]

لمّا كان الفعل أصلاً في التصريف فإنه أضحى بحاجة الى هذا الصائت، لأنه يَمرُّ بحالات كثيرة أثناء عملية التحويل، فما يستوجب أن يأتي أوّله: «صوت ذو تركيب صفري» مما ليس للعربية به عهد على الإطلاق. وقد سمّاها قدامى القوم والمحدثون «همزة الوصل» وجاء في تصانيفهم أنهم اقتطعوا رأس الصاد دليلاً رمزياً لها. وإني لا أنزعُ الى تسميتها بـ «الهمزة» لأنّها ليست وقفة حنجرية "glottal Stop" . بل هي صائت يتوصل به الى النطق بالصوت الساكن «التركيب الصفري». ولذا آثرت تسميتها بـ «صائت الإيصال» .

وله قواعد ومعايير، نثبتها فيما يلي:

---

(37) همزة الوصل ، وتسمى أيضاً الحركة المختلسة، وألف الا تكاء.

A- يأتي قياسيًا في الأفعال

-في ماضي الفعل الخماسي والسداسي: «انطلق – استخرجَ».

- في الأمر من الفعل الخماسي والسداسي : «انطَلِقْ – اسْتخْرِجْ».

- في الأمرِ منِ الفعل الثلاثي، بشرط أن يسكّن صوته الثاني في المضارع: «اكْتبْ ، انصرْ».

- في مصدر الفعل الماضي الخماسي والسداسي: «اجتماع-استخراج».

B- مواضعه في الأسماء

- يُزاد في الأسماء وفق حالين:

-يكون قياسياً في مصادر الاسم الخماسي، والسداسي مثل: «الانطلاق، الاستخراج».

C- يكون سماعياً في عشرة أسماء وهي

«اسم، است، ابن ، ابنم، ابنه، اثنين، اثنتين ، امرؤ – امرأة، ايم، ايمن».

D **-لا يقع في فعل مضارع مطلقاً، لأنّه مبدوء بأحرف المضارعة وهي متحرّكة «أضْرِبُ، أكْتب».**

E- لا يقع في فعل ماضي ثلاثي «أمَرَ» ولا رباعي: «أكرم» «إكراماً».

لا يثبت إلاّ في ضرورة الشعر:

ألا لا أرى إثنين أحسن شيمةً   على حَدَثان الدهر مني ومن جُمُلِ

F- سمع صائت الإيصال في حرفين هما «أل» و «أم» في لغة حمير ، قال تعالى : ﴿**الشمس والقمر بحسبان**﴾ وفي قول الرسول الكريم : (**ليس من إمبر إمصيام في إمسفر**).

- لصائت الإيصال حالات حركيّة:

1- وجوب الفتح في «أل» و «أم».
2- وجوب الضم في الفعل الخماسي ، والسداسي مبنيين للمجهول ، وفي أمر الثلاثي ، إذا كان مضموم العين في المضارع.
3- وجوب الكسر في ماعدا ذلك.
4- يعرف صائت الإيصال بسقوطه في التصغير: «ابن – اسم: «بني، سمي» بخلاف صوت همزة القطع «أبي، أخي» في التصغير فإنها تبقى.

وبيان الجانب الصوتي في «صائت الإيصال» أنّها صُويت يعين على تحريك الصوت الساكن، لكي يوافق بناء العربية، التي تقضي أحكامها ، أنْ لا يبتدأ بساكن ، ولا يوقف على متحرِّك. ولو استعرضنا الشواهد التالية مقطعياً لأمكننا رصد الحركة الصوتية بشكل أمثل:

فلو أسندنا ياء المخاطبة للفعل الماضي «كَتَبَ» لكان

كَتَبَي ⟸ س ع+ س ع+ س ع+ ع ع

وبما أنّ هذا اللون من المقاطع لا يأتي في نسج العربية، كان لا بدّ من اعتماد «صائت الإيصال»:

اكتُبي ⟸ ع س + س ع + س ع ع

ليكون التركيب مؤلفاً من (T) + (R) + (H)

حكم قدامى القوم على زيادة «همزة الوصل». ويبدو أنه أمرٌ يعتريه بعض الغموض، لعدم تمكّنهم من اسناده بدليل واحد يثبت عدم امكانية الابتداء بالصوت الساكن، على الرغم من تصريح البعض منهم، كابن جنّي ، بأنّه أمر ممكن ، إلاّ أنّه نطق متعسِّر.

ويبدو أنهم في مذهبهم هذا، استندوا على ملاحظاتهم الذاتية واجتهاداتهم في سكون الصوت الأول في مبتدأ الكلمة.

ويفيد سيبوبة في هذا المقام ، قائلاً : «لم تصل إليّ أن تبتديء بساكن،

فقدّمت الزيادة ، متحرّكة لتصل إلى التكلّم ، والزيادة ههنا الألف الموصولة»[38].

وإشارة سيبوبة ، إلى وظيفة هذه الهمزة، وهي التوصل الى النطق بالصوت الساكن.

ولعلّ نظام العربية الصوتي، لم يألف مثل هذا اللون من الابتداء على الرغم من أنها ظاهرة متواجدة في أرومتها من اللغات الساميّة، مثل اللغة السريانية . ولعلّها كانت في زمن ما من تأريخ العربيّة، موجودة، لكنها اندثرت بتوالي الدهور. ويبقى المستوى العاميّ محتفظاً بها في كثير من الكلمات في اللهجات المحليّة.

هذه الهمزة، كما يؤشّرها ابن هشام قائلاً: «موجودة في الابتداء، مفقودة في الدّرج»[39]. ويراها ابن السرّاج: (ألف الوصل همزة زائدة)[40] وإلى هذا يذهب اسماعيل بن حمّاد الجوهري، كما أفاد بن منظور[41] .

ويصرّح الرضي الاسترابادي أنّ (اثباتها وصلاً لحنٌ) [42] وهي عند إبن السرّاج: «يوصل بها الى الساكن في الفعل، والاسم، والحرف، إذ كان لا لا يكون أن يتبدأ بساكن » [43]

ومن خلال هذه النصوص نسجّل الآتي:

---

(38) الكتاب 144/4 تحقيق هارون 1982 ط2.
(39) أوضح المسالك (القاهرة – (300).
(40) الأصول في النحو 376/2 .
(41) لسان العرب – باب الهمزة .
(42) شرح الشافية265/2 .
(43) الأصول في النحو (367/2) .

1- تقوم وظيفتها حين تكون في ابتداء كلام، وحين الوقف القياسي(44) أمّا حين الوصل، فإنها تسقط وظيفياً ، لعدم توفّر المسبب لوجودها وهو الصوت الساكن. وإلى هذا أشار المبّردْ قائلاً: «فإن كان قبلها كلام سقطت، لأنّ الذي قبلها معتمد للساكن مُغْنٍ، فلا وجه لدخولها» (45).

2- أدرك قدامى القوم استقلالية هذا المورفيم وظيفياً في الميدان اللغوي.

3- إنّها ليست من فصيلة الأصوات الصامتة، إنّما صائت قصير - Short vowel تنهض وظيفته على عبور الصوت الساكن الذي لا يألفه نسج اللغة العربية، ولذا اصطلحنا عليه بـ «صائت الإيصال»، تمييزاً له عن الهمزة القطعية الحنجرية "glottal" . فهي ليست حركة تامّة ، إنّما صويت قصير.

4- وبناء على هذا، فإنّها بوظيفتها هذه، تؤدي الى إضافة نوعين جديدين من المقاطع إلى نسج اللغة العربية من نوع (ع س) (ع س س) . وعلى هذا فإنّا نُدلّ على النوع الأوّل بـ (S) وصفته (H) وعلى النوع الثاني بـ (K) وصفته (L) ، حين تمتحن الصيغ الصرفية.

5- يقع هذا المقطع في الصيغ التالية:

(الاسميّة):

ابْن، ابْنه، امْرؤ، امْرأة، اثْنان، اثْنتان، اسْم، اسْت، ابْنم (بمعنى ابْن).

(الفعلية):

أ- صيغة الأمر من الفعل الثلاثي (كَتَبَ، سَمعَ...)، (اسْمَعْ، اكْتُب..).

(44) معياره تمام الدلالة، وهو الحالة المنظّمة التي تختلف عن انقطاع النفس ، بسبب عوامل خارجيّة تؤثر في سير الدلالة.

(45) المقتضب (85/2).

ب- صيغة الماضي من الفعل الخماسي (انْطَلَقَ...).

جـ - صيغة الماضي من الفعل السداسي (اسْتوعَبَ...).

د- صيغة الأمر من الفعل الخماسي (انْطَلِقْ..).

هـ- صيغة الأمر في الفعل السداسي (اسْتوعِبْ..).

و- صيغة المصدر من الفعل الخماسي (انْطلاق...).

ز- صيغة المصدر من الفعل السداسي (اسْتيعاب..).

وكلّها تبتدأ بالمقطع (ع س).

6- تكمن الوظيفة الفونولوجيّة لصائت الإيصال في صورتي الكسر والضم.

7- جميع أصوات الألف التي في أوائل الصيغ الفعلية هي (صوائت إيصال) سوى:

أ- ألف أَفْعَلَ والأمر منه: أكرم - أَكْرِم.

ب- ألف المتكلّم عن ذاته: أَذْهَبُ ، أرجع ، أَكتبُ..

حـ- ألف الاستفهام : أقامَ محمّدٌ...

د- ألف المهموز من الأفعال الثلاثية: أَكَلَ ، أَخَذَ.. فإنها همزات قطع.

8- الحرف الذي زيد فيه صائت الإيصال هو (لام التعريف): (الغلام، الجارية ..) ، وهي مورفيم مقيّد Bound Morpheme تلحق الاسماء تحت ما ينعت بـ (السوابق (prefixes وفي بدايتها .

9- جميع التطورات التي تحدث على (صائت الإيصال) محكومة بظاهرة (المماثلة Assimilation) في مثل:

اِقْتُل اُقْتُل وقد تأثرت الكسرة بالضمّة ، ومثلها :

انْطَلَقَ - اُنْطلق، اِقْتدر - اُقْتدر...

1/13/2 الزيادة لبيان ماهية الصائت (هاء السكت ، الاستراحة، التبيين[46]

من أجل رفع اللبس الحاصل على الوحدة اللغوية، وإظهار قيمها الصوتية بشكل أوضح، اعتُمدت بعض الأصوات كمرافقة لرحلة التحقيق الصوتي، من أجل بيان قيمه الوظيفية.

في قولنا: لِمَ، عَمَّ، (قِ، عِ، رِ، شِ، الأمر من وقى، وعى ، رأى، وشى)، ففي الوقف عليها ، يذوب الصائت القصير، وتتلاشى قيمته الوظيفية التمييزية ، ولذا عَمَدَ المُقَعِّدونَ الى إدخال صوت «الهاء» المشكّلة بالسكون ليكون التركيب:

لِمَهْ، عَمَّهْ، قِهْ، عِهْ، رِهْ، شِهْ.

إنّ اعتماد (الهاء) ، هذا الصوت الحنجري الاحتكاكي المهموس المرقق ، لإسعاف هذه الحالة ، دون بقية أصوات العربية، نظراً لما يتميز به هذا الصوت عند إنتاجه من إرسال الشحنة الهوائية المكوّنة له خالصة دون إعاقة، إلاّ ما يسمع عنه من بعض الاحتكاك، الذي هو بسبب ضيق المجري التنفّسي عند الحجرة. وفي هذه إراحة لمسعى الناطق في التحقيق الصوتي.

فضلاً عن ذلك، فإنَّ هذا الصوت يشتمل على بعض خصائص الأصوات الصائتة عند إنتاجها ، ولذا يعمد أهل النظم الى اعتماده في المواضع التي يتحقق فيها قانون اختزال الجهد الصوتي.

إنّ وظيفة هذا الصوت قد تنتفي في حالة استمرار التركيب اللغوي ، فحين نقول : (وازيداً أغِثْني)، فإننا بهذا قد أبعدنا (صوت الهاء) من «وازيداه» لأننا لسنا بحاجة إليه حين الوصل، لإمكانية تعويضه بـ (الهمز النبري) بعد الصائت الطويل، مما يقطع اندفاع الهواء ، ويريح النفس. أما في (وازيداه) فإننا بحاجة الى الاستراحة بعد صوت المد الطويل الألف.

---

(46) إنظر صوت (الهاء).

1/13/3 الزيادة للتعويض الصوتي

تقوم بعض الأصوات في بناء بعض الصيغ بتعويض أصوات أخرى محذوفة من أصل البناء، لكي تبقى الوحدة اللغوية محتفظة بحقوقها في التمثيل الدلالي التام، ومعيارها الصرفي.

فالكلمات «اسم، زنادقة، عِدَةٌ» ذات أصول مختلفة عمّا أشير إليه ؛ فاسم أصلها (سِمْوٌ) إلاّ أنّ صوتَ الواو الانتقالية قد حذف منها، لذا كان لا بدّ من تعويض هذا الحذف الصوتي . فكان أن جيء بـ «صائت الإيصال» في أوّلها ليكون الوزن الصرفي لها: «اِفْعٌ» . وكذلك كلمة (زنادقة) فإنّ مفردها «زِنديق»، وقد احتوت في تركيبها الصوتي على «الياء الانتقالية» وحين حذفت في الجمع، كان لا بدّ من تعويضِ صورتها الصوتية، فجيء بهذه «التاء» لِتحتلّ موقعاً تعويضياً. وكلمة «عِدَةٌ» أصلها «وَعَدَ»، فلما حذف الصوتِ الانتقالي «الواو» كانَ لا بدّ من التعويض الصوتي، فجيء بهذه «التاء» لتحتل الموقع ، ولكن في مكان غير مكانها لتصبح «عِدَةٌ».

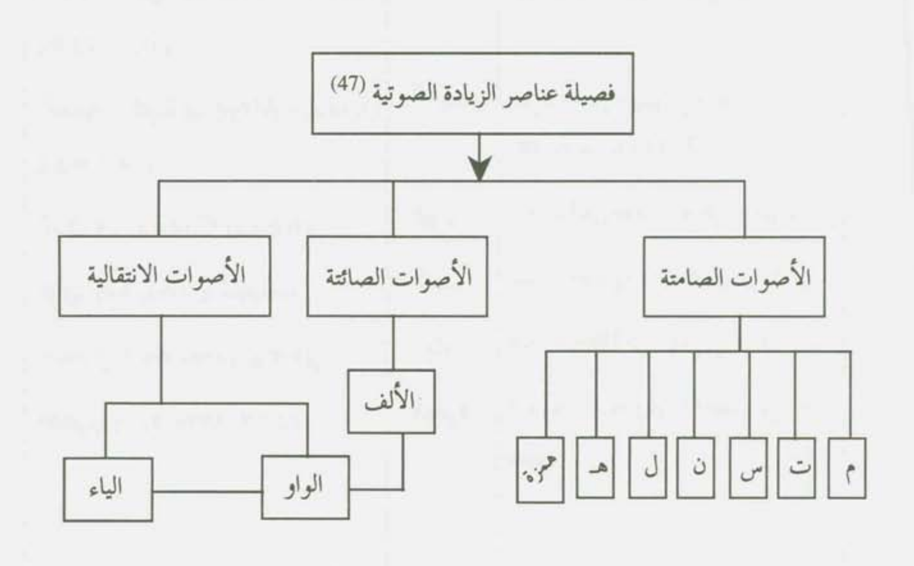
يبقى أن نُعَرِّف بكيفية الوقوف على الأصوات الزائدة من بين كم الأصوات الحركية في الصيغة . هناك وسائل ثلاث هي: **الاشتقاق واعتماد مبدأ التصريف** ، فإن وضحت صورة الحرف فيه كان أصلياً ، وإن لم تتضحْ كان فائضاً . (كاتب ، مكتوب...) فإنّ الأصوات (ك،ت،ب) هي التي تثبت في دورة فلك التصريف ، وما عداها يسقط، لأنه صوت فائض، دخل حَرم الكملة، من أجل أداء وظيفة دلالية معيّنة.

وقد يلجأ في حالة غموض الجانب التصريفي الى **التماثل التركيبي** : (عَنْتَر – تتماثل تركيبياً مع جَعفَر)، وهو اسم رباعي مجرّد لازيادة فيه.

وقد يعتمد أيضاً على استقراء كلام العرب الوارد على الصيغة نفسها، وهذا يتطلب معرفة بأمور اللغة ومواضعها. ويبقى الجانب الذوقي، وموسيقى عناصر الوحدة الصوتية، مما يدلل على ماهية الأصل بزيادة أو غيرها .

1/14 الوصف التحليلي لفصيلة عناصر الزيادة الصوتية

تنهض هذه الفصيلة على عناصر ثلاثة، توزعت بين الصوامت، التي احتلت نسبة 70٪ في حين أنّ الصائت الطويل (الألف) والصوتان الانتقاليان (الواو والياء) قد حصلت على 30٪ مع فوارق النسب الترددية . وفي المخطط البياني التالي توزيع لعناصر الفصيلة:



(47) لا تعني زيادتها في كل موضع، إنّما إذا احتيج إلى صوت تعويضي فإنه لا يكون إلاّ منها.

1/14/1 الأصوات الصامتة (Consonants)

سبعة أصوات حدّدها مقعّدو البنية العربية، مما يندرج تحت هذه الفصيلة. وسمّاها القائمون على الدرس الصوتي الحديث بـ (الأصوات الصامتة) (Consonants)، وقد توزعت وفق طبيعتها الصوتية الى ما يأتي:

هيئة المخارج النطقية	الصوت	كيفية الممر الهوائي
شفوي Bilabial	الميم	صوت أنفي- مجهور مرقق- متوسط
أسنانية – لثوية Dental - Alveolar consonant	التاء	صوت إنفجاري – مرقق مهموس
أسنانية – لثوية Dental - Alveolar consonant	السين	صوت مرقق مهموس صفيري (Wistled, sibliant)
لثوي alveolar Consonant	النون	صوت أنفي مجهور مرقق – متوسط
لثوي alveolar Consonant	اللام	صوت جانبي Lateralمجهور متوسط
حنجري glottal consonant	الهاء	صوت إحتكاكي مهموس مرقق
حنجري glottal consonant	الهمزة	صوت انفجاري لامهموس ولا مجهور.

من خلال التوزيع أعلاه ، نسجّل الآتي:

1. توزعت هذه الأصوات بين مخارج صوتية أربعة.

2. احتلت الأصوات المتوسطة فيها نسبة تبلغ 85-42٪ وهي نسبة عالية ومهمة ، إذ أنّ هذه الأصوات تتميز بقوتها التصويتية العالية، لأنّها تتمتع بخاصية الجهر، وتكاد مع الصوائت، والأصوات الانتقالية تشكّل نسبة عالية للقوة الاسماعية الصوتية.

3. أخفق كثير من الباحثين حين عدّوا صوتي (الواو والياء) الانتقاليتين (Semi - Vowels) أصوات علّة خالصة ، في حين أنّها تمتلك خاصية تبادل المواقع مع الصوامت، ولهذا سميت بـ(شبه الصوامت Semi- Consonants).

4. سُجِّلت صفة الانفجار مع صوتي (التاء والهمزة) دون بقية الأصوات. ويسمى هذان الصوتان بالاصوات الوقفية (Stops) أو (plosives) ولتحقيق الانفجار مراحل ثلاث : (الإغلاق – الحبس – الانفجار).

وسنحاول من خلال استعراض هذه الأصوات أن نقف على مواضع الزيادة مع كلّ منها، آخذين بنظر الاعتبار الصوتي ما دوّن في أعلاه.

1. صوت الميم

صوت شفوي أنفي مجهور، وهو من الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة، ذات القوة الاسماعية العالية.

– تزاد في أوّل الوحدة اللغوية شرط أن يأتي بعدها ثلاثة من الأصوات الأصلية في البناء، وتكاد تشكّل نسبة عالية من الموروث الصيغي في العربيّة، على سَنَن القياس المطرّد ، (مَلْعَبٌ، مُحَارِبٌ، مُعَاكِسٌ، مَجْرُوحٌ..)

– **لا تزاد الميم إلاّ في الأسماء.**

– إذا تصدّرت وبعدها أصلان صوتيان، كانت أصلية : (مَحَلَ ، مَحَا، مَتَرَ، فَجَنَ، مرَحَ..).

– تزاد في أول الاسم المشتق، إذا جاء بعدها أصول أربعة: (مُطْمَئِن، مُزَخْرِف، مُبَرْمِجُ...).

– لا تزاد حشواً ولا آخراً، وإن وقع أهل اللغة على وحدات لغوية من ذلك، فإنّها لا تمثّل اطّراد القاعدة. وتبقى بعض هذه الألفاظ ، وإنّ ظهرت في بعض الشواهد، إلاّ أنها قليلة الشيوع.

قال حسّان بن ثابت:

ولدنا بني العنقاء وابني محرّق   فأكرِمْ بنا خالاً وأكرِمْ بنا آبنما

ولعلّ لبناء هذا الصوت، ذي القوة الإسماعية العالية، ولجهره الأثر الكبير في وروده بالشكل الذي ألمهنا إليه، ولاحتلال الصيغ الصرفية، من جنسه البنائي، النسبة العالية في العربيّة.

2. صوت التاء

يتشكل هذا الصوت الأسناني – اللثوي – الانفجاري ، المرقق، المهموس مع العناصر الصوتية الأخرى في صيغ العربيّة المتعددة، عن طريق الإلصاق، ويعتبر مورفيماً مقيّداً في جمع المؤنث السالم (مسلمات ، معلمات..) حيث ينتصب في آخر الصيغة. وقد يحدث الإلصاق في أول الصيغة اللغوية : (تكتبُ ، تجلسُ، تذمَّر ، تسلّم..) وهو كذلك مورفيم مقيد يفيد الدلالة على الفاعلية.

وقد يقع هذا الصوت في حشو الوحدة اللغوية : (استمدَّ، استغفر، احتزمَ..)

هذه الزيادة المورفيمية قياسية المنحنى. وقد يحدث أن تكون مستمدة من الملك والتجبّر والرهبة.

ويُزاد كذلك في أسماء مثل (حمزة، طلحة ، ناهدة) وهذا الصوت يسمّى أحياناً (هاء التأنيث) وهو ما يفيد الوقف. وهو مورفيم مقيّد.

وتزاد في الأفعال : «أنْجَبَتْ» ، وفي الحروف : «رُبَّتَ، ثَمَّتَ، لاتَ» وللخطاب في الضمائر: «أنْتِ، أنْتَ، أنتُما ، أنتُمْ، أنتُنَّ».

3. صوت السين

صوت أسناني – لثوي، مهموس ، مرقق. وهو أحد أفراد عائلة الأصوات الصفيريّة ذات الإيقاع المنغّم (Sibliant) وتختص زيادة هذا الصوت قياسياً في الصيغة الصرفية (اسْتَفْعَلَ) وما تحوّل منها من أسماء الفاعلين والمصادر : (استغفر ، استنكر ، استلأم، مستغفر ، مستنكر ، مستلئم..)

4. صوت النون

صوت لثوي – أنفي، مجهور ، مرقق ، متوسط بين الشدّة والرخاوة، (انفجاري – احتكاكي) يتميز بقوته الاسماعية العالية، وغُنّته الموسيقية، التي تساعد على اجتياز مراحل التأوّه، والأنين، وضروب التعبيرات الانفعالية. وتؤدي وظيفتها الصوتية عبر سلوكيات متعددة:

– تعتبر مورفيم مقيّد يدل على العدد والجنس بإلحاقها عن طريق زائدة إذا وقعت بعد (ألف التثنية) أو (يائها) مثل (المُعلمانِ – المُعَلِّمَيْن) أو (واو) جمع المذكر السالم أو يائه، إذ تكون مورفيماً مقيداً، يدل على الجمع، والجنس : (المهندسون ، المهندسين) .

وكذلك وقوعها في نهاية صيغ الأفعال الخمسة :

(يدرسانِ ، تدرسانِ، تدرسينَ، يدرسونَ ، تدرسونَ)، حيث تمثل (اللواحق – اللواصق) الصائت الطويل، والصامت، مورفيمات مقيدة تدلّ على العدد والجنس. وللوقاية، وقاية الفعل، والضمير، والحرف من الكسر، أكرمني، أوصاني، صارحْني، صدّقوني، إنني ، لكنني .. » وتنوين الاسم: قلمٌ، ولداً، ساعٍ ..

كذلك إذا وقع هذا الصوت في نهايات صيغة الصفة المشبّهة : (كسلان، ملآن ، عطشان، غرثان، حرّان، ريّان، جوعان) فهو ومعه الصائت الطويل (الألف) مورفيمات مقيّدة، تدلّ على الصفة الجنسية والنوع. وكذلك ما هو ملحق بالصفة المشبّهة، من الأسماء غير الصفات مثل: (حيّانُ، مروانُ، عثمانُ، عدنانُ، عفّانُ، سُحبانُ، حَسّانُ...). (48)

كذلك نلاحظ حضور هذا الصوت في حالات التوكيد: (اجلبنَّ، اجلبَنْ) وفي بدايات الفعل المضارع: ندرس، نحفظ، نقرأ... إذ هي مورفيمات مقيدة لها دلالات نظمية موجهة للصيغة. وزيادتها في كلٍّ ما سبق مطّردة، وإن كانت لاحقة.

---

(48) إذا كان (عفّان) مشتقاً من (العفّة) و(حسّان) من (الحسّ)، فإنّ صوتي (الألف والنون زائدان) . أمّا إذا كانت مشتقّة من (العَفَن) ومن (الحُسْن)، فإنّها أصليّة، ووزنه (فعّال)، والسين والألف صوتان زائدان.

ويبدو أنّ هذا الصوت، باحتلاله هذه المواقع في الصيغ والتراكيب العربيّة، وتوزّع قيمه الصوتية، والدلالية، والنحوية، والصرفية، من أجل أداء وظائف معينة تخدم النّص وتنوّع في اتجاهاته.

ويضاف هذا الصوت الأنفي في صيغة المطاوعة (انفعَلَ) كما في: (انهزم، اندحر، انسدل...).

وفي غير ما تقدَّم فإنّ هذا الصوت يزاد بصورة غير مطّردة، ولذا فإنّ تبيّن حالها من الزيادة أو عدمها، من خلال التحوّل (التصريف أو الاشتقاق)، أو إذا استغلق الأمر، فاللجوء إلى مراعاة النظير مثل: (عَنْبس، نَرْجس).

5. صوت اللام

صوت اللام- لثوي، جانبي (Lateral)، مجهور. وهو أحد الأصوات المتوسطة، التي تتميز بقوتها الاسماعية العالية، وله خاصيّة التفخيم والترقيق. ونصيب هذا الصوت في الزيادة محضور في غير قياس مع أسماء الإشارة:[49] (ذلك، تلك، هنالك، أولالك، ذاك). وورد في بعض اللهجات العربيّة زيادتها على أسماء الأعلام: زيد- زَيْدَلُ، عَبْدُ- عبْدَلُ، وهذه الزيادة كيفية، توجهها الأمزجة وحالات الانفعال.

ويبدو أنَّ صوت اللام يمثل مورفيماً مقيّداً داخلياً، يمنح اسم الإشارة سمة البعد المكاني أو الزماني.

6 . صوت الهاء

صوت حنجري احتكاكي- مهموس، مرقق. تجتمع في هذا الصوت صفتا الصامت والصائت، فالصامت لأنّه يحدث عند إنتاجه في نقطة معينة إحتكاكاً، نتيجة لضيق المجرى الهوائي، ولولا هذا النوع من الحفيف

(49) تثنى هذه الأسماء: هذا- هذان فإذا جمعت جيء بـ «هؤلاء».

(الاحتكاك)، لَعُدّ هذا الصوت مع فصيلة الصوائت. أما صفته المماثِلة للصوائت فذلك لأنَّ كميّة الهواء المارّة عبر الحنجرة لا تلقى اعتراضاً في الفم، وأنّ اللسان، والتجاويف الداخلية للفم، عند نطق هذا الصوت تكون في حالة تماثل، حين إنتاج الصوائت، وأنّ ليس له نقطة محددة يمكن أن ينطلق منها. وقد ترتب على هذه الصفة الصوتية أنْ اعتمد متقدمو القوم على هذا الصوت في ظاهرة صوتية سمّوها: (ظاهرة السَّكْت، الاستراحة، التبيين). ولذا فإنّ زيادته تقع في ضربين: **زيادة يحكمها القياس**، وأخرى **يحكمها السماع**.

فأمّا الأولى، فهي ظهور (صوت الهاء) بصفة وظيفية تمنع وقوع اللبس على مَن سبقه من الأصوات؛ وهي مهمة تحافظ على وضوح القيم الصوتية الأخرى في الصيغة. وقد أحكم سيبويه صورها في الوجوه التالية:

- في الوقف على فعل الأمر عِهْ، شِهْ، رِهْ، قِهْ، فِهْ، وتحذف عند الوصل.
- في المضارع الذي بقي على حرف واحد: إنْ تعِ أعِهْ، من وعيت.
- في المضارع والأمر المحذوف اللام: لم يغزه، ارمِهْ.
- في نون المثنى والجمع: هما ضاربانَهْ، هم مسلمونَهْ.
- في النون المشددة لضمير الإناث: ضَرَبَنَّهْ.
- في اسم الفعل (هلمَّ): هَلُمَّهْ.
- في إنّ بمعنى (نعم): إنَّهْ.
- في بعض الضمائر المنفصلة: هيَهْ، هُوَهْ.
- في ما الاستفهامية المجرورة: فيمَهْ، لِمَهْ.

وفي نصوص القرآن الكريم: «... **هاؤمُ اقرأوا كتابيَهْ، إني ظننت أني مُلاقٍ حسابيَهْ**» الحاقة/19، 20؛ وهنا، (صوت الهاء) للمحافظة على حركة ياء المتكلم.

وفي الزيادة غير القياسيّة: أمّهات، جمع (أم)، ولكنّ التصغير يردّ الأشياء إلى أصولها، وتصغير أم، أُمَيْمَةْ. وقالوا أنّ (أم) تجمع (أمّات) لما لا يعقل. وهذا خلاف ما ورد عن العربية من الشواهد التي أوردها ابن يعيش، وجاءت بعضها من ديوان ذي الرّمّة:

سوى ما أصاب الذئب منه وسربُه أطافت به من أمهات الجوازل [50]

فقد استعمل (امهات) لما لا يعقل وهو (القطا).

وقال جرير:

لقد وَلَدَ الأخيطل أمُّ سَوْءٍ.

مُقَلَّدَةٌ من الأمّات عارا

فاستعمل (الأمّات) لما يعقل.

7 .صوت الهمزة

صوت الهمزة، حنجري، انفجاري، لا مهموس ولا مجهور، على رأي المحدثين من الأصواتيين.

وتأتي زيادة هذا الصوت، الذي يتسم بخاصية النبر، وينعته أبو حيّان، بأنّه صوت مهتوت، والهتُّ: الصوت بقوّة،[51] في مواضع متباينة.

---

(50) ديوان ذي الرمة (497) .

(51) الأصوات اللغويّة (185).

والهمزة عند الخليل، تصنّف مع أصوت اللين، وهذا يعود إلى الجزء الثاني من أجزاء الائتلاف الذوقي للهمزة، وهو الصائت الطويل، الذي يمثّل الحركة المصاحبة للصوت، أثناء عملية التذوّق، وليس للجزء الأول الذي يمثله صوت الهمزة.

– يزاد هذا الصوت إذا وقع أوّلاً، وبعد ثلاثة أصوات أصلية: أحْمَر، أفْضَل، إكرام.

– إذا وقع آخراً بعد الصائت الطويل (الألف)، وقد جاءت قبلها أصوات ثلاثة أصول: (حوراء، خضراء، حمراء).

– لا يُعتبر زائداً في مثل: إصطخر، إصطبل، لمجيء أربعة أصول بعدها.

– لا يعتبر زائداً، إذا وقع أولاً، وبعدها صوتان: أخذ، أمر، أكلَ...

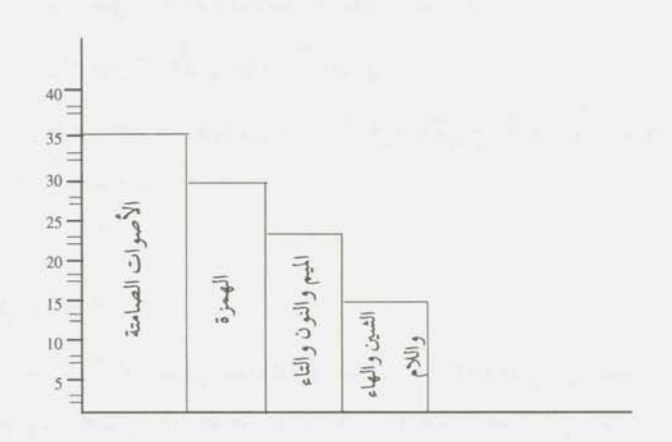
1/14/2 **الأصوات الصائتة** (Semi- Consonants) (Long vowels)

هي الأكثر استخداماً، والأرسخ في الزيادة، ولعل السرّ في ذلك يعود إلى طبيعة إنتاجها، وصفاتها التي تتميز بالنطق المفتوح (Open articulation)، كما ألمع إلى ذلك Brosnahan، بالإضافة إلى خاصيتها التصويتية العالية، والارتفاع في درجة الصوت، وصف الجهر المطلقة، المصاحبة لها، لأنّها إذا لم تكن كذلك، فإنّها لا تعدو أن تكون زفيراً [52](Ex piration)

ثلاثة أصوات تمثّل هذه الفصيلة هي (الألف، والواو، والياء) المدّيتين– الانتقاليتين. تحتلّ هذه الأصوات أعلى نسبة في سلّم الأصوات الزائدة، وفق

(52) المرجع نفسه (199).

المعيار البياني التالي:



صوت الألف

لا يقع صوت الألف (الصائت الطويل) في أوّل الوحدة اللغوية، لأنه صوت ساكن، والعربية لا تبدأ وحداتها بالأصوات الساكنة.

وهذا الصوت لا يكون أصلاً في الأسماء والأفعال. أما الحروف والأسماء التي تشبهها، المتوغّلة في البناء، فإنّ صوت الألف يكون فيها أصلاً: «لا، يا، ها، أما، ألا، إلى، بلى، حتّى، على، أمّا، كلا، وا، ما، إذا، لمّا، مهما، متى، أنّى، إيّاك».

- يزاد صوت الألف ثانياً: جاهَد، كاتبْ
- يزاد صوت الألف ثالثاً: سماء، ملاعب، أباريق، حزام
- يزاد صوت الألف رابعاً: مفتاح، سمراء كبرى، سلطان.

- يزاد صوت الألف خامساً: اصفرار، زعفران، أربعاء.
- يزاد صوت الألف سادساً: استثمار، اطمئنان.
- يزاد صوت الألف سابعاً: أربعاوي.

وبناءً فإن صوت الألف يُزاد في الفعل الثلاثي والإسم، إنْ كان ثلاثياً، أو رباعياً، أو خماسياً.

صوت الواو

صوت الواو انتقالي صامت، أو نصف حركة، يخرج من أقصى اللسان. شفوي، مجهور، ذو طبيعة مزدوجة، له قابلية التحوّل إلى صوت صائت خالص ممتد. ولهذا الصوت حالتان: الأولى كونه صوتاً صامتاً في (ولد) (واحد) (واجب) حيث تتوافر إمكانية التبادل الموقعي، بينها وبين الأصوات الصامتة. (جلد- ولد) (جاحد- واحد).

ينتقل هذا الصوت عبر امتدادات الصيغ والتراكيب، فهو مرّة صائت طويل، وأخرى انتقالي، يؤدّي وظيفته بشكل لا يختلف عن سلوكية الصامت. وأدوار زيادته تؤدّى بالوضع التالي:

- لا يزاد صوت (الواو) أولاً في الوحدة اللغوية.
- يزاد صوت الواو إذا وقع ثانياً: جَوْهَر، كَوْثَر، كوكب..
- يزاد صوت الواو إذا وقع ثالثاً: جلوس، صنوبر، عجوز...
- يزاد صوت الواو إذا وقع رابعاً: أسلوب، أعجوبة، جبروت، عصفور، عنفوان.

- يزاد صوت الواو إذا وقع خامساً: زيزفون، لاعبون.

- يزاد صوت الواو إذا وقع سادساً: معارضون، مولدون، كيماوي.

- يزاد صوت الواو إذا وقع سابعاً: متنافسون، مستعمرون، متقدمون.

صوت الياء

صوت غاري (Palatal- Consonant)، انتقالي، صامت، نصف حركة، يخرج من وسط الحنك، مجهور؛ يتميز بطبيعته الازدواجية، وقابليته التحوليّة، من صائت طويل، إلى صامت، في تشكيل معالم الدلالة، وتبادل المواقع في الوحدة اللغوية: (يجلس– مجلس). هذا الصوت ضمن مجموعة أصوات، أطلق عليها متقدمو القوم (الأصوات الشجرية) وهي (الجيم والشين) لأنّ انتاجها من شجر الفم، أي مَفرجه. وأدواره في الزيادة تكون على الوجه التالي:

- يزاد هذا الصوت في بداية الوحدة اللغوية: ينتقل، يَستعدّ، يوسف، يونس، يسيطر، يستفيد..

- يزاد هذا الصوت إذا وقع ثانياً: هَيْمَن، سيّد، مَيْتٌ..

- يزاد هذا الصوت إذا وقع ثالثاً: شريف، مريض، زرياب..

- يزاد هذا الصوت إذا وقع رابعاً: كبرياء، صديق، برميل..

- يزاد هذا الصوت إذا وقع خامساً: مفاتيح، أفانين، ظالمين..

- يزاد هذا الصوت إذا وقع سادساً: حواليّ، صحاريُّ، مختلفين..

- يزاد هذا الصوت إذا وقع سابعاً: انهزامي، اعتباطي.

1/15 البنية اللغوية

يشكّل التنظيم الفونولوجي للغة العربية، وحدة متكاملة، تخضع لمجموعة من القوانين، والأنظمة الصوتية، والصرفية، والدلالية. وتنشأ هذه من تجاور الأصوات، ومواقعها، وإمكانية تواجدها في المقاطع. وكذلك من قابليتها للتحقيق والإظهار، والتداخل في التراكيب اللغوية، أثناء قيامها الفعلي بوظائفها ومهماتها. وقد تؤدّي تلك إلى دلالات، تتطابق أو تختلف. وهي في كلّ هذا وذاك، تسير وفق نظام متناسق، لا تتعارض فيه هذه الأصوات.

تقوم البنية اللغوية على وحدتي (الصوت والصرف)، وهما (الفونيم) و(المورفيم) ويُعرِّف الأول بأنّه أصغر وحدة صوتية غير قابلة للتجزئة. ويعرّفه آخرون، أنّه كلّ صوت قادر على إيجاد تغيير دلالي. (53)

يحمل هذا الفونيم معنىً دلالياً داخل التركيب، يؤشر الشخص والجنس، والعدد، وهذا ما نلحظه في الفونيمات المتصلة بالأفعال، للمتكلم، والمخاطب، والغائب، في حالات: الإفراد، والتثنية، والجمع. وهو في كل هذه المواقع التي ينتقل في أوساطها، يحمل معنىً وظيفياً، يتحدد على ضوء مستوى النظم الأدائي للتركيب. هذه وتلك يطلق عليها الوحدات الصرفية غير التتابعية Non- Sequential Morphemes.

للفونيم وظيفتان: أساسيّة، وثانوية، فالأولى حين يمتلك القدرة في عملية الاستبدال الموقعي للتراكيب، والثانية، تتحدد في حفظ التباين، بين هذه التراكيب بعضها عن البعض الآخر.

---

(53) المرجع نفسه (31-32).

تتميز فونيمات العربية بأنها مستقلة، وغير متداخلة، وأنّ الصورة النطقية لها متّزنة مع الصورة الخطيّة. عكس اللغة الإنجليزية التي تتداخل فيها صور الفونيم وتتخذ، أشكالاً متغايرة، في الجانبين النطقي والخطي.

ظلّت هذه التداخلات قائمة في اللغة الإنجليزية، التي لم تخضع لتوحّد يذيب هذه الفوارق، كما هي عليه اللغة العربية، التي توحّدت بالقرآن والإسلام.

تتألف اللغة العربية من أربعة وثلاثين فونيماً تركيبياً (Segmental Phonemes) موزّعة على النحو التالي:

- ثلاثة فونيمات للصوائت القصيرة Short vowels
- ثلاثة فونيمات للصوائت الطويلة Long vowels
- ثلاثة فونيمات لأنصاف الصوائت Semi vowels
- ستة وعشرون فونيماً للصوامت Consonants

فالصوامت القصيرة ـــُـــ، ـــَـــ، ـــِـــ

والصوامت الطويلة الألف/ الواو المدّية/ الياء المدّية

وأنصاف الصوائت الواو والياء الانتقاليتان.

والمخطط التالي يبيّن توزيع الفونيمات في اللغة العربية وفق هيئة المخارج النطقية، وكيفية الممر الهوائي:

مخطط توزيعي لفونيمات اللغة العربية

(الأصوات الصامتة)

كيفية المر الهوائي	هيئة المخارج النطقية																											
	الشفتان		الشفة والأسنان	الأسنان			الأسنان واللثة							اللثة			الطبق الصلب (الغار)			الطبق اللين				اللهاة	الحلق		الحنجرة	
	ب	م	ف	ذ	ث	ظ	د	ت	ط	ز	س	ص	ض	ن	ل	ر	ي	ج	ش	ك	خ	غ	و	ق	ع	ح	هـ	الهمزة
الانفجارية	×						×	×	×				×							×				×				×
الإحتكاكية			×	×	×	×				×	×	×							×		×	×			×	×	×	
المركبة																		×										
الجانبية															×													
الترددية																×												
الأنفية		×												×														
المفخمة						×			×			×	×								×	×						
المرققة	×	×	×	×	×		×	×		×	×			×	×	×		×	×	×					×	×	×	×
المجهورة	×	×		×		×	×			×			×	×	×	×	×	×				×	×		×			
المهموسة			×		×			×	×		×	×							×	×	×			×		×	×	
اللامجهور واللامهموس																												×
انصاف العلل (شبه الحركة)																	×						×					

وهناك نوع آخر من الفونيمات يسمى (بالفونيمات فوق التركيبية) (Supar- Segmental Phonemes) وهي أربعة أنواع:

(المقطع Syllable)، و(النبر Stress)، و(التنغيم Intonation)، و(المفصل (Juncture ، ولها دور فاعل في توجيه البنى اللغوية والصيغ والتراكيب.

1/15/1 المقطع Syllable

هو تتابع من الأصوات في تيّار الكلام، له حدّ أعلى أو قمة إسماع تقع بين حدّين أدنيين من الإسماع.(54)

ويعرّفه آخرون بأنّه ظاهرة صوتية لا حدود لها، وأنّ تجميع الفونيمات في مقاطع، مجرّد اصطلاح، دون تحقيق موضوعي.(55)

ولكنّ Bolinger يؤكد على أهمية المقطع، ويرى أنّ الفونيمات لا حياة لها إلاّ في داخل المقاطع، لأنّها لا تُنطق من المجموعة البشرية بشكل منفصل، وإنّما على شكل تجمّعات. فصفاتها، وخصائصها، وكيفية انتظامها في مقاطع، إنّما يعتمد على المقطع وتشكيلاته الصوتية.(56)

أمّا Stetson فيؤكد على أنّ سُلَّم التنوعات الصوتية يتشكل من أصغر وحدة وهي (الفونيم)، ثم المقطع، ثم النبر، ثم التنغيم، وكل هذه مؤتلفة، لا يمكن أن نجتزيء أيّ واحد منها، أو نسقطه، لما لعملها الوظيفي المترابط مع حدود كلّ واحد منها.(57)

---

(54) Robins, general Linguistics P 137

(55) دراسة الصوت اللغوي . (280) .

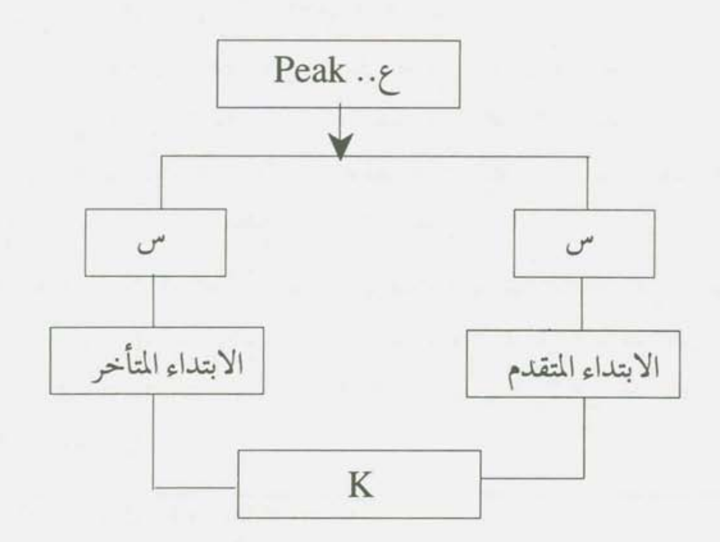
(56) Bolinger, Aspect of language p 47.

(57) Stetson, Bases of phomology (p25)

ويبدو أنّ Stetson قد أغفل جانب المورفيم Morpheme في سلّم تنوعاته الصوتية، وهو أمر غاية في الأهمية، لما سنعرض لبيانه، بعد أن تفرغ من الحديث عن الفونيمات فوق التركيبية.

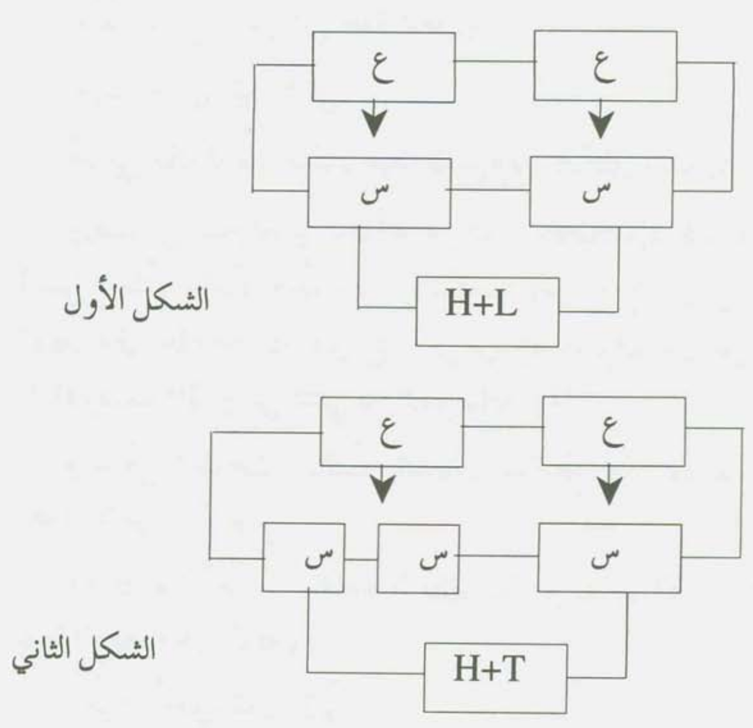
إنّ أفضل من تعرّض لبيان قيمة المقطع العالم اللغوي السويسري (Ferdinand de Saussure)، وعرّفه بقوله: إنّه: «الوحدة الأساسية التي يظهر بداخلها نشاط الفونيم».[58]

هذا الفونيم فوق التركيبي، ينهض بدور فاعل في حركة الوحدات اللغوية وأبنيتها. ويتألّف من عناصر ثلاثة: (الهامش الأوّل، والهامش الثاني والنواة، كما موضّح في المخطط البياني التالي:



(58) المرجع نفسه (p17) .

أما في حالة الوصل فتكون هيئة المقطع وفق الشكلين التاليين:



ويمكن أن نطلق على حدود المقطع:

1- الابتداء المتقدّم. Pre-initial Consonant

2- الابتداء المتأخّر. Post-initial Consonant

3- المركز (النواة). Peak

4- النهاية المتقدّمة. Pre-Final Consonant

5- النهاية المتأخرة. Post-Final Consonant

ويمكن بيان ذلك تطبيقاً في الصور التالية:

اِسْمْ .... ع س س (في حالة الوقف)

حيث تحتوي على ما يلي:

أمّا في حالة الوصل فتكون هيئة المقطع وفق الشكلين التاليين:

ويظهر في نسج العربية لون آخر من ألوان المقاطع، وإن كان على قلّة في الصيغ (جادْ، شابْ، حادْ، رادْ...) ليكون: (س ع ع س س) في حالة الوقف وفي حالة الحركة: (س ع ع س س ع). وسوف ندلّ على الأول بـ (F) وصفته (P) وعلى الثاني بـ (E) وصفته (D).

وتسجّل الصوامت، دائماً، كبدايات للمقاطع أمّا الصوائت فإنّها لا تكون الاّ مراكز أو نواة .

وهناك لون آخر من المقاطع لا يظهر إلا مع تصغير الاسم الثلاثي في نهاية الصيغة وحين الوقف:

رَجُلْ– رُجَيْل، قمر– قُمَيْر.

س ع + س ع س س

والجزء الثاني منه متوفّر كلمات (نَهْرْ عِلْمْ) حين الوقف على الصامت الأخير.

وأنواع أنسجة المقاطع في اللغة العربية تسعة، وبيانها كالتالي:

1– س ع

2– س ع ع

3– س ع س

4 – س ع ع س

5- س ع س س

6- ع س

7- ع س س

8- س ع ع س س

9- س ع ع س س ع

هذه الأنواع الخمسة تمثل نسج الصيغ العربية، ولذا فإنّ معالجاتنا لجوانب من القيم الصرفية سوف تتخذ من المقطع مساراً لها، في رؤية لسانية محدثة، خصوصاً في جوانب الإعلال والإبدال والقلب وغيرها من الجوانب الصرفية الأخرى.

وقد اتخذنا صوراً رمزيّة في المعالجة تقوم على اعتماد الرموز التالية:

1- س ع: رمزها (O) وصفتها (R) (مقطع قصير مفتوح (Open Syllable) كَ، لَ، مَ...

2- س ع ع : رمزها (V) وصفتها (T) (مقطع متوسط مفتوح (Open Syllable) ما، نا، ها...

3- س ع س : رمزها (M) وصفتها (B) (مقطع متوسط مغلق) (Closed Syllable) سَلْ، قُلْ...

4- س ع ع س :رمزها (X) وصفتها (Z) (مقطع كبير مغلق مزدوج النواة) (Closed Syllable) نامْ، قامْ، صامْ...

5- س ع س س : رمزها (N) وصفتها (Y) (مقطع كبير مغلق) (Closed Syllable) عِلْمْ، نَهْرْ، صَرْفْ.

6 – ع س : رمزها (S) وصفتها (H) (مقطع قصير مغلق (خاص بصائت الإيصال) (Closed Syllable). ادْرس، اكتب...»

7- ع س س رمزها (K) وصفتها (L) مقطع متوسط مزدوج الصامت مغلق. Closrd syllable حين الوقف على: اِسْم، اِبْن.

8- س ع ع س س : رمزها (F) وصفته (P) (مقطع فوق الكبير مغلق) . (Closed Syllable)

حين الوقف على (جادْ) (حادْ)... جادْدْ، حادْدْ.

9- س ع ع س س ع: رمزها (E) وصفتها (D) (مقطع فوق الكبير مفتوح (open Syllable).جادٌ، حادٌ جادِدْ، حادِدْ

وطبيعة هذه الرموز المقطعية تنهض على أن (س) رمز الصامت و(ع) رمز الصائت القصير و(ع ع) رمز الصائت الطويل.

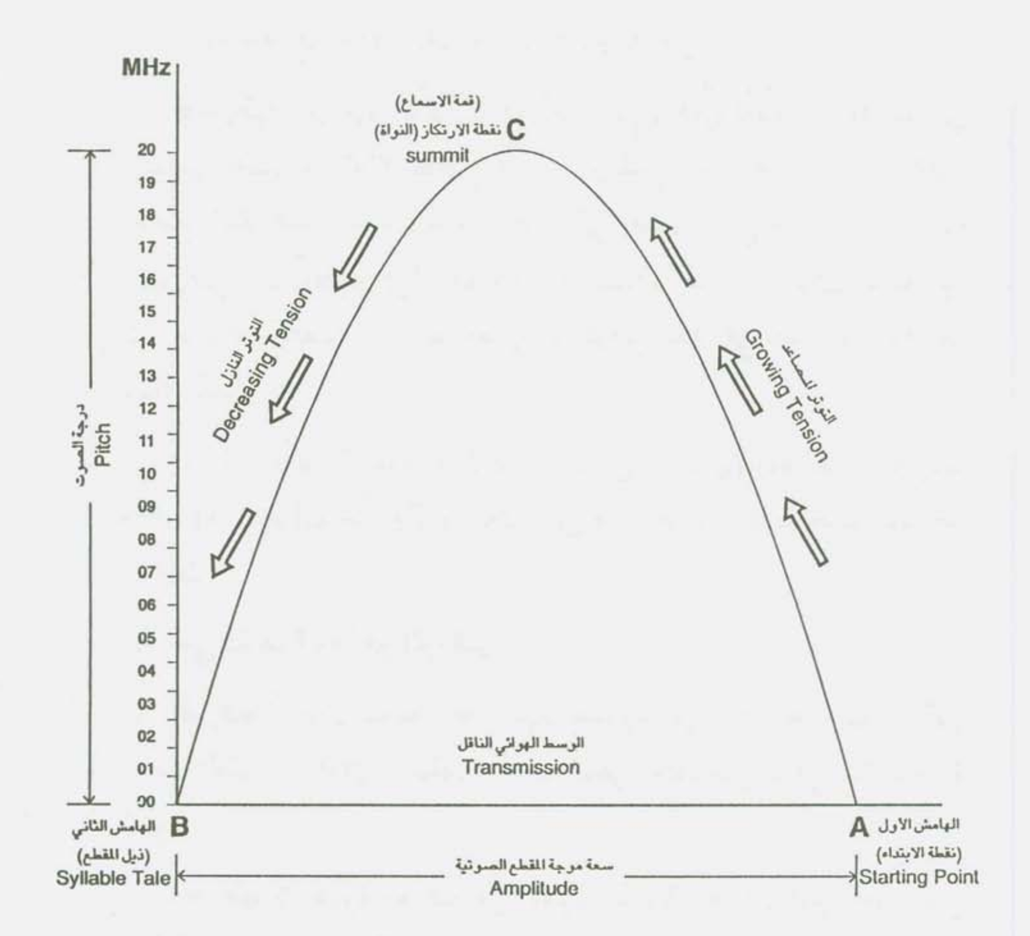
أمّا هوامش المقطع فتتمثّل في: الحدّ الأول (س) والحد الثاني نهاية المقطع وهي إمّا (س) أو (س س). وتقوم الصوائت القصيرة والطويلة (ع) أو (ع ع) بتمثيل نواة المقطع.

تتوزع مقاطع اللغة العربية على صيغ الوحدات اللغوية في سبعة مواضع:

- أحادية المقطع : مِنْ..
- ثنائية المقطع : اجلس ..
- ثلاثية المقطع : صائم ....
- رباعية المقطع : مدرسة ...
- خماسية المقطع : مناقشات
- سداسية المقطع : متسابقات ...
- سباعية المقطع : استفساراتهنّ .

تتباين هذه الصور المقطعية في حالات الوقف، وحالات الوصل بزيادة أو بنقص.

مفاصل المقطع الصوتية



- تتوقف درجة علو الصوت على سرعة الذبذبات وتدافعها وعددها في الثانية الواحدة.
- تتركز السعة بين نقطة البدء وأبعد نقطة يصل إليها الصوت.
- يتوقف نوع الصوت (Timber) الذي يؤلف بنية المقطع على درجة الصوت (Pitch) والمصدر المنتج له.

مخطط بياني لمفاصل المقطع الصوتية

1/15/2 المورفيم Morpheme

يتصل المقطع بشكل مباشر مع المورفيم ويتداخل.

فقد يكون المورفيم مؤلّفاً من مقطعين مثل (نَحْنُ) (أنا). والفعل الماضي (كَتَبَ) يتألف من ثلاثة مقاطع قصيرة، والفعل المضارع يتألف من ثلاثة مقاطع، اثنان قصيران وواحد متوسط، لكنّ الفعل الماضي يبقى كتلة واحدة كمورفيم مقيّد يحتوي في داخله على مورفيمات أخرى (صغرى) يتمثل في الضمير (هو) المتضمّن في الصيغة، وآخر إعرابي يتمثل في حالة البناء الملازمة للفعل الماضي.

أما المركبات الاسميّة (الولدُ) فإنَّه يتمثل في (أل) التعريف كمورفيم مقيّد، (ولد) مرفيم حرّ. وكلّها تتكون من أربعة مقاطع: ثلاثة قصيرة وواحد متوسط.

بقي أن نعرف ما هو المورفيم.

المورفيم أو دال النسبة، أحد القيم الصرفية التي «تعبّر عن النسب التي يقيمها العقل بين دوال الماهية».[59] وهو أصغر وحدة صرفية في بنية الوحدة اللغويّة.

وقد ظهرت فكرة المورفيم في النظرية اللغوية الحديثة، لكي تحلّ محل الكلمة، التي بنى عليها القواعديون أصول نظريتهم في النحو، والصرف.

اختلفت تصورات علماء اللغة للمورفيم، وتباينت وجهات نظرهم في أقسامه، وقيمه الدلالية، ووظائفه النحويّة، والصرفيّة، لكنّهم، وإنْ تباينوا في

---

(59) اللغة، فندريس (105).

النواحي الشكليّة، إلاّ أنَّهم متفقون على أنّه الأساس في التركيب البنائي للوحدة اللغويّة.

يقسم المورفيم في اللغة العربية إلى أقسام ثلاثة:

١- المورفيم الحُرّ Free Morpheme

وهو عبارة عن وحدة صرفيّة مستقلة أو تركيب (Formant) ويطلق عليها بعض اللغويين المحدثين الوحدات الصرفية التتابعيّة Sequential Morpheme وهذه الوحدات تتمثل في اللغة العربية بـ :

الضمائر المنفصلة ، أنا، أنتَ، أنتِ، نحن، أنتما، أنتم، أنتنَّ، هو، هي، هما، هم، هنَّ مضافاً إليها الصوائت القصيرة في اعتماد البعض من اللغويين. وحروف الجر: من، على، في، عن...

وأفعال الشروع: وهي الأفعال التي يدلّ معناها على بدء الدخول في الشيء والتلبّس به ومباشرته. وأشهر أفعال الشروع: شَرَعَ، أَنْشَأَ، طَفِقَ، أَخَذَ، عَلِقَ، هَبَّ، قامَ، هَلْهَلَ.

وهذه الأفعال مورفيمات حرّة، وهي أفعال ماضية، تدلّ على الشروع، ماضية في الظاهر، ولكنّ زمنها الحال. أمّا زمن المضارع الواقع في خبرها، فإنّما هو متصوّر على الحال أيضاً.(60)

وهذه في الواقع دلالة التوافق لتطابق الدلالة. ففي قولنا: أخذ المدعوون يجلسون في الأماكن المخصصة لهم، وشرع المطرب يصلح عوده. فالفعلان (أخذ) و(شرع) لا يراد بهما معنى الأخذ، والشروع مستقلاً، وإنّما من مجمل التركيب الكلّي، كوحدة مستقلة وهي الشروع في الجلوس وإصلاح العود.

---

(60) النحو الوافي (620/1).

٢- المورفيم المقيّد (Bound Morpheme)

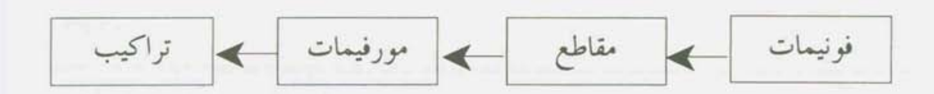
وهو كلّ وحدة صرفية متصلة بالكلمة، أو هو ما ارتبط مع المورفيم الحرّ، كأل التعريف في كلمة (الباب) التي تأتي مقابل التنوين في الاسم النكرة. ألف الاثنين، واو الجماعة، أحرف المضارعة، مورفيمات مقيدة بالأفعال الثلاثية وأزمنتها الثلاث، ويعتبر الإعراب بالحروف من المورفيمات الإعرابية المقيّدة (Inflecting Bound Morpheme).

٣- المورفيم الصفري (Zero Morpheme)

يحمل هذا المورفيم القيمة الخطية (Zero) أي لا وجود له في الرسم الكتابي، وإنما هو الصورة الموضوعة في الذهن مثل الضمائر المستترة، والصيغ في المشتقات، والاسناد في الجملة.

ويرى المهتمون بالدراسات الصرفية والصوتية أن مهمة هذه المورفيمات الثلاثة، تتوزع بين إضفاء قيمة تعريفية أو تحديدية (Indentification) أو تصنيفية (classification) أو توزيعية (Distribution) يكون المورفيم في هذه الأنواع الثلاثة إمّا عنصراً صوتياً، أو مقطعاً، أو عدّة مقاطع، وأحياناً يأتي المورفيم فونيماً واحداً. وعلى هذا تكون المتوالية التركيبية للبنية في اللغة العربيّة على الوجه التالية:

ولإيضاح حركة المورفيم داخل التركيب، نحلل المثال التالي: تجلس المهندسةُ في القاعة.



مورفيم مقيّد ، مفرد ، مؤنث ، يدّل على الفاعلية . (التاء)

- مورفيم حرّ يتمثل في الأصل (جلس).

- مورفيم صفري يتمثل في الضمير هي المستتر، الدال على الفاعلية، والاسناد التأنيثي .

- الصائت القصير موفيم مقيّد يؤشر الاعراب بالرفع.

- أل مورفيم مقيّد.

- مهندسة مورفيم حر (اسم مجرّد علم) دال على العدد ، والجنس .

- الصائت القصير مورفيم مقيد يدلّ على الفاعلية.

في : مورفيم حرّ يدل على الظرفية.

مورفيم صفري يدل على البناء.

القاعة: أل - مورفيم مقيد للدلالة على التعريف.

قاعة - مورفيم حر

صائت الكسر مورفيم مقيّد يؤشّر الاعراب بالجر.

وقد يأتي المورفيم متشكلاً، أحياناً، من طبيعة العناصر الصوتية ذات الدلالة على التصور والماهيّة. وهذا ما نشاهده في حالتي المفرد والجمع التكسيري:

رجل رجال

قلم أقلام

كرسي كراسي

فالقيمة الصرفية لكلمة (رجال ، وأقلام ، وكراسي) ، يستدل عليها من خلال فونيماتها الصائتة، وترتيب صوامتها في البنية التركيبية ، المخالف من حيث الصيغة، والبناء الصوتي للألفاظ المفردة.

وقد يأتي المورفيم «موضعياً» ، ويستدل عليه من طبيعة الائتلاف بين عناصر التركيب في البنية وفق توزيعها التصاعدي.

ففي التركيب : «ضرب عيسى موسى » لا يمتلك التركيب أيّة دالة إشارية على أيّ الصيغتين الاسميتين (عيسى، موسى) وقع تأثير الفعل (الفاعلية أو المفعولية). وهنا لا بدّ من العودة الى طبيعة الجملة العربية وفق تسلسلها السياقي:

(الفعل) (الفاعل) (المفعول به)

لكي نستدل من خلال ذلك على فاعلية (عيسى) ومفعولية (موسى) . فالوظيفة النحويّة حددت على أساس موضعية المورفيم أو موقعيته.

وقد أدرك علماء العربية القدامى القيمة الدلالية للمورفيم ، وهم يفصّلون القول في مستويات اللغة المختلفة.

ابن جني، في مقدمة القوم، يكشف ببصيرة العالم المدرك ، أنّ حروف المضارعة ، وإنْ حملت قيماً متكافئة في الإفادة ، والدلالة على الحال، والاستقبال ، للحدث المقترن بالزمن ، الذي زيدت عليه، لكنّها تحمل سمة دلالية أخرى هي (الفاعلية).

وعلى هذا فإنّها لم تتصدر الفعل إعتباطاً، دون مدلول قيمي. وقد قيّد ابن جني في خصائصه قائلاً:

«.... تقديمهم لحرف المعنى في أول الكلمة، فقدّموا دليله، وعلى ذلك تقدّمت حروف المضارعة في أوّل الفعل إذ كنّ دلائل على الفاعلين».(61) هذه الموفيمات التي تتصدر الفعل هي صور اختزالية لـ (أنا ، نحن ، هو ، هي) وقد أشّرت . حالات (الإفراد ، الجنس ، والعدد).

وإذا كان الأمر على صورة هذا البناء ، فلماذا هذا الافتراض التقديري وهم يسجلون في الإعراب : «والفاعل ضمير مستتر تقديره ...» ! إنّ هذا التسجيل لا يحمل بطاقة مشروعيته ، إذ أنه يدخل النحو إلى دائرة الغيبيات غير المتحققة.

وقد لاحـظ ابن جنّي أنّ في كثير من الصيغ الصرفية فروقاً في الدلالة، في حالة زيادة مورفيم في أوّل الصيغة، أو في وسطها على الجذر الأصلي . فالوزن الصرفي (فَعَلَ) في حالة إضافة مورفيم (الهمزة) في أوّله (أفْعَلُ) فإنه ينقله من فعل إرادي لازم الى فعل غير إرادي متعدي .

واذا زيد مورفيم (الألف) على الصيغة نفسها فإنها تصبح (فاعل) ، وفي هذا دلالة جديدة، أكسبها صوت الألف (الصائت الطويل) الى الصيغة التي تدلّ على المشاركة في الفعل، اثنين أو أكثر ، وليس من فعل واحد.

وإذا زيد مورفيم مماثل مقيّد، بدلالة التضعيف: (فَعَّلَ) فإنه يكسب الصيغة الدلالة على التكثير . وقد تكون (دلالة إيجاب) أو (دلالة سلب):

مَرَّضْتُ الرجُلَ   مورفيم مقيّد للسلب.

---

(61) الخصائص (224/1-255).

مَرَّضْتُ الرجُلَ   مورفيم مقيّد للإيجاب.

وفي الأولى حمل المورفيم الدالالة على السببية ، بينما في الثانية الدلالة على الإزالة.

وفي حالة إضافة مورفيمين مقيّدين: (تَفَعَّلَ) فإنهما يحملان دلالة التكثير المبالغ فيه.

ولو أتينا على الأحرف الناصبة (أن، لن ، كي ،إذن) التي تدخل على الفعل وتعمل فيه، بعد أن تنقله نقلتين:

الأولى: تجعله صالحاً للاستقبال وحده، بدلاً من صلوحه لزمنين، هما الحال والاستقبال.

الثانية: تسير وفق عمل كلّ حرف:

أنْ   الى المصدرية.

كي   الى التعليل.

لن   الى النفي.

إذن   الى الجزاء.

هذه المورفيمات تمتد على مساحة بناء العربية الصرفي ، وتتحرك في أدوار وظيفية متقنة، تجعل من العربية لغة رفيعة ، عالية البناء.

1/15/3 النبر (Stress)

النبر، أحد الفونيمات فوق التركيبيّة، Supra- Segmental phonemes لا يدخل مباشرة في تركيب البنى اللغويّة، لكنه يفضي الى أغراض المتكلمين النطقية، قوة وضعفاً، شدّة وليونة. ويقتضي طاقة، وجهداً عضلياً.

قال ابن سينا ، وهو يؤشّر هذه الحالة النطقية: «حفز قوي من الحجاب وعضل الصدر لهواء كثير»(62) وإشارة ابن سينا ، هنا ، إلى الهمز، الذي استخدمته العرب لمدلول واحد، دون التفريق بينه وبين النبر ، فالهمز يعني الضغط، والنبر، الضغط، والارتكاز.

والنبر هو المكافئ الاصطلاحي للهمز عند العرب، وإنّ كليهما يتطلب نشاطاً متحداً من أعضاء النطق : الرئتان ، عضلات الصدر، أقصى الحنك، الشفتان، اللسان، مما يؤدي إلى تعاظم مساحة السعة في الذبذبات الصوتية.

وقد عرفت العربية النبر، وعبّرت عنه بمسميات مختلفة ؛ الهمز، العلو، الرفع ، مطل الحركات، الارتكاز، الاشباع، المدّ، التوتر، التضعيف، وكلّها تفضي إلى مستوى دلالي واحد بوظائف متباينة تبعاً للسياق ، وبروز القيم الاستدلالية في النص اللغوي.

قال ابن جنّي: «وحكى الفرّاء عنهم: أكلتُ لحماً شاةٍ، أراد لَحمَ شاةٍ، فمطل الفتحة، فأنشأ عنها ألفاً»(63).

---

(62) أسباب حدوث الحروف (72).

(63) الخصائص (بيروت) (123/3).

وذكر، أيضاً، أنّ «الحركات عند التذكرّ يُمْطَلْنَ، وذلك كقولهم عند التذكّر مع الفتحة في (قُمْتَ) : (قمتا)، ومع الكسرة : (أنْتي)، أي (أنتِ)، ومع الضمة (قمتو) في (قمتُ)» (64) .

فالمطل عند ابن جني، في ما أورد، هو زيادة قوة الارتكاز، بالاشباع أو التضعيف ، إذا ما علمنا أنّ الألف، ضعف الفتحة ، والياء ، ضعف الكسرة ، والواو ، ضعف الضمّة، والقصد من هذا الاشباع زيادة الضغط على مقطع من المقاطع لاظهاره في السمع، لتحقيق غرض قصدي.

ونقل عن سيبويه في (مقروء – مقروٌّ) (65)

والنبر في منقول سيبويه، تضعيفي، ومثله في (النسيء) النسيُّ.

وقد قيّد في هذا النوع من التوتّر أنّه تحوّل من همزي الى تضعيفي (66) وهذا النوع نطلق عليه (النبر القصدي) أو (الغرضي) (Aimed stress)

وفي ما ذكره سيبويه (اسقاط الهمز الوسطي) من الأمور التي اقتبستها اللغة النموذجية من البيئة الحجازية ، وهو ما يشكل بنية (النبر القصدي)، ويمكن الاصطلاح عليه (النبر المدّي) أو (الطولي)، الذي امتدّ على مساحة واسعة من اللهجات الحديثة.

ويمكن لنا أنْ نلاحظ التحوّل من (النبر التضعيفي) الى (النبر الطولي) في الصيغ الصوتية (دينار) و(قيراط) التي أصلها (دنّار) و (قرّاط)، ويعلل ذلك

---

(64) المرجع نفسه (129/3) .

(65) الكتاب (بولاق) (347/3).

(66) القراءات القرانية في ضوء علم اللغة الحديث (151) .

ابن جنّي قائلاً: «لقولهم في الجمع : (دنانير) و (قراريط)(67).

ولا يعني أن عدم احتلال النبر مساحة واسعة في الوسط الصرفي العربي دليل إنكاره، وأنّ العربية لا تعرف النبر. صحيح أنّ النبر في العربيّة لا يستخدم كفونيم ، إلاّ أنّ هذا «لا ينفي وجود النبر في اللغة، ولا تكاد تخلو منه أيّ لغة» (68).

وهناك في متن العربية العديد من الشواهد، يمكننا أن نلتمس من خلالها فونيمية النبر، ولكن عدم الفطنة إلى تحليلها وتقعيدها وتسجيلها ، مثل قواعد النحو، والصرف ، منح أولئك الفرصة لانكارها في اللغة العربية، من أمثال هنري فليش (H. Fleish) الذي أشار إلى أنّ النبر لم يلتفت إليه، إلاّ في حالة واحدة في علم الصرف العربي، وهم يذكرون الاسم المؤنث، إشارة منه إلى (غيداء) و (نجلاء)، وذلك حين تلحق بالاسم المؤنث ألف التأنيث الممدودة ، في مقابل الألف المقصورة. وهو يريد بالأولى (المنبورة) وفي الثانية (غير المنبورة). لقد غاب عن نظر أولئك القوم أنّ الهمزة العربية هي صورة من صور النبر ، كما نبّه الى ذلك أبو زيد الأنصاري : «الهمز في اللغة الغمز والهتُ والضغط والنبر» (69).

وإنْ لم يفردْ علماء العربية النبر بمصطلح واحد، لكنهم أشاروا إليه، وإن لم يخصّوه بمبحث مستقل . وفي إشارة كارل بروكلمان، ما يؤكد وجود النبر في العربيّة القديمة، الذي يبدأ رحلته من مؤخّرة الوحدة الدلالية إلى مقدّمتها، وهو مما تغلب عليه الموسيقية، ويعتمد كمية المقاطع (70).

---

(67) سر صناعة الإعراب (دمشق) 757/2 .

(68) دراسة الصوت اللغوي (357) .

(69) أبو زيد الأنصاري وكتابه الهمز (32) .

(70) فقه اللغات السامية (54) .

وتظهر أهمية النبر في علم الصرف العربي حين نقف على نصوص في مصنّفات قدامى القوم. فهذا أبو العباس المبّرد يقول:

«ويجيء في فاعل ، الفِعالُ، نحو: قاتلته قتالاً، وراميته، رماءً، وكان الأصل : فيعالاً، لأنّ فاعلت على وزن : أَفْعَلْتُ وفَعْلَلْتُ ، فكان المصدر كالزلازل ، والإكرام، ولكن الياء محذوفة من فيعال ، استخفافاً ، وإنْ جاء بها جاءٍ فمصيب» (71).

ويعلل ذلك د. رمضان عبد التواب قائلاً:

«من طبيعة العربية الفصحى، أن تقصِّر الحركة الطويلة في المقطع المفتوح، إذا كان يسبق مقطعاً أخر منبوراً، ذا حركة طويلة، فأصل مصدر (فاعل) في العربية القديمة هو «فيعال» نبر المقطع الثاني، وقد ترتب على خلوّ المقطع الأوّل من النبر، أنْ قصّرت حركته، صار المصدر «فِعال» مثل: قاتل قِتالاً بدلاً من (قيتالاً) (72).

ويطالعنا ابن حزم الأندلسي، بنص يقف فيه على البنية الصوتية لهذا الأصل عند أهل الأندلس، حيث لاحظ أنّهم كانوا أميل إلى إطالة الصائت القصير كما في «عِنَبْ» فيقولون: «عينب» (73). وكذلك في ألفاظ أخرى سجّلها ابن هشام اللخمي من مثل «عامود» في «عمود» و «باعوضة» في «بعوضة»،

---

(71) المقتضب (القاهرة 1968) 100/2 .

(72) التطوّر اللغوي (128).

(73) الإحكام في أصول الأحكام 30/1 .

و «سرّ في داعة الله» بديل «دعة الله»[74] وأورد ابن مالك عن الكسائي أنه قال: «مَعِنْدك؟» و «مَصْنَعِتْ؟» بدلاً من ما عندك ؟ وما صنعت؟ [75] .

النبر واقع لغوي لا يمكن إنكاره، يمتدّ إلى داخل البنية اللغوية، ولذا أراه يمثل، بحق، جانباً مهمّاً في الدرس الصرفي العربي ، وإنْ جاز لي القول : إنه من اختصاص الميزان الصرفي ، كما ذهب الى ذلك الدكتور تمام حسان والدكتور محمود السعران [76] .

وحقيقة النبر تمتدّ إلى البنية العميقة للهمزة العربية، وصفة هذا الصوت، وقيمه الخلافية، وتحقيقه. أثناء العملية النطقية. والهمزة واحدة من الأصوات الأساسية في اللغة العربية، وأحد عناصر الأصوات العشرة في (فصيلة عناصر الزيادة الصوتية) في الصيغة العربيّة. ونظراً لتقلّب أحوال هذا الصوت الحنجري الوقفي ، وما يتطلب إنتاجه من جهد عضلي من أعضاء النطق، وضغطاً في النفس ، داخل البنية العربيّة، كان لا بدّ من إعادة قراءة النصّ الصرفي، والوقوف على جوانبه، وفق صور النبر المختلفة.

إنّ وظيفة الهمزة ، تباينيّه، وأنّ الذي يحقق وجودها ، أو يسلبها قيمها هو النبر، فالأساس في هذا الصوت هو الضغط والهتّ والنبر، وما الهمزة الاّ نوع من أنواع النبر.

النبر في اللغة العربية محكوم بقوانين صوتية، وله وظيفة، وإنْ لم يُقَيَّدْ برمز. فوضوح دخوله في الميدان الصرفي أمر بات في دائرة المعلوم ، من

---

(74) الدلالة الصوتية والصرفية في لهجة الاقليم الشمالي (73-78).

(75) شواهد التوضيح لمشكلات الجامع الصحيح (215) .

(76) مناهج البحث في اللغة (القاهرة 1955) (160-162) علم اللغة(208 , 209) .

خلال شواهد الأقدمين، أمّا أنّ العربية لا تلجأ إليه في تمييز أنواع الاستخدام اللغوي، فلأنها تمتلك سبيلاً آخر، أكثر استدلالاً، ووضوحاً، هو (الصيغة) أو (البنية) . ويمكن لنا أن نقف على ذلك من خلال صيغ الأفعال والأسماء، التي تختلف الواحدة عن الأخرى، ولكلّ منهما صيَغه وأبنيته التي أحكم قواعدها علم الصرف العربي، وإنْ حدث بعض التلاقي، وهو على قلة مروياته، فشاهد التنوين الذي يلحق الاسماء دون الأفعال ، وسيلة صوتية تقف لتحسم الأمر.

إنّ قواعد النبر بحاجة إلى قوة إدراك وملاحظة وأذن مرهفة السمع، ولا بدّ للوقوف عليها من معرفة بمقاطع أبنيتها، التي ألْمعنا اليها في المبحث السابق.

إنّ عدد مقاطع التركيب اللغوي تتناسب طردياً مع كمية الصوائت، ويمكننا تمثيلها رياضياً بالتركيب التالي:

$NS \alpha Nv$

تؤشّر درجات النبر، استناداً إلى مبدأ الوضوح، والبروز، والارتكاز، على المقاطع بثلاثة أنواع:

1. النبر الرئيسي Primary stress

2. النبر الثانوي Secondary Stress

3. النبر الضعيف Weak Stress

وتميّز هذه الأنواع الثلاثة بالعلامات التالية:

/^/علامة النبر الرئيسي

/-/ علامة النبر الثانوي

/w/ علامة النبر الضعيف

وقد بنيت هذه التنوعات على أساس :

١ . ازدياد شدّة الصوت.

٢ . ارتفاع نغمته الاسماعية.

٣ . امتداد مدته الإنتاجية.

يقاس النبرعن طريق (العدّ العكسي) للمقاطع ، أي من اليسار الى اليمين، وذلك يحدد بدقة مواقعها في البنية العربية. ولذا فإنّ عدّ المقاطع، قبل توزيع النبر، ابتداءً من نهاية الصيغة ونزولاً إلى أوّلها، ضروري لبيان مواقعه الصحيحة ، كما في النموذج التالي:

يَسْتَخْرِجُ يَسْ + تَخْ + رِ + جُ

O + O + M + M ⟸

1 2 3 4 ⟸

R+ R+ B + B ⟸

فالفعل المضارع مؤلّف من أربعة مقاطع (اثنان قصيران مفتوحان واثنان متوسطان مغلقان) . الأوّل فيها هو الآخر في النطق وهي تساوي (ستة أصوات صامتة + اربع صوائت + تركيبان صفريان). ولعلّ السبب في هذا العدّ العكسي أنّ الوحدة اللغويّة العربية، لا ينبر منها الاّ أحد مقطعين ، هما الثاني والثالث.

أما قواعد النبر في العربيّة فهي:

1. يحتل المقطع الثاني النبر الرئيسي، وهو مقطع متوسط القيمة الصوتية؛ وغالباً ما يتجاوز النبر المقاطع القصيرة.

كاتِبٌ

–		w		Λ
M	+	O	+	V
1		2		3

يَسْتَمع

–		w		w		Λ
O	+	O	+	O	+	M
1		2		3		4

جائعٌ

		w		Λ
M	+	O	+	V
1		2		3

2. الوحدات اللغوية التي تتألف من مقطع واحد، كحروف الجر، وأفعال الأمر وغيرها، فإنّ هذا المقطع يحتل النبر الرئيسي.

3. هناك ما يسمى بالنبر الاشتقاقي، وهذا النوع ينتقل وفق تلوّنات الصيغة الاشتقاقية.

«كَتَبَ، يَكْتِبُ، كاتِبٌ، مَكْتوبٌ، كِتابَةٌ، يَسْتَكْتِبُ...»

ويعلل الدكتور ابراهيم أنيس سقوط حركات الإعراب في المستوى العاميّ بسبب هذا النوع من النبر الاشتقاقي.

وهناك نوع آخر من النبر سمّي بـ «نبر السياق» "Sentence stress" وهو ما نعنيه بنبر الجمل، لأنّ النبر فيها يشقّ طريقه عبر السياق (Context).

1/16 الوحدة اللغوية (الكلمة)

الحدود والماهية :

الوحدة اللغوية (الكلمة) مادة اللغة، وهي مسألة التمرين ، والممارسة الصوتية والصرفية. فما هي ؟ وما حدودها الصوتية والدلالية؟ وكيف تجري طبيعتها الإئتلافية في النسق الكلامي؟.

قبل أن نبحر مع أرضية المادة التي أقمنا عليها دراستنا الحالية، لا بدّ لنا أنْ نؤكد أنَّ هذه الوحدة بعناصرها الصوتية يجب أن تمثّل جوانب العملية الفكريّة، وأنْ تستوعبها بشكل واعٍ ودقيق، لأن اللغة وعاء الفكر.

ومن هنا يجب أن نعتمد على معيار نقيّم على ضوئه ماهية هذه العلاقة، وحدودها ، ونرسم على مقاييسه أبعاد هذا المصطلح، الذي يمثل أساس الدرس اللساني في جوانبه الصرفية، والنظمية ، والدلالية، والمعجميّة. وبما أنّ الكلمة هي محتوىً صوتي ودلالي، ونظمي ، بتكويناتها الوظيفية، كان لابدّ

أن نناقش هذه المعايير الثلاثة، لنقف من خلالها على التصور الحقيقي للكلمة.

ونبدأ باستعراض آراء السلف في هذه القضية اللغوية المهمة.

– جاء في المفصّل: الكلمة : «اللفظة الدالة على معنى مفرد بالوضع»[77]

– وفي همع الهوامع، الكلمة : «قول مفرد مُستقل أو مَنْوي منه » [78].

– وفي المقتضب ، الكلمة : «أقلُّ ما تكون عليه حرف واحد، ولا يجوز لحرف واحد أن ينفصل بنفسه، لأنّه مستحيل »[79]

– وفي مفتاح العلوم، الكلمة: «هي اللفظة الموضوعة للمعنى مفردة والمراد بالإفراد، أنّها بمجموعها وضعت لذلك المعنى دفعة واحدة» [80]

– وابن يعيش يقيّد أنّ كلّ كلمة معرفة «بأل» تدلّ في بنيتها التركيبية على قيمتين تحملان دالاً تمييزياً، يظهر في «التعريف» و «المُعرَّف». ولا ينكر هذا اللغوي، وجود حالة تباينية بين نطق ألفاظ مثل «الغلام» وبين واقعها الخطّي، فهما من حيث الرسم كلمتان، ومن جانب الصوت واحدة [81]

---

(77) المفصل – الزمخشري (6).
(78) همع الهوامع ، السيوطي (3/1)
(79) المقتضب (بيروت) (36/1).
(80) مفتاح العلوم (4).
(81) التنوعات اللغوية (165).

– والسيوطي يصرّح برؤية فيها تخليط منكر من النحاة ، حين يفيد ، بأنّ الكلمة، تطلق على ما هو مفيد من الجمل. وهذه رؤية تجويزيّة تمنح الكلمة مساحة واسعة في الاستعمال اللغوي[82].

– وسيبويه يفتتح الكتاب بأجزاء الكلام، والكلم في منظورة ، اسم وفعل وحرف. ووحدات اللغة في نظره على ضربين: «الكلم» و «الزوائد» ، ويعني بالزوائد العناصر الصوتية العائمة ، التي تفرز معطياتها على الصيغ، وتنتقل في أوساطها ، بغية منحها منظورات دلالية، تساير متطلبات الفكر.

– وأبو البركات الأنباري يرى أنّ: «الكلم اسم جنس واحدته كلمة، والكلام ما كان من الحروف، دالاً بتأليفه على معنى يحسن السكوت عليه»[83].

ويبدو أنّ هذا الذي يحسن السكوت عليه في ثلاثة أقسام؛ الاسم، والفعل، والحرف، وهو تقسيم اعتباطي Arbitrary وتصنيف قائم على ما ننعته بـ «النموذج اللغوي العام».

ويبدو من خلال هذه القراءة لمتجه القوم، أنّ الكلمة في منظورهم تتمتع بالاستقلالية في بنيتها الصوتية والصرفية، وكذلك في مسارها الدلالي، وعلى هذا المفهوم نما درسهم اللغوي وشبّ، واستقرّ مذهبهم في الرؤية، والفهم لأبعادها على اختلاف تنوعات الإجراءات النحويّة ، والصرفية.

أما متّجه المحدثين من اللسانيين، فانّهم وجدوا أنّ نظرية السلف هذه

---

(82) المرجع نفسه (166).

(83) أسرار العربية (28).

يشوبها الاضطراب المتأتّي من عدم التحديد الدقيق لماهية الكلمة. وفي الآتي نحاول إجمال تصور اللسانيين ونقدهم للإطار العام الذي تدور في فلكه «الكلمة»:

– حتى لو تميّزت الكلمة عن عناصرها الصوتية وانفردت بمنظور دلالي، فإنّ هذا يبدو أمراً غير مستوفٍ لأبعاده، إذا ما وجدنا أنّ مساحة اللغة تأوي تحت خيمتها دلالات محمولة مرة على كلمة مفردة واحدة، تضمّها عناصر صوتية مجتمعة، في إطار واحدة، وأخرى على وحدتين لغويتين منفصلتين. (خبّاز – صانع الخبز، كحّال – حكيم العيون؛ جرّاح – طبيب بشري) وغيرها مما يضمّ متن اللغة. وإن كان هذا من جهة المنطق أمراً مقبولاً، إلاّ أنّه من الممكن أنْ يكون مستخدماً من بوابة المجاز. وإلاّ ما نقول في من يُلقي كلمةً، وهو يقدّم سيلاً من الجمل والعبارات ؟ واللسانيون في نظرتهم هذه لمنظور الدلالة، وقصوره في تحديد أبعاد الكلمة، يغفلون قدرة اللغة وإمكاناتها التعبيريّة.

– يطرح أحد المعاصرين من اللساينين رؤيته القائمة على أنّ الكلمة سلسلة حلقات صوتية ، مترابطة مع بعضها، تحكمها حدود معيّنة، ولها دور وظيفي في داخل التركيب، الذي تقع فيه، وتتصل وفق منظور نظمي، بمثيلاتها، مع قدرتها على المحافظة على تكويناتها الصوتية [84].

ويبدو أنّ Robins قد اقترب من الرؤية الحقيقية لماهية الكلمة، وإنْ كان هذا المفهوم يدور في فلك رؤية السلف من علماء الصرف العرب.

Robins (R.H.) general linguistics, (p149-154) (84)

أما ما نذهب اليه فإنّ الكلمة دليل لغوي ، له وجهان دال وآخر مدلول، يتمثل الأول في الصورة الملفوظة والثاني في ما يحمله الدال من قيمة تمييزية تستبان من خلال وجوده الوظيفي داخل البنية التركيبيّة.

فالجذر الثلاثي (جَلَسَ) وما اشتق منه (جالس) وما اشتمل عليه الأوّل ، من ثلاثة أصوات مشكّلة بالفتح، دلالة الحدث المقترن بزمن مضى وانتهى:

3C + 3Vs

والثاني ثلاثة أصوات موزعة البناء بين الصائت القصير والصائت الطويل:

3C + 2Vs + 1VL

فالفرق هنا ليس فرقاً في الصورة المكتوبة، المتمثلة بزيادة الصائت الطويل، الذي ترتب عليه تباين الدلالة، إنما هو فرق بين الدال الأولى والدال الثانية، الذي ترتب عليه فرق في الدّلالة.

هاتان الكلمتان ضمتا في تكويناتها جوانب ثلاثة:

– الجانب الصوتي وهو ما يتوزع بين الصامت والصائت.

– الجانب الدلالي وهو ما أسهمت في إظهار قيمة عناصر التراكيب الرياضية المؤشّرة.

– الجانب النظمي وهو ما أسهمت في بنائه الداخلي «الحَدَثيَّة» و«الزّمانيَّة» في الحالة الأولى، والثانية إذا وقع في تركيب، وزمان اسم الفاعل هو الحال أو حكاية الحال. أما إذا عزل الثاني من التركيب فإنّه يحتوي (الحدثية) و (الفاعلية).

وتبقى هذه الوحدات اللغوية (جالس) و (جلس) غير قابلة للتجزئة، إلاّ إذا أريد تحليلها إلى عناصر صوتية أو انتظامها في هيئة مقطعية، أو تحديد أبعادها المور فيمية . أما أن نقول إنّ المقطع الأول من جالس (V) يحمل نصف المدلول وأنّ المقطع الثاني B يحمل النصف الآخر، فهذا مستبعد في مسائل التحليل اللغوي.

صحيح أن جَلَسَ ⟸ حدث + (زمانية)

جالِسٌ ⟸ حدث + فاعلية (زمانية)

وأنّ هذا فعل مزدوج ، لكنه غير قابل للتجزئة الدلالية.

ومسألة الأسماء المركبة تركيباً إسنادياً، أو إضافياً كـ (تأبّط شراًّ) و (عبدالرحمن) والأسماء المعرّفة (بأل التقييدية) كالحارث ، والعبّاس ، والوليد ، والحمزة، أيمكن تجزئتها من أجل الوقوف على مدلولاتها؟ إنّها رؤية القوم، ومتجههم في نعوتهم للأشياء ، وإن كانت للمبرّد في الاشتقاق رؤية أخرى في تسميات العرب واشتقاقاتها. وبعد، ما هي حقيقة المنظورات التالية:

منظور الدلالة النظمية

منـظور المقياس الصرفي

منظور اللواحق والسوابق

الكلمة هي مادة الصّرفي، يحكم تسجيلها ، ويقدّمها مفسّرة بصيغها، ومحتوياتها، لواحقها، ولواصقها ويأتي النحوي لينظر في وظائفها من خلال دخولها خيمة التراكيب. ثم يأتي المنظور الدلالي ليكشف عن محتوياتها داخل السياق، معتمداً كأساس في الرّصد لبطاقتها المعجميّة.

ومن خلال هذه البوابة يمكننا أن نسجّل الآتي:

- تنتمي بعض الكلمات الى فئتين:

أسماء الأفعال ⟸ أفعال لأنها تدلّ على حدث مقترن بزمان يضمر فيها الفاعل وتنصب مفعولاً به، من خلال منظور الدلالة النظميّة.

⟸ أسماء لأن البعض منها يقبل دخول علامات الاسم عليه مثل التنوين والتصغير وقبول (أل) التعريف، من خلال منظور المقياس الصرفي.

(أُفٍّ ، آهٍ، إيهٍ ، واهاً)، (رُوَيدَ) ، (النجاءَكَ).

أدوات الشرط والاستفهام وبعض الظروف ⟸ لا تتصرف ، وليس لها. لواحق، وتشبه الحروف في بنائها على صوتين. مثل:

(مَنْ، ما، متى ، أينَ، هَلْ، الهمزة) (إذا، إذ، منذ، مُذْ، قطّ...)، من خلال منظور المقياس الصرفي

ولكنّها تتمتع بميزات الأسماء وتحمل وظائف الاسم، كأن تقع مبتدأ ، أو خبراً ، أو مفعولاً به، أو ظرفاً، أو مفعولاً مطلقاً من خلال منظور الدلالة النظميّة.

إنّ العربيّة لغة منتظمة البناء، محكمة النسج، تختلف كلّياً عن اللغات الأخرى، بنظامها الصرفي ، والقواعدي الذي لا يقبل الخلل، ويسير وفق مقاييس لا تنتظمها بقية اللغات، كالانجليزية مثلاً. فالوحدة الصوتية في الانجليزية (الفونيم) غير مستقرة، وتحمل تلوّنات عدّة بين المنطوق والمكتوب ، مما جعل أكثر من باحث أمثال R.L. Trask يصرّح أنّ اللغة الانجليزية

أصابها كثير من التحوّل خلال تاريخها التطوري، وهي إلى اليوم في حالة تغيّر(85) . نقرأ:

F ⟹ F / Fellow

⟹ Ph / philosophy

⟹ gh / rough

⟹ off / off

K ⟹ K / Kite

⟹ ch / chord

⟹ c / cat

⟹ Q / Quite

وتتحول بعض الفونيمات، التي تتركب من فونيمين مختلفين في الكتابة الى فونيم واحد عند النطق، ويبدو ذلك ممكناً في التراكيب التي تنتهي بـ (ed) فإنها تنطق (t):

walked ⟹ walk + t

Talked ⟹ Talk + t

Stopped ⟹ Stop + t

Liked ⟹ lik + t

Trask, language change, p.1(85)

وفي الجمع يتحوّل الفونيم في النطق الى فونيم أخر:

Orange + S ⟹ Orange + z

Dog + S ⟹ Dog + z

وهذا الأمر لا يحدث في العربية لاستقرار تركيبها الفونيمي.

لا يفرّق نظام اللغة الانجليزية التركيبي للوحدات اللغوية بين أنواع الكلمة (الحرف، الفعل، الاسم) الاّ داخل السياق البنائي للكلام. فالكلمة (Round) ترد مرة فعلاً (Verb) ومرّة اسماً (Noun) ومرّة (Adj.) ومرّة (Adv.) ، وهي بنفس التركيب الصوتي، والذي يحدد هذه الأربعة حركتها داخل السياق .

يدور ⟸ دائرة ⟸ دائري ⟸ حول

V. N. Adj. Adv.

وكذلك (Back) وغيرها زاد وفير. أمّا العربية فإنّ (الحرف ، والفعل ، والاسم)، أنواع الكلمة الثلاثة، لها بنائها الشكلي داخل السياق التركيبي وخارجه. فكلمة (وَلَدٌ) اسم داخل السياق وخارجه طالما احتفظت بهذا البناء وأماكن الصوائت. لكنّها قد تكون فعلاً مع بقاء البناء الصوتي وفق الترتيب الاسمي، مع اختلاف حركة الصوائت (وُلِدَ) وهنا تكون فعلاً.

إذاً، أنّ كلّ لغة من لغات العالم لها نظامها الصوتي، والصرفي، والنحوي، والدلالي ، وليس بالضرورة أن تتماثل ، لكنها يجب أن تكون ذات أنظمة مستقرة، واضحة البناء.

والاسم في العربية ، كلمة تدلّ بذاتها على شيء محسوس ، أو شيء غير محسوس، يعرف بالعقل ، غير مقترن بزمن[86] . هذا الاسم له لاصقة واحدة في العربية (Prefix) وهي (أل – ذات الهمزة الوصلية) والتي تفضي الى التعريف عموماً، وقد تكون فائضة. وللاسم واسطة واحدة (Infix) هي (الياء التصغيريّة) وله لواحق عدّة (Suffix) نذكرها:

1. الجر.
2. التنوين. (الأمكنية – التنكير – العوض – المقابلة)[87].
3. النداء .[88]
4. أل التعريف [89]
5. النسب.
6. التثنية .(ألف ونون وياء ونون).
7. الجمع .(واو ونون وياء ونون).
8. ألف التأنيث التي تصير هاء عند الوقف: مجاهدة، كريمة، مخلصة.

---

(86) النحو الوافي (26/1) مثل (مُحمَّد، شَرَفٌ).
(87) تنوين التنكير يلحق الاسماء المبنية غالباً ليكون وجوده دليلاً على أنها نكرة وحذفهُ دليلاً على أنّها معرفة (صاح الغراب غاقٍ – غاقٍ – إن كان حزناً أو جزعاً أو إطالة.
وتنوين المقابلة (تنوين جمع المذكر السالم وقد حلّت محله النون – إذن فهو اللاحق لجمع المؤنث السالم ليكون في مقابلة النون في جمع المذكّر السالم.
(88) المنادى «مفعول به – يا محمّد – أدعو محمّداً. والمفعول به لا يكون إلاّ اسماً.
(89) أورد النحاة شاهداً على دخول أل ميدان الفعلية :
« ما أنت بالحكم الترضى حكومته ولا الاصيل ولا ذو الرأي والجدل».

9 . الإضافة . تهفو نفسي لسماع صوت القرآن.

10. عود الضمير. أفلح الأمين (الذي هو أمين).

11 . البدل – أي أن يبدل منه اسم صريح: كيف محمد؟ أصحيح أم مريض؟

12 . ألف التأنيث المقصورة: ليلى ، حبلى ، كبرى.

13 . ألف التأنيث الممدودة : سمراء ، حمراء، شقراء، صحراء.

14. التوافق الوزني: نزال على وزن حَذام. فاستُدلّ به على الاسمية.

15. الندبة. زيدا، محمّدا...

هذه المورفيمات مختلفة التدرج النسبي ، وليست كلّها على درجة واحدة من قبول الاستضافة من قبل الفصيلة الاسميّة[90]. فالأسماء الموصولة تثنى وتجمع : الذي – اللذان – الذين؛ التي – اللتان – (اللاتي ، اللاتِ واللاءِ – واللائي) لجمع المؤنث بنوعيه. والأولى، الأولاءِ لجمع المذكر والمؤنث مطلقاً. وأسماء الإشارة: ما هو للبعيد وللقريب، وما هو للمفرد والمذكر والمثنى والجمع والمؤنث: ذا، ذي، تي ، ذان، ذين، تان، تين، ذاك ، ذيك، تيك، تاك، ذلك ، تلك، أُلي ، أُلاءِ ، هنا، ثمَّ، أولاك، أولئك، هناك ، أولى لك، هنالك ، هؤلاء . وقد تدخل هاء التنبيه وبشرط ان تتصل باسم الإشارة مباشرة.

---

(90) تضَم الفصيلة الاسميّة: اسماء الأفعال (التداخل فيها بين سمة الاسم الصرفيّة، وسمة الفعل السياقية: (شتّان ، هيهات ، حَذار، صَهْ ، مَهْ، نَزالَ، زَحامِ ، دَراكِ، حيّهل، هَلُمَّ، وَيْ ، أفّ، آمينَ، هيًا ، أوه).

أسماء الأصوات – مبنية لا محلّ لها من الإعراب – تدل على مجرّد الصوت: (هيد، دَهْ، جَهْ، إسٍ، عاج، هُشْ، سع، وَحَ، جاه، عَدَسْ، نَخْ، هِدَعْ، غاقْ، طاقْ، قَبْ».

والادوات الاستفهامية والظروف والاسماء المبهمة (كالضمير ، والاسم الموصول ، واسم الاشارة ، والعدد، وكلّ وبعض وغير وسوى..»

والصفة والاسم الصريح..

هذه الأمور المتداخلة بين البنية النحوية والصرفية، وما يتبعها في الدلالات السياقية ومعاييرها ، مما يجعل اعتماد الجوانب الصوتية ووظائفها أمراً دائم الحضور، لاستكناه جوانب القيم الخلافية التمييزية. فأسماء الأفعال تدل على حدث مقترن بزمان، لكنها تمتلك صفة القوة، وتدلّ عليها بدلالة اللزوم.

هذا السمات التي ترافق كينونة هذا الصيغ تحكمها ؟ أحياناً محدودية الأسلوب ، ولذا فإنّها تعاني من الازدواجية التي يجب الوقوف عليها واحكام بياناتها.

ولذا كان لا بدّ من تأشير هذه الازدواجية وبيان دلالاتها (الحدثية) و (الزمانية) الصرفية في الأفعال والأسماء.

أما الحروف فإنها تختلف بناءً، ووظيفة. فمن حيث البناء الصوتي منها:

1. ما يقوم على عنصر صوتي واحد: (اللام، الباء، الكاف..)
2. مايقوم على عنصرين صوتيين: (لم ، لن ، أن....)
3. مايقوم على ثلاثة عناصر صوتية: (ليت، إذن...)
4. مايقوم على أربعة عناصر صوتية : (لعلَّ، كأنّ، حتّى...)
5. مايقوم على خمسة عناصر صوتية: (لكنّ...)

هذه الصيغ البنائية تتداخل مع صيغ الاسماء، وتبقى وظيفة الحرف هي الربط بين جزئيات التيار الكلامي. وهي على نوعين (أصوات معاني وأصوات مباني. والأولى مثل: (ما هو مختص بالاسماء كحروف الجر والحروف المشبهة بالفعل، وما هو مختصّ بالأفعال كحروف الجزم: أنْ ،

لَنْ، إنْ، ومنها ما هو مشترك بين الاسم ، والفعل : (همزة الاستفهام، هل، ما، لا النافيتين، وأحرف العطف، وكي، وإذن...».

وأخيراً فإنّ منهج النحاة والصرفيين العرب، وإن بدا مفصلاً، فإنه لكثرة التشعبّات بين الجوانب النحوية، والصرفية ، والمعجمية والدلالية، فإنّهم عمدوا الى المنهج الوصفي، وحينما تحاصرهم القاعدة ، ويطلب الحكم في قضيّة ما، فإنّهم يجنحون الى جوانب تعليلية، كالتغليب، والسماع. وكان الأولى أن يشذّبوا الأمور النحوية، والصرفيّة، ويحكموا بناء ظواهرها، ويتخلّصوا من هذا الفائض، الذي تسبب في تراكمية، أشاعت اللبس والغموض في التفسير، والتعليل، وانتهت الى هذا الكمّ التصاعدي من القضايا التي تحتاج الى المراجعة وإعادة القراءة ، وفق منظور البحث اللساني الحديث، وبما يخدم الظاهرة النظمية، دون العبث بمحتوياتها.

1/17 ماهيّة اللغة ووظائفها

حدّ ابن جني اللغة في منظوريها المعجمي، والاصطلاحي، بقوله: «أما تصريفها ومعرفة حروفها فإنّها فُعْلَةٌ، من لَغَوْتُ أي تكلّمتُ ، وأصلها لُغْوَةٌ ، ككُرَة، وقُلَة، وثُبَة، كلّها لا ماتها واوات، لقولهم كروتُ بالكرة وقلوت بالقلة» (91) .

وجاء في لسان العرب : «ويقال لَغوت باليمين ، ولغا في القول يلغو ويَلغى لَغْواً ولَغِيَ، بالكسر، يَلْغَى لغاً ومَلْغاة: أخطأ» (92)

---

(91) الخصائص 34/1.

(92) لسان العرب (لغا).

ويبدو أنّ عدم ذكر القرآن الكريم لكلمة (لغة) يذهب بنا الى الاعتقاد أنّ اللفظة ليست عربيّة، وما كان مستخدماً قديماً فهو بدلالة اللهجة. وقد وردت كلمة «لسان» وجمعها «ألسنة» في القرآن الكريم:

- ﴿ وما أرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إلاّ بِلِسَانِ قومه﴾ إبراهيم / 4
- ﴿لِسُان الذي يُلْحِدُونَ إليه أعْجَمِيٌّ وَهذا لِسانٌ عَرَبيٌّ مبينٌ﴾ النحل /103
- ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ مريم / 50
- ﴿واجْعَل لي لِسانَ صِدْقٍ في الآخرينَ﴾ الشعراء / 84
- ﴿بلسانٍ عربيٍّ مُبينٍ﴾ الشعراء /195
- ﴿وأخي هارونُ هو أفْصَحُ مِنّي لِساناً﴾ القصص/ 34
- ﴿وهذا كتابٌ مُصَدِّقٌ لِساناً عَرَبِيّاً﴾ الأحقاف/ 12
- ﴿أَلَمْ نَجْعَل لهُ عَيْنَينِ وَلِسَاناً وَشَفَتَينِ﴾ البلد/ 9
- ﴿لُعِنَ الذين كَفَروا مِنْ بَني إسرائيلَ على لِسانِ داودَ وعيسى بنُ مَرْيَمَ﴾ المائدة / 78

وتذهب نصوص هذه الآيات إلى جملة دلالات[93] : فهي آلة الكلام في البلد9، وبمعنى رصد الكلمات والقواعد الذي تملكه الجماعة اللغويّة، في ابراهيم/4، والكلام بمعنى الاستعمال الفردي للغة في (المائدة/ 78) والأسلوب بمعنى الخاصة الفرديّة للمتكلم، في (القصص / 34). وتعد كلمة لسان من المعجم الاساسي المشترك في اللغات الساميّة، وقد ترددت عند ابن النديم بمعنى لغة، في حين أنها يونانية الأصل.

---

(93) المصطلح الألسني العربي وضبط المنهجيّة د. أحمد مختار عمر (7) ، عالم الفكر – العدد 3 سنة 1989 م.

أمّا اصطلاحاً، فقد حدّها ابن جنّي قائلاً:

«فإنّها أصوات يُعبِّر بها كلُّ قوم عن أغراضهم»[94] وفي هذا التعريف اشتمال على طبيعة اللغة، وعناصرها الصوتية، ووظائفها التعبيريّة.

أما ابن خلدون فقد أورد في المقدّمة ما نصّه:

«إنّ اللغة في المتعارف، هي عبارة المتكلّم عن مقصوده.. واللغة ملكَةُ اللسان.. وهو في كلّ أمّة بحسب اصطلاحاتهم» [95]

وابن خلدون يخلط الوظيفة بالماهيّة والحدود، ولم يخرج عن المنظور العام للغة عند ابن جنّي.

أما المحدثون، فإنّ اللغة عندهم وسيلة التواصل بين أفراد الأمم غير الموجودة في الزمان والمكان .[96]

وكلّ التعريفات التي جاء بها أهل اللغة من غير العرب لا تبتعد عمّا طرحه المفكرون العرب. جاء عن (Sapir) أنّ اللغة قرينة الثقافة ، وطريقها المتعلّمة، وهي من مكوّناتها الأساسية، ودليل واقعها الاجتماعي [97]. في حين أن Jesperson يؤكد على جوانب اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة : –«عن طريق الفم والأذن وليس عن طريق القلم والعين»[98].

---

(94) الخصائص 34/1.

(95) المقدّمة (1252-1254).

(96) اللغة بين المعيارية والوصفية (11) واللغة وعلم النفس (17).

(97) Sapir, Language An Introduction, p.(8)

(98) Jesperson (ottoo) language (p.23)

وكلّ التعريفات التي وقفنا عليها تسير وفق المنهج الوصفي، الذي يؤكد على أهمية وظيفتها، وبيان القول فيها، باعتبارها أداة التواصل بين أفراد المجموعة الانسانية.

إذا كانت اللغة أداة التواصل والتسجيل، ووعاء الفكر ، فإنّ وظيفتها تتعلّق بشكل مباشر، وعمليّ ، بشتّى النواحي العقلية، والعاطفية، والرغبات البشريّة. وقد أشار بعض اللغويين إلى أنّ البنية اللغوية هي التي تحدد الفكر، وتسيطر عليه سيطرة كاملة . لذلك فإنّ نظرة هؤلاء الى المحيط الذي يعيشون فيه تختلف باختلاف اللغات التي يمارسونها.

ويرى د. عزمي اسلام أنّ طريقة تفكير بعض المجتمعات البشرية هي التي تحدد أسلوب تراكيبهم اللغويّة.ويرى أنّ التفكير عند العرب والفرنسيين يغلب عليه الطابع الاستدلالي (Deductive) فإنّ الصفة في لغتيهما تتبع الموصوف مثل «كتاب أسود أو Livrenoir على حين أن التفكير عند الانجليز استقرائي (Inductive) فالموصوف عندهم بعد الصفة في الترتيب التركيبي (Black book) ، والجملة العربيّة جملة فعلية تبدأ بالفعل، بينما في اللغة الانجليزية تبدأ بالأشخاص[99].

والرأي الأعم أنّ اللغة ذات علاقة متبادلة مع الفكر وأنّهما وجهان لعملة واحدة، ونحن لا نستطيع أن ننطق بما لا قدرة لنا على التفكير به. وحتى هذا المتّجه فإنه يبقى قاصراً عن بلوغ الغايات والأهداف ، وبعيداً عمّا يمكن أنْ نسميه «المونولوج الداخلي» .

---

(99) مفهوم المعنى (19-20).

ويقدم لنا اللغوي الاجتماعي (Halliday) ثمانية وظائف للغة يمكن إجمالها في التالي:

1- الوظيفة النفعية Instrumental function

2- الوظيفة التنطيميّة regulatory function

3- الوظيفة التفاعلية Interpersonal function

4- الوظيفة الشخصية Personal function

5- الوظيفة الاستكشافية Heuristic Function

6- الوظيفة التخيليّة Imaginative function

7- الوظيفة الاعلامية Informative function

8- الوظيفة الرمزيّة Symbolic Function (100)

وتبقى هذه الوظائف قاصرة على شمول كافة جوانب التحليل اللغوي. وإنْ غَطّت غالبية جوانبه، إلاّ أنّها تبقى تدور في فلك التوصيل، ونقل الأفكار.

ولعلّ محاولة ابن جنّي في تفسير الظاهرة اللغويّة هي الأرجح في كفة توازن الوظائف ، إذ أنّها تقوم على محوري الزمن، والنوع، المتمثلة بعلاقات الإنسان بأفراد المجموعة البشرية، والإحساس بوجوده من خلال التواصل معهم . يقول :

«ذلك أنّهم وزنوا حينئذٍ أحوالهم وعرفوا مصاير أمورهم، فعلموا أنّهم محتاجون الى العبارات عن المعاني ، وأنّها لا بدّ من الأسماء، والأفعال،

(100)(Halliday),System and function in Language (pp27-29)

والحروف، فلا عليهم بأيِّها بدأوا بالاسم، أم بالفعل، أم بالحرف، لأنّهم قد أوجبوا على أنفسهم أنْ يأتون بهنَّ جُمَع إذ المعاني لا تستغني عن واحد منهنَّ» (101) وهذا النصّ يؤكد على أنّ اللغة ظاهرة إجتماعيّة، وهو ما أكّده ابن حزم الأندلس بقوله:

«فاللغة جسر الأنسانية الى كلّ القيم المجرّدة» (102).

وإن غلب عليه العموم، إلاّ أنه إجمال لوظيفة اللغة الاجتماعية.

ويذهب كمال الحاج الى أنّ اللغة «أكثر من واسطة، إنّها غاية شرط أن نفهمها فهماً ديناميأً، اللغة أصوات في حروف ، وحروف في كلمات، وكلمات في جمل، وجمل في نحو، ونحو في بيان، والبيان وحدةٌ لا تتجزأ...» (103).

ورؤية د. كمال هذه تقوم على فلسفة هذه اللغة، ولذا فإنّه ينظرها في هذه الزاوية ، وعلى سطحها تنعكس حياة الأمة، في جانبيها النفسي والمادي. أمّا فندريس فإنه يؤكد على أنّ اللغة « هي الصورة اللغوية المثالية التي تفرض نفسها على جميع الأفراد في مجموعة واحدة» (104). وهذا القول، وإنْ أشرّ جانب إجتماعية اللغة، إلاّ أنّه لم يُفصح بشكل تام عن طبيعة هذا الأداء الوظيفي.

ولعلّ الآمدي خير من أوضح مفهوم إجتماعية اللغة حيث قيّد ذلك قائلاً:

---

(101) الخصائص 32/2.
(102) الفصل بين الملل والأهواء والنحل 28/5
(103) في فلسفة اللغة 172 .
(104) اللغة، فندريس (306).

«لمّا كان واحد لا يستقلّ بتحصيل معارفه بنفسه وحده دون معين ومساعد له من نوعه، دعت الحاجة الى نصب دلائل يتوصّل بها كلّ واحد الى معرفة ما في ضمير الآخر من المعلومات المعينة له في تحقيق غرضه، ولذلك استخدم الإنسان ما يتركب من المقاطع الصوتية التي خصّ بها نوع الإنسان دون سائر أنواع الحيوان.. ومن اختلاف تركيبات المقاطع الصوتية حدثت الدلائل الكلاميّة والعبارات اللغويّة» (105).

إنّ هذا النصّ يكشف لنا عن واقعية اللغة الإجتماعية، وهو لا يبتعد كثيراً عن آراء اللغويين المعاصرين أمثال هنري سويت، الذي يؤكد على أنّ الاختلافات في تنوع التتابعات الصوتية هي التي تفيض الكلمات ذات الدلالات المختلفة (106).

وأخيراً : اللغة واسطة العقد، وأداةُ التواصل، تتنوع وفقاً للموقف الاجتماعي، الذي كان مدعاة لنشوء علم خاص بذلك هو (علم اللغة الاجتماعي)، الذي أقام دراساته على هذا الأساس ، وتعرّض لبحث منظور دلالات الألفاظ ، وعلاقاتها السياقيّة داخل النصّ، ودورها في تغذية، وتنمية الإطار الاجتماعي والحضاري.

1/18 القوانين الصوتية

تخضع التغيّرات الصوتية على البنى، والتراكيب اللغويّة، لقوانين صوتية، تفسّر جوانبها، وتسهم في توضيح معالمها التغايريّة.

ويذهب كثير من المعنيين ببحث منظورات اللغة، أنّ الجانب المنطوق

---

(105) الاحكام في أصول الأحكام (16).

New English grammar (p16). (106)

يمتلك القدرة على ممارسة حرّية الحركة الانسيابية، أكثر من جانبها المكتوب، فضلاً عن طبيعة اللغة، في تركيبها الصوتي، وصيغها، التي تمرّ بمسارب سياقية واسعة، لا تظهر معالمها في سلسلة الجوانب المكتوبة فيها.

ولعلّ مردّ ذلك الى أنّ اللغة بطبيعة أصواتها المنطوقة ، تخضع لكثير من النمو، والاتساع ، الذي لا يكون إلاّ في حدود ضيّقة ، في الصيغ التركيبية والقواعديّة.

وفي كلّ هذا وذاك ، فإنّ حجم الصوت، وكميته ، ونوعه يمتلك ظلالاً وتكوّنات تجد في مسرح النطق حريّة أوسع لممارسة أنشطتها ؛ ولذا فإنّها، في بعض مشاهدها، تنشطر ، وتتطور دون صورها، مما ينجم عن توالد حالتين من خلية واحدة: تطوّر في الجانب المنطوق ، وثبوت في الجانب الموروث، وهذا مما اعتقده اللغوي Malmberg وأكّده، حين بحث في مسائل التطورات الصوتية (107).

ويبدو أنّ هذا اللغوي كان يطرح بعض الفرضيات في المكوّنات الصوتية، عبر سياقاتها اللغويّة، مما ينحو بها جانب البدهية؛ كإشاراته للتغيرات التي تطرأ على صوت معين، في فترة زمنية معينة، في لغة معيّنة، حين يمارس نشاطه كمتغيّر فونيمي في كلّ جوانب اللغة، أينما ورد فيها. وهذا أمر واقع، لأنّه يمتلك صفة متغيّرة واحدة، محكومة بمنطق إلزامي ، تمييزي ، وظيفي ، مما يجعل أداءه واحداً في كلّ المواقع اللغويّة . وقد استثنى من ذلك ما توجبه المعايير القياسيّة في اللغة الواحدة (108).

إنّ هذه التغيّرات التي أثارت إهتمام المعنيين بالبحث اللغوي في جوانبه

---

(107) Malmberg, Phonetics (p99)

(108) المرجع نفسه (p 101)

الصوتية، إنّما تحدث في البنى التركيبية كنتيجة حتمية لجملة من الاتجاهات الصوتية Phonetic Tendencies التي تحكم منظوماتها الإنتاجية.

وقد استأنس البعض في أنْ يستعير لها مصطلح « قوانين» ويسبغه عليها، تشبّهاً بالقوانين الطبيعية، أو الكيميائية ، أو الفيزيائية ، أو قوانين الرياضيات، والهندسة الوراثية، أو تلك التي تحكم البنى الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، وهذا لا يغير من الأمر شيئاً، إذا كان القصد من ورائه البيان وتقريب الرؤية[109]

لكنّ اللغوي السويدي (Axel Kock) لم يجد في نفسه قبولاً لفكرة القوانين الصوتية، مما أشاع في دراساته وبحوثه التقليل من شؤونها، أو اعتماد فاعليتها، حين الكشف عن رؤى المتغيّر الصوتي [110]. ويكشف ماريو پاي عن المذاهب والتوجّهات في سلوكية بعض الأصواتيين نحو القوانين الصوتية، والتي يذهب البعض منها الى التطرّف في التحليل، إذ يرى أنّه لا وجود لها، وأنّ التغيّرات التي نصادفها في ميادين اللغة، إنّما هي من قبيل الصدفة التي تفاجأنا، مما تؤدي الى عملية خلق وتكوين غير متوقّعة.

وليس هذا من القبول، إذ أنّ ذلك سيقود العملية اللغوية الى حالة إعتباطيّة غير منظّمة.

وفي رأينا أنّ اللغة مجموعة من العناصر الصوتية، تسير وفق نظام خاص في تأدية وظائفها النحوية، والصرفية، والدلالية، وهي بعد ذلك لا تختلف في تجمعاتها العنقودية ، عن خلايا الكائن البشري من جوانب النمو والتطوّر والإعلال. ونسجّل فيما يلي هذه القوانين التي تفسّر لنا جنوح الظاهرة اللغويّة، وتعديل خطّ سيرها.

---

(109) لغات البشر (40).

(110) المرجع نفسه (p101)

1 • قانون الظاهرة التوازنية.

2 • قانون التكرار والشيوع.

3 • قانون اختزال الجهد.

4 • قانون الجهد الأقوى.

5 • قانون نسب التسارع.

6 • قانون المؤثرات الخارجيّة.

يذهب **القانون الأول** مع مسار علماء الدرس الصوتي، المشتغلين في ميدان علم الأصوات التركيبي. ومن أشهر من نادى بهذه الفكرة الاقتصادية في النظام الصوتي، اللغوي Martinet1 (111)، الذي يؤكد على أنّ التطور الحاصل في الميدان اللغوي، لا يمكن أن يحدث مصادفة، أو كردّ فعل لبعض الظواهر التي تحكمها رابطة معينة، لكنها تخضع لنظام معين ينسحب على المجاميع الصوتية المتألفة(112).

يقوم هذا القانون على أنّ كلّ صوت من أصوات اللغة، في حالة ميله الى النمو والتطوّر، نتيجة أحداث تراكمية تحكم بناءه التوجيهي، فإنّ ذلك لا يحدث في حالة انعزالية عن الأصوات التي تشكّل مجمل النظام الذي تخضع له اللغة، وتؤلف بنيته. وتحدث هذه الظاهرة من أجل الحفاظ على التوازن في النظام اللغوي. ويصدق هذا على التغايرية الصوتية في كثير من اللهجات المحكيّة الحديثة، وصورها النطقية(113).

---

(111) Martinet. Elements of general Linguistics. (p105).

(112) المرجع نفسه (p. 78).

(113) الأصوات اللغوية د. ابراهيم أنيس (238).

إنّ رصد التطور الصوتي يجب أنْ يخضع الى اعتبار قابلية المراحل التطورية السابقة وليس بفرديتها أو انعزاليتها، إنما باعتبارها جزءاً من النظام الصوتي العام لتلك اللغة.

أما **القانون الثاني** فهو الذي نادى به اللغويMalmberg . وفي بيانه أنّ عملية التخزين المعلوماتي التي تمارسها الذاكرة البشرية للفونيمات اللغوية، يخضع لحالة من التدرج النسبي ، بناءً على الندرة، والقلة ، والكثرة . وبما أنّ اللغة تنهض على مجموعة من الأصوات، وتخضع لنظام أئتلافي معين على هيئته عناقيد أو نماذج مقطعية، فإنّ المجموعات الائتلافية الأكثر تكراراً في الاستعمال ، داخل هذا النظام ، تكون أكثر مقاومة للإشعاع التغيّري، من تلك الأقلّ تكراراً. ويصدق ذلك على النماذج المقطعية التي تتصف بالقلّة، حيث تبدو هشّة، وعرضة للإزاحة من مسرب اللغة الاستعمالي، بقوة ، وفاعلية تلك المقاطع التي تتميز بالشيوع والدوران على ألسنة مستخدمي اللغة.

كذلك فالمجاميع الصوتية التي تتسم بالندرة في الاستعمال اللغوي تميل إلى أن تخلي المسرب لتلك التي تتميز بالكثرة في تكراريتها الاستعمالية.

ويشعر Mamberg ومعه البرفسور O.K.Ziph أنّ الأصوات اللغوية ذات التكرارية ، والشيوع ، تتميز بسهولتها في عملية التخزين داخل الذاكرة، وإنّها أكثر عرضة لظواهر لغوية.(114)

لكنه يبدو من طرف آخر، أنّ التكرارية الصوتية لبعض الوحدات اللغوية، أو المقاطع ، تواجه تغييراً، نظراً لظهورها على السطح اللغوي، أكثر

---

(114) المرجع نفسه.

من تلك التي لا تطفو، نظراً لندرتها، أو قلّتها في الاستعمال.

وعلى هذا فإنّ الاختصار، أو الاختزال ، الذي تتعرض له بعض البنى التركيبية يحدث نتيجة للتداول المستمر، والكثرة في الاستعمال اليومي.

أما **القانون الثالث** فإنه يعكس ميل الانسان في حياته العملية الى مبدأ السهولة واليسر للوصول الى مقاصده الغرضيّة سعياً وراء تحقيق أفضل النتائج. وفي هذا نلاحظ أنّ الكثير من الممارسات اللغويّة في إطار أنشطتها الصوتية ، تتجه الى تحقيق الحدود العليا من الأثر ، عن طريق اختزال بعض الجهود المبذولة. ويبدو ذا هو السبب في عزوف المتكلمين عن بعض الصور النطقية إلى أخرى سواها، سعياً وراء تحقيق هذا المبدأ.

من البدهي أنّ مفتاح اللغة المنطوقة بيد المتحدثين، وهذا لا يعني بالضرورة، أنّ التغيّرات محكومة برغباتهم وتطلعاتهم في اختزال الجهد، فاللغة نظام يمتد على مساحة صوتية واسعة، يعبّر به كلّ قوم عن أغراضهم ، على حدّ قول ابن جنّي، هذا النظام، وإن كانت تحكمه مجموعة من التطورات ، فإنها تبدو أكثر رسوخاً في الذات التغيّرية، من مجرّد رغبة كامنة في نفوس المتحدثين في اقتفاء أثر هذا العنقود اللغوي، أو الفونيم الصوتي، أو النموذج المقطعي، توفيراً لجهد ، وإراحة لنفس، وتهدئة لبال، وارضاءً لرغبة جامحة ، في جانب من جوانب التفسير.

إنّ قانون اختزال الجهد، يمكن أن يَصُحّ في جوانب محدودة، عند تفسير أسباب التطورات الصوتية، لكنه يبدو عاجزاً، ونحن نسرد عليه منطوقات أصوات الضاد، والذال، والثاء، والظاء، والعين، والحاء، والخاء وسواها ممن يجد أصحاب لسانها، وركّاب متنها، في غيرهم، صعوبة بالغة

في تحقيقها، ومع ذلك لا يمتلكون القدرة في انتزاعها ، لأنّها راسخة في البناء اللغوي، جارية في ذواتهم ، ودماء أنظمة لغتهم.

أما **القانون الرابع**، فيذهب أنصاره الى القول إن الصوت الذي يمتلك هيمنة، وقوة في صفاته، وخصائصه الصوتية، يؤثّر في موقعه، أو صفاته، وامتداده النطقي، مما يجعله عرضة للتغيّر . ويبدو في أحيان أنّ الأصوات القويّة تخضع للأضعف، بسبب أو بآخر، ولذا يبدو أنّ قانون Maurice Grammont الفرنسي، وإنْ سُجِّل ضمن قوانين الاقتصاد الصوتي، إلاّ أنّه يجب أن يوجّه بشكل أمثل.

أما **القانون الخامس** فإنّه يقوم على رغبة المتحدث في الاستمرار بحديثه دون أن يقاطعه أحد، مما يتطلب أنْ يسرع مردفاً مقاطعة الصوتية، وهذا مما يؤخر فاعلية أفكاره ، وفي هذا قد تذوب بعض الملامح النطقية وتطفو على السطح ظواهر أخرى. ويميل سكان البوادي الى السرعة في النطق، عكس سكان الحواضر، الذين يرغبون في التأنّي، والبطء ، عند إخراج صورهم النطقية.

وتظهر من جراء ذلك ظواهر صوتية، كالتقديم ، والتأخير، والقلب المكاني، وغيرها.

أما **القانون السادس** فيفسّر تطوّر الأصوات ونموّها أثناء الغزوات والحروب، أو الهيمنة المؤقتة، وسواها من العوامل السياسية، أو الاقتصادية، أو الثقافية. وفي هذا إمّا أنْ تتأثر اللغة الغازية أو المغزوّة.

1/19 الظواهر الصوتية

سّجلنا فيما سبق بعض ملاحظاتنا عن الادغام والقلب المكاني metathesis، باعتبارهما من الظواهر الصوتية التي تدخل ميدان الأصوات، والصرف ، وتؤثر بفاعلية في توجيه البنى والصيغ العربية في مستويات متباينة، مفردة ، أم مدخلة في تركيب. نؤشّر في البيان التالي وضوح أكثر الظواهر الصوتية رسوخاً في بنى الصيغ العربية.

1/19/1 المماثلة Assimilation

تسجّل المماثلة الصوتية ظاهرة بيّنة الطالع في ميدان الدرس الصرفي- الصوتي ، متخذة أشكالاً عدّة وهي تدور على ألسنة المتحدثين. ويبدو أنّ الهدف الصوتي وراء هذه الظاهرة ، هو تحقيق نوع من التماثل الصوتي، بغية التقارب في الصفة، والمخرج، إقتصاداً في الجهد العضلي المبذول.

وقد عرّفها Brosnahan بأنّها التعديلات التكيفية للصوت حين يجاور أصواتاً أخرى(115) . وهي على أنواع ثلاثة:

1- التماثل التقدمي Progressive Assimilation ويتحدد في كونه يُبثُّ من الصوت الأول الى الصوت الثاني. ففي صيغة (افْتَعَل) في الفعل (زَجَرَ) تصبح ازتجر – ازدجر بفعل الزاي المجهودة. والأمر نفسه في الصيغ (اصطبر، اضطرب، اطّلع..).

---

(115) Brosnahan, Introduction to phonetics (p 132)

2- التماثل الرجعي Regressive Assimilation وهو الذي يبثّ من الصوت الثاني الى الصوت الأوّل. وقد سمّاها ابن جنّي الادغام الصغير، وهو تحويل تاء الافتعال إذا كانت واواً الى صوت (التاء): إتّعَد من وَعَدَ. وفي أمثلة أخرى : (اطّهر، اثّاقل، آدّاراً، ازّكى) وقد وردت في نصوص القرآن الكريم[116] .

وقد تحدث المماثلة الرجعية في الأصوات الصائتة، ففي لغة قبيلة بني سُليم (مِنْذُ) بكسر الميم؛ ويبدو أن الأصل (مِن– ذو) حيث قلبت الميم المكسورة تأثّراً بالضمة اللاحقة في ذو فأصبحت مُنُذُ، وعلى هذا يكون الأصل (مِنْذُ).

.ويسمي الأصواتيون بعض أنواع المماثلة بالتجاوريّة Contact assimilation حينما تكون الأصوات المتأثرة والمؤثرة متجاورة، وحين تتباعد تسمى المماثلة تباعديّة Distant Assimilation وسمّى بعض الأصواتيين التماثل الحادث في صيغة (سراط)، و(صراط) بالمماثلة الكيفية – أي طريقة الآداء النطقي.Articulatory Assimilation .

وهناك ما يسمى، أيضاً، بالتماثل المزدوج Compound Assimilation ويحدث هذا حين يحاصر أحد الأصوات، باصوات متماثلة، فيمارسان عليه سطوة الضغط ليحوّلان بعض ألوفوناته (Allophones) إلى طبيعتهما البنائية في مثل (طَقْطَقَ، طَبْطبَ، زَلْزَلَ) وغيرها من الأفعال الرباعية، ذات الثنائيات المكررة.

---

(116) التوبة / 38، البقرة / 72، 269 وعيسى/ 4.3 .

Dissimilation 1/19/2 المخالفة

يرى علماء الدرس الصوتي الحديث أنّ المخالفة هي المسلك الصوتي اللازم لإعادة الخلافات بين الأصوات ، من أجل إعادة حالة التوازن، وتقليل المد التأثيري للماثلة، وهذه الظاهرة بمثابة القوة السالبة في الميدان اللغوي. وعن طريقها تفسّر الكثير من ظواهر الإعلال والإبدال الصوتية.

ويعلل الدكتور أحمد مختار عمر ظاهرتي المماثلة والمخالفة بقوله: تهدف المماثلة الى تيسير جانب اللفظ، عن طريق تيسير النطق. وهي لا تلقي بالاً الى الجانب الدلالي، الذي قد يتأثر نتيجة تقارب، أو تطابق الصوتين.

أما المخالفة، فانها تهدف الى تيسير جانب الدلالة، عن طريق المخالفة بين الأصوات، حيث لا تلقي بالاً الى العامل النطقي، الذي قد يتأثر نتيجة تباعد أو تخالف الصوتين [117].

وتتحكم قوانين اختزال الجهد، والجهد الأقوى ، في تفسير ظواهر المماثلة، والمخالفة. ومن أمثلتها: (حَرْجَلَ، جَلْمَدَ، عَنْكَبَ، عَرْقَبَ، قَرْمَطَ، فَلْطَحَ) من الصيغ الرباعية ، فإنّها من ذوات الرؤية (حَجَّلَ، جَمَّدَ، عَكَّبَ، عَقَّبَ، قَمَّطَ، فَطَّحَ). ومن أمثلتها الأخرى: تَشَغَّرَ، تَشَنْغَرَ، تَحَدَّسَ، تَحَنْدَسَ، الرِّسّ، والرَّمْسُ، العَبَّاسُ والعَنْباسُ).

ويؤكد اللغوي Brosnahan أنّ أكثرية اللغات تعتمد تحقيق ظاهرة المخالفة في الأصوات الأنفية الترددية، (كاللام، والميم، والنون، والراء)، تحقيقاً لحالة الانسجام في التيار الكلامي. وهذه الأصوات تسمى بالأصوات

---

(117) دراسة الصوت اللغوي (386).

المتوسطة أو المائعة (liguid Consonants) والتي تتّسم بقوتها الاسماعية العالية.

وقد تكون المخالفة بين الأصوات الشديدة[118].

إجّاس انجاص

دبّوس دنبوس

لعلّ لعَنَّ

وفي صور المورفيمات (جمع المؤنث السالم) تتساوى فيه حالتا النصب والجر، ولعلّ السرْ في عامل المخالفة، هو كراهية تتابع المتوالية الحركية في الفتحات، التي بتأثير عامل المخالفة يغيّر اتجاها من الاستعلاء الى الاستفال. والأمر نفسه يسجّل مع مورفيمات (المثنى) في كسر نونه و (جمع المذكر السالم) في فتح نونه.

ولعلّ في صور ابدال الاصل (دنّار ، قرّاط) لاستثقال التضعيف، فتأتي المخالفة لحل هذا الامر ليكون: دينار ، قيراط ، فابدلت الياء كسرة. ولما فَرّقت بين المضاعفين رجع الأصل: دنانير وقراريط وقريريط حين الجمع والتصغير)[119].

وهناك المخالفة المتباعدة Distant Assimilation ، والتي تقع في الأصوات التي يفصل بينها فاصل من صوت آخر، غير مناظر مثل: (اخضوضر، اعشوشب، بغداد، أيهات ، دَهْدَه) فأصولها (اخضرضر، اعشبشب، بغدان ، هيهات ودهدي عند أهل الحجاز).

---

(118) الاصوات اللغوية د. ابراهيم أنيس (215/214).

(119) المقتضب 246/1.

وهناك المخالفة الكمّية Quantity Dissimilation وغالباً ما تكون بين المقاطع الصوتية:

لَهُ – لهو

بهِ– بهي

لكِ– لكي

1/19/3 التكيفية التوازنية

التكيفية التوازنية، هي حالة إعادة التوازن للوحدة اللغويّة أثناء مسيرتها في التيار الكلامي.

والأمثلة كثيرة. فالفعل الأمر من (درس) عند اسناده لياء المخاطبة، (دَرَسَ – ادْرُسي) والجزم في الفعل المضارع المشدد: (يشدُّ): لم يشدُدْ – لم يشدَّ، والأسماء نَهْر– نَهَر، كلّ هذه الصيغ تشكو وغيرها من اختلال التوازن ، وهذا مما يكشفه البناء المقطعي للعربيّة.

1/20 الدلالة الصوتية والصرفية

الدّلالة لغة: من الفعل (دَلَّ) عليه وإليه دِلالَةً: أرشد، ويقال: دلَّه على الطريق ونحوه: سدّده إليه، فهو دالٌّ، والمفعول: مدلول عليه وإليه. والدَّلالةُ: الإرشادُ، وهي ما يقتفيه اللفظ عند إطلاقه، والجمع: دلائلُ، ودلالات[120]. واصطلاحاً هي ما تفرزه طبيعة الأصوات من ايقاع حين تضمّ لبعضها وفق نسق تركيبيّ، لانتاج بيان لغويّ معيّن.

---

(120) المعجم الوسيط (دلَّ).

تحدّث ابن جني عن (**الدلالة الصوتية**) وهي عنده (الدلالة اللفظية)[121]. ومثّل لها بالحدث المقترن بزمن، ودلالته على (مصدره). فالفعل (قام) بوحداته الصوتية يدلّ على معنى (القيام)، وكلّ واحد منهما يدلّ على حدث مغاير للآخر تبعاً لاختلاف أبنيتها الصوتية.

وقد أشّر قدامى القوم الى أن بعض الأصوات تحمل سمات دلالية خاصّة بها، مما يكسبها القوة، والضعف. وفي النصّ القرآني: « **فيها عينان نضّاختان**» الرحمن/ 66، أنّ (الخاء) لغلظها لما هو قوي وشديد، و(الحاء) لما هو رقيق وضعيف. ومثلها (خضم، وقضم)، و (سعد، وصعد). وكذلك لاحظ ابن جنّي ما لِصفة الصوت من قابلية المدّ، والتفخيم لإفادة دلالة المدح والثناء[122].

وفي رأيي أنّ هذا مما يتصلّ بظاهرة الأصداء (Echism) أو حكاية الأصوات Onomatopeia

وقد أكّد بعض لغوينا المحدثين على القيمة التعبيرية للحروف، وقدرتها الايحائية على وضوح الرؤيا الدلالية[123]. ويرى عبدالله العلايلي: أنّ الأبجدية العربيّة تختصّ بتباين معانيها[124].

ويؤكد آخرون على معاني هذه الحروف ، وتوزعها بين السعة، والقطع، والتوكيد، والتشديد ، والهمس ، والمفاجأة، والخفاء، والغلظة ، والرخاوة ، والجهر، والهمس، وأنّها في هذه الصفات لا تخلو من تناسب طبيعي يوجّه

---

(121) الخصائص (98/3).
(122) المرجع نفسه (158/2).
(123) الساق على الساق فيما هو الفارياق (1/1-2).
(124) تهذيب المقدّمة اللغوية (63-64).

مستويات الدلالة صوب الثنائية الصوتية، حين يمتلك القدرة على تبادلية المواقع (125).

ورؤية الأمر الحقَّةُ أنَّ الدلالة الصوتية ، وانْ أسهم الحرف بشكل واسع في مدّ محتوياتها، الآء أنّ التتابع الصوتي وتنوعاته داخل تيار الكلام، يوجهان بنيتها، وهي تخضع لما يمنحها المتكلم من قدرة، وديناميكية داخل التركيب .

وثمّة أمر آخر، أنّ الصوت المفرد لا قيمة له مستقلاً عن السياق ، وإن كان يمثّل الأصل في الدلالة. ويؤشر أحد اللغويين المعاصرين هذه الحقيقة قائلاً: «المعنى والصوت كلاهما مرتبط بالآخر ارتباطاً لا يقبل التفرقة» (126).

أما **الدلالة الصرفيّة** ، فإنّها تنشأ مستمدة رويتها عن طريق الصيغ وبنيتها. وأنّ أي تحوّل في الصيغة، يؤدي ، حتماً ، الى تغيّر في محتوى الدلالة، من خلال الإضافة الصوتية ، أو الحذف، الذي يحلّ على تركيب الصيغة الصوتي. وهذا أمر ملموس بوضوح في أبنية الألفاظ . (كَتَبَ، يكتب، وقد اختلف الزمن، فمن الماضي حدث مرًّ وانقضى، الى الحضور الذي لا زال قائماً ممتداً. وكلاهما بحاجة الى من قام بفعل هذا الحدث . والصيغتان : (يَهْدي، يُهْدي) (والأول من هدى – الهداية) والثاني من (أهدى– الهديّة).

إنّ دور الزمن في صيغ الأفعال ذو وظيفة صرفية، وقد ينعت بأنه زمن صرفي، ولا أرى في ذلك ضرورة، لأنّ الزمن واحد من حيث النوع، أما كيفية التصرف فتتوزع وفق حالات السياق والتحولات المصاحبة.

---

(125) دراسات في فقه اللغة (159) فقه اللغة وخصائص العربية (216).
(126) قواعد النقد الأدبي (39).

ولذا فإن الصَرْف – مصطلح العصر الذائع، أو التصريف ليس غاية مقصودة لذاتها ، إنّما هو بحث في أحوال الكلم العربيّة، والتماس جوانب الرياضة، والتدرب على تقليب أبنيته بالصنعة فيه، وهو تارة «**مسائل التمرين**» وأخرى «مسائل التصريف» وثالثة: «**مسائل البناء**» ورابعة « **أبنية التصريف**».(127) ولعلّ في رؤية ابن جنّي ما يفيض عن ذلك من أنّه «**التنقل بين الأزمنة**» و «**القياس اللغوي**» و «تنقّل أحوال الكلمة، وتعاور الزيادة إيّاها»، وتفضي هذه كلّها الى غدير التحوّل، لتنظّم في داخل التركيب، الذي يقوم عليه النظر النحوي. لأنّ التصريف، والإعراب هما فرعا علم النحو العربي ، وإنّ تميّزا بالغوص في مسائل معمّقة ، أكسبتهما هيبة العلميّة. وكما أسلفنا ، أنّ الوحدة الصرفيّة قد تكون جزءاً من كلمة أو كلمة قائمة بذاتها، وهي ما أطلق عليها فندريس (دوال الماهيّة) ، وسمّاها ابن جنّي (الدلالة الصناعية) وسماها الغربيون (مورفيم Morpheme) (128).

ويصف الدكتور تمّام حسّان هذه الوحدة قائلاً « وفي الصرف مورفيمات لها أسماء خاصّة ، كالطلب ، والصيرورة، والمطاوعة، والتعدّي، واللزوم ، والافتعال ، والتكسير ، والتصغير، والوقف» (129).

وما الأصوات التي تتصدر الفعل المضارع الاّ دوال الفاعلية، وإنْ حملت الزمن الاستقبالي للفعل الذي تزاد عليه.

---

(127) بقول الحملاوي: ما انتظم عِقْد علم إلاّ والصرف واسطته، ولا ارتفع مناره إلاّ وهو قاعدته شذا العرف (15).

(128) اللغة ، فندريس (105) الخصائص 98/3.

يصف علم اللغة التركيبي الحديث لفظة (S+ Dog) على أنهما مورفيمات، تحمل الأولى معنى الكملة الأساسي بينما تحمل الثانية فكرة الجمع. والأولى تستخدم منفردة ، والثانية متصلة.

(129) مناهج البحث في اللغة (القاهرة 1955).

1/21 الوحدة الصرفية والصورة الصرفيّة[130]

تعتبر الوحدة الصرفية، وحدة الموضوع في الصّيغ الصرفية ، وتحتضن مجموعة الصور داخل أبنيتها التركيبيّة. ويمثل البيان التالي، حركة هذين المصطلحين:



ولذا فإنّ الصيغ الفعلية : (كَحُلَ – اكْتَمَل ، ضَرَبَ – اضْطَرب ، زَجَرَ – ازْدَجَر) تمتلك رؤية تحولية واحدة، لكنّها مختلفة باختلاف الأصوات وانتسابها الى ظواهرها الصوتية. وعلى هذه فانها تمثل ثلاث صور صرفية لوحدة صرفية واحدة.

1/22 السياق الصوتي والسياق الصرفي

لغة: سَاقَ المريضُ سَوْقاً، وسياقاً، وسياقَةً، ومساقاً: شرع في نزع الروح، وساقَ: حَثَّهُ من خَلفه على السَّيْر ويُقال: ساقَ اللّهُ إليه خيراً ونحوه، بَعَثَه وأرسلَهُ . وساقت الريح التراب والسَّحاب: رفعته وطيّرته. ويقال : ساقَ الحديث : سَرَدَهُ وسَلسَلَهُ. والسِّياقُ: المَظْهرُ ، وسِياقُ الكلام: تتابُعه وأُسْلوبُهُ الذي يجري عليه. والسِّياقُ : النَزْعُ ، يُقال: هو في السِّياق : الاحتضارُ[131].

(130) يصطلح عليها علم اللغة التركيبي الحديث (Allomorphes) .
(131) المعجم الوسيط (سوق).

واصطلاحاً: هو ضَمُّ الوحدات اللغويّة بعضها إلى بعض ، وإحكام شدِّ أجزائها ، اتصالاً وتتابعاً، وما تعكسه من دلالة في النصِّ أو الحديث.

ويفسّره د. محمد أحمد بقوله: «المقصود بالسِّياق ما يصاحب اللفظ مما يساعد على توضيح المعنى »[132] وتلعب القرائن (contexts) دوراً بارزاً في إظهار القيم السياقية وتوضيح دلالاتها، وجوانبها الخلافية.

والسياق الصوتي أحد أركان السياق اللغوي العام، ويتمثل في حركة الأصوات داخل الوحدة اللغوية، والوحدات الأخرى، التي تؤلف النصّ أو التركيب. وتختلف الأصوات المجردة عن الاصوات وهي تؤدي وظائفها داخل السياق، من حيث كميّة الجهد، والطاقة، والنشاط اللازمة لانتاج الدلالة.

وقد عبّر الأصواتيون المحدثون عن الأصوات المجرّدة بـ الفونيمات (Phonemes) وتحدثوا عن عناصرها الجزئية المسمّاه بـ(Allophones) أو التنوعات الفونيمية(phonemes Variants) . وعرّفوّها بأنها «مظاهر مادّية متباية للفونيم»[133] وعليها، كما يرى ماريوباي: «يتوقف استعمال كلّ منها أساساً على موقعه في الكلمة، وعلى الأصوات المجاورة له »[134].

ويمكن أن نطلق على الألوفون المتغيّر السياقي Variant of Context ويسميه بعض المحدثين «المتغيّر غير الوظيفي Unfunction variant لأنه يؤثر في المعنى، بقدر ما يلحظ التلوّن النطقي، في مثل التبادل الموقعي لأصل

(132) المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث (116).

(133) Bolinger , Aspect of Language (p 43)

(134) أسس علم اللغة (88).

الجذر الثلاثي (كتب، بكت، تبك، كبت، بتك ، تكب) أو النونات في (منك، عنك، نهر ، نائم ، نريد..) ولذا فإنها لا تؤثر في سير الدلالة. وينصب مجمل التأثير على ما يحدثه تغيّر الفونيم (الصوت) نفسه. فـ (قال) غير (كالَ). ووظيفة الصوت هو حَمْلُ معناه الذاتي داخل السياق ، من أجل انتاج دلالة وظيفية أعمّ وأشمل.

وقرائن الصوت السياقية تتمثل في الفونيمات فوق التركيبية كالمقطع ، والنبر، والتنغيم، والمفصل، والفونيمات الصائتة القصيرة والطويلة.

أما السياق الصرفي فهو الذي يتعرض لدراسة الوحدات اللغوية، لا بوصفها صيغاً، وانّما بحسب ما تحمله من قيم تساعد على إثراء محتوي الدلالة داخل التراكيب اللغويّة.

وتشمل **القرائن الصرفية اللواحق، والسوابق**، التي تتصل بالصيغة، العلامة الصرفيّة الدالة على المورفيمات. وقد سبقت الإشارة اليها في المباحث السابقة.

فمورفيم الطلب تدلّ عليه صيغة (اسْتَفْعَلَ)، ومورفيم التكسير تدلّ عليه صيغ التكسير، ومورفيم التعدّي تدل عليه صيغهما (أفْعَلَ) (فَعُلَ). وكما يرى د. تمام حسان أن كلّ صيغة لها معنى وظيفي خاص هو المورفيم ، كالمشاركة في صيغة فاعل [135].

---

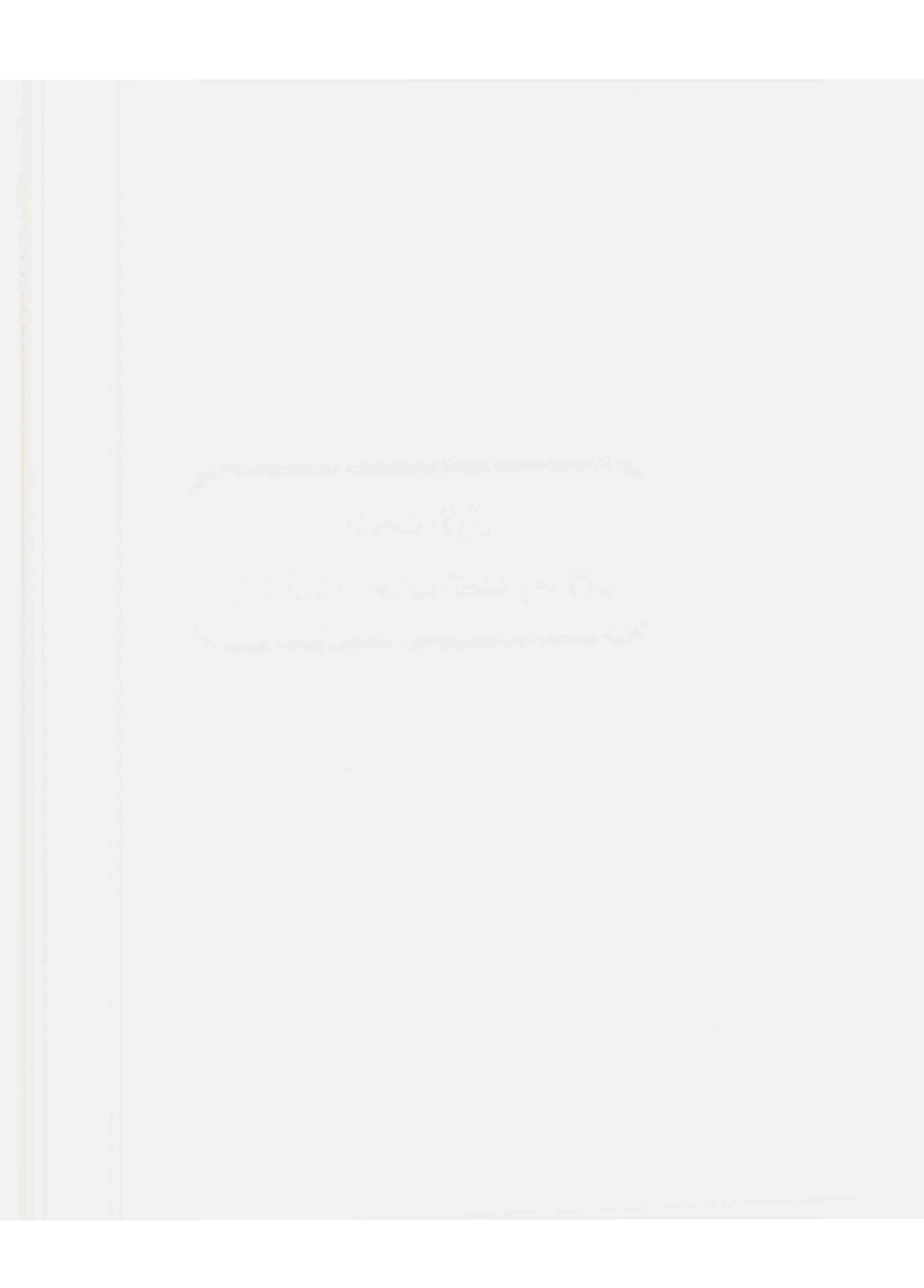
(135) مناهج البحث في اللغة (174) مباني التصريف (الشخص والعدد والنوع (الصفة الجنسية واليقين (التعريف والتنكير).

القسم الثاني

أبنية الوحدات الصرفية وتحوّلاتها

المبحث الأوّل

1/2 أبنية الوحدات الفعلية وتحوّلاتها



1/2/1 الوحدات الفعلية حسب معيار زمن التكلُّم

يُحمل الفعل على المصدر، حمل الفرع على الأصل، وأنه مشتقّ من المصدر[1] لدلالة الأخير على الزمان المطلق، ودلالة الأوّل على زمن معيّن، والمطلق -بديهيّاً- أصل المقيّد. إضافة إلى أنّ المصدر اسم، والاسم يمتلك القدرة بذاته، ويستغني عن الفعل، وأنّ المصدر يدلّ على الحدث، والفعل يدلّ عليه وعلى الزمان، والواحد أصل الأثنين، و المصدر نوع واحد مطلق وصورة واحدة والفعل له صور ثلاث، كما أن الذهب نوع واحد وما صيغ منه ألوان مختلفة. وهذا مذهب البصريين الذي ننزع إليه، وهو ما ارتضاه ابن الانباري مناقشاً الكوفيين، ومنه أنّ المصدر هو الأصل بدليل تسميته مصدراً، فإنّ المصدر هو الموضع الذي يصدر عنه الإبل، وكذلك فإن الهمزة لا تحذف منه في نحو «إكرام» كما تحذف من المشتق نحو (مكرم) اسم الفاعل واسم المفعول إذا كانا مشتقين منه فلما لم يحذف دل على أنه ليس بمشتق؛ ولو كان المصدر مشتقاً من الفعل، لكان يجب أن يجري على سنن القياس ولم يختلف.

---

(1) الإنصاف (144)

تذهب أدلة الكوفيين: أنّ الفعل هو الأصل لأن الفعل يعمل في المصدر، والعامل رتبته قبل رتبة المعمول؛ هناك أفعال لا مصدر لها وهي الأفعال الجامدة (ليس، عسى، بئس، نعم، حبذا) فلو كانت المصادر أصلاً لترتب على ذلك وجود الفرع دون الأصل، المصدر من صدوره عن الفعل وليس من صدور الفعل عنه.

ولسنا، هنا، في معرض مناقشة الآراء، فهذا ما غصّت به كتب النحو، وتناولته بالشرح والتفصيل، وإن خرج عن مساره إلى مضايف المنطق والفلسفة والجدل المسهب.

يدلّ الفعل على الحدث الذي يدلّ عليه مصدره، لثبوت مادة المصدر، ومحافظتها علي نسقها الصوتي. ودلالته تكون بمكوّنات مادته الصوتية، ويدلّ على الزمان بصيغته.

الصِّيغة هيئة الوحدة اللغويّة الحاصلة من ترتيب أصواتها الصامتة والصائتة ، والجمع منها «صِيَغٌ».

هذه الصيغة بالقياس إلى المورفيم علامة، وإلى نماذجها المختلفة معيار صرفي وهي بهذا المفهوم مجرّد حالة شكليّة لمجموعة من الوحدات.

أما باعتبار العلامة فلا بدّ لها أن تدلّ على معنى المورفيم، وهو معنىً وظيفيّ.

ففي صيغة «فاعَلَ» دلالة على «المشاركة» كما يراها الصرفيون، وهي صيغة فعليّة تختلف من حيث البناء عن اسم الفاعل وفعل الأمر. وهذه الدلالات «نظميّة – صرفية»، وتبقى الدلالة المعجميّة عرفيّة– اجتماعيّة.

وعلي هذا الأساس فإنها قادرة تحديد منهجها، لأنّ معناها الوظيفي هو المورفيم، والمورفيم بذاته تعبير عن متّجه الانتماء.

فصِيَغ «فاعَلَ» تدخل في باب الفعل الماضي الذي يذهب إلى المشاركة. ومثل هذا يتمّ مع صيغ الأفعال، في اختلاف اعتناقها للضمائر الشخصيّة، التي يعبّر كلّ واحد منها عن مورفيم آخر.[2]

---

(2) مناهج البحث في اللغة (207-210)

ينقسم الفعل حسب زمن التكلُّم إلى أصناف ثلاثة:

1- **الماضي**: ما دلّ على حدوث شيء قبل زمن التكلُّم. ودليله اللفظي يقوم على قبوله «تاء التأنيث» الساكنة في نهايته، وأن يقبل «تاء الفاعلية» فصلاً منهم عن التاء اللاحقة بصيغة المضارع المنتهي بتاء: يَفوتُ، يموتُ...

قامَ، أكلَ، قرأتُ، جَلَسَتْ، نماذج لما تقدَّمْ.

2- **المضارع**: وهو ما دلّ على حدوث شيء في زمن التكلُّم وبعدَهُ، في مثل: يَقْرأُ، يَكْتُبُ. وصلوحه للحال والاستقبال، وهما من الظواهر المعنويّة.

ومما يسنده للحال: لام الابتداء، نحو قوله تعالى: ﴿إنِّي لَيَحزُنُني أنْ تَذهبوا به﴾ يوسف/13 و«لا» و«ما» النافيتان، نحو قوله تعالى: ﴿ لا يُحِبُّ اللّهُ الجَهْرَ بالسُّوءِ منَ القَولِ﴾ النساء/ 148 «وما تَدْري نَفْسٌ ماذا تكْسِبُ غَداً» لقمان/34.

ومما يسنده للاستقبال: السين، وسوف، ولَنْ، وأنْ، وإنْ. كما في قوله تعالى:

* ﴿سَيَقُولُ السُّفَهاءُ مِنَ النَّاسِ ما وَلاّهُمُ عَن قِبْلَتِهِمْ التي كانُوا عَلَيها﴾. البقرة/142.

* ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾. الضحى/ 5

* ﴿لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتّى تُنْفِقوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ آل عمران/ 92

* ﴿وأَنْ تَصومُوا خَيْراً لَكُمْ﴾ البقرة/ 184

* ﴿إنْ يَنْصرُكُمُ اللّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ﴾ آل عمران/ 160

ودالة الفعل المضارع أن يكون صالحاً للوقوع بعد «لم» نحو: ﴿ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ﴾ الإخلاص/3 .4 ولا بد أن يكون مبدوءاً بالأصوات «أنيت» التي سميت بـ «أحرف المضارعة».

3- **فعل الأمر**: وهو طلب حصول الشيء بعد زمن التكلُّم. وعلامته قبول «ياء المخاطبة» نحو: اشْربي، وبناؤه على السكون: أُدْرسْ. أمّا المعتل، فمبني على تقصير الصوت الصائت: ارْمِ، اخْشَ..، وقوما، قومي، قوموا فعلى حذف الصامت (النون).

وأشار النحاة إلى أسماء الأفعال، وهي ما دلّت على معاني الأفعال، ولم تقبل علاماتها.(3)

---

(3) شذا العرف في فن الصرف (25) .

1/2/2 الوحدة الفعلية حسب نوع المكوّنات الصوتية (الصوامت والصوائت)

يتبوأ هذا الصنف من التوزيع جانباً من الأهمية، لما يصاحبه أثناء رحلته التطبيقية، من تغيّرات في الظلال والألوان. وبناءً، فإنّه يقع في مجموعتين:

المجموعة الأولى: يقوم بناؤها التركيبي على الأصوات الصامتة، وسمّاها قدامى القوم (الصحيحة).

المجموعة الثانية: ينهض بناؤها التركيبي على الأصوات (الانتقالية والصائتة)، وسمّاها قدامى القوم (المعتلة).

ونحن إذ نمتحن مسائل المجموعة الثانية، فإن ذلك سيجري وفق سَنَن وضوابط الدرس اللساني الحديث.

تنهض هيكلة المجموعة الصوتية العربية على فئات أربع:

1- **الفئة الأولى**– الأصوات الصائتة القصيرة Short- vowels

2- **الفئة الثانية**– الأصوات الصائتة الطويلة Long- Vowels

3- **الفئة الثالثة**– الأصوات المركبة الثنائية Diphthongs

4- **الفئة الرابعة**– الأصوات المتحرّكة Semi- Consonants

5- **الفئة الخامسة**– أصوات صحيحة البناء الصوتي (الصامتة) Consonants

توزّعت هذه الفئات لتحكم جوانب وظيفية متعددة، أمّا **الأولى** فإنّها تختص بالحركات الثلاث (الفتحة، والضمّة، والكسرة)، وهي مما لا يدخل في حالات بناء الصيغ، وتدخل في توجيهها وظيفياً.

أما **الفئة الثانية**، فإنّها تتعلق بتلك الأصوات التي تتميز بشدة وضوحها السمعي (Sonority) وجهرها، مما يجعلها عرض للتحوّل الفونيمي. وهي

في مصطلح التصريف العربي (حروف العلّة) وفي منظور اللسانيات الحديثة، لا تختلف عن الفئة الأولى إلاّ في كمية الهواء الانتاجية والفترة الزمنية.

هذه الأصوات هي (**الألف، الواو، الياء**) خالصة الصورة النطقية مدّاً واستطالة، في مثل: رمى، يُريد، نما، هفا، يدنو...

(**أما الفئة الثالث**: فهي ما يقضي بأن يسلك كلّ من صوتي (الواو والياء) سلوكاً صوتياً مغايراً لسلوك الصورة الثانية، حينما يتحولان من (المديّة) إلى المركبة. ويشكلان هيئة هذا اللون من الأصوات في العربية. ويقعان في دائرتين صوتيتين تنتجان لنا الصورتين الصورتين المركبتين:

أوْ Aw – أيْ Ay–

ويلاحظ أن كلّ واحد منهما مسبوق بصائت الفتح القصير. مثل: سَوْفَ، فَوْقَ، حَوْضُ، دَعَوْتُ.

كَيْفَ، أيْنَ، بَيْتُ، رَمَيْتُ.

وصورتهما المقطعية هي (س ع س) ⟸ (M)

أما الفئة الرابعة فتختصّ بالصوتين (الواو والياء) حينما يقعان في دوائر صوتية تتجاذبها أمواج الصوائت القصيرة: عَوِرَ، حَوِرَ، ضَبْيٌ، وَلِيَ، سُلُوٌّ، حُلْوٌ، رَضِيَ ويلاحظ عليهما أنهما تارة يتحرّكان (بالكسر) وتارة (بالضم– أو تنوين الضم) وقد تسبقهما صورة صائت قصير.

أما الفئة الخامسة، فتختصُّ بالصوامت العربية. إنّ عناصر الفئة الثانية تبدو خالصة النطق المدّي، ولذا فإنّ عناصر مجموعتها هي أصوات صائتة طويلة، وقيل بأنّ صور أجزائها الموضوعة على الصوامت قبلها (الفتحة– الألف، الضمة– الواو، الكسرة– الياء)، مما درج عليه الرسم الكتابي القديم،

ويستدلّ بها على مدّيتها، وإن كنّا لا ننزع إلى هذا الرأي لأن الأصوات الصامتة، الواقعة قبلها، محرّكة بالصوائت الطويلة، وإلاّ كيف يُحرّك الصامت بحركتين في آنٍ واحد؟

إنّ بإمكان عناصر الفئة الثالثة والرابعة وهما الصوتان (و- ي) أن يمارسا نشاط الأصوات الصامتة الأخرى وظيفياً، وموقعياً بقدرتهما التبادلية.

ولسنا في ميدان خوض القيمة الوظيفية للصوائت القصيرة الثلاث، لأنّ هذا أمر مفروغ من إيجابيته،حتى ولو لم تكن حركات إعراب نحو: «مُخْرَج- مُخْرِج...»، وكذلك مسيرة الجذور، والصيغ الصوتية وضرورة مصاحبتها لها، مما يؤكّد أهميّة هذه الصوائت الوظيفية وليست الشكليّة. نقرأ:

(عَلِمَ- عُلِمَ- عِلْمٌ) (طَحْنٌ- طِحْنٌ- عَدْلٌ- عِدْلٌ- طَرَبٌ- طَرِبٌ) فقد ميّزت هذه الصوائت القصيرة **المصدر من الصفة**. ولولاها لما استطعنا أن نميّز وظيفة الأصوات (ع، ل، م)،(ط،ح،ن)، (ع،د،ل)، (ط،ر،ب).

وكذلك **المصدر من الاسم**:

(الجَرْحُ- الكَسْرُ- الخَبْزُ: الجُرْحُ- الكِسْرُ- الخُبْزُ) وفي متن اللغة الشيء الكثير من ذلك.(٤)

وقبل أن نبحر مع مسائلة وقضاياه نسجّل صور الدالاّت الصوتية، وفق منظور الـ(Scheme of Transliteration) وهوما يعين في بيان الهيئات المقطعية، ويوضح الأحداث النطقية (Articulatory functions) حين محاورة مسائلها.

---

(4) جاء في كتاب المثلث لابن السيد البطليوسي: الحَلْقُ- الحِلْقُ- الحُلْقُ فالأولى: مجرى الطعام ولها معان، والثانية: المال الكثير، والثالثة: جمع الأحْلَقِ من الخيل إذا أصيب بداء. ومنه أيضاً البَرُّ، البِرُّ- البُرُّ: البَرُّ خلاف البحر، والإكرام، القمح...343/1-357.

أولاً: الأصوات الصامتة: Consonants

1- الهمزة ʔ	9- الذال DH	17- الظاء Z	25- النون N
2- الباء B	10- الراء R	18- العين c	26- الهاء H
3- التاء T	11- الزاي Z	19- الغين GH	27- الواو W
4- الثاء Th	12- السين S	20- الفاء F	28- الياء Y
5- الجيم J	13-الشين SH	21- القاف Q	
6- الحاء Ḥ	14- الصاد Ṣ	22- الكاف K	
7- الخاء Kh	15- الضاد Ḍ	23- اللام L	
8- الدال D	16- الطاء Ṭ	24- الميم M	

ثانياً: الأصوات الصائتة القصيرة: Short- Vowels

الفتحة (ـَـ)....... a

الضمة (ـُـ) .... u

الكسرة (ـِـ)....... i

ثالثاً: الأصوات الصائتة الطويلة Long- vowels

الألف (أ) ...... (aa) (a:) (á)

الواو (و) ..... (uu) (u:) (ú)

الياء (ي) ..... (ii) (i:) (í)

رابعاً: الأصوات المركبة الثنائية Diphthongs

أوْ....... aw

أيْ...... ay

وسوف نتعامل معها وفق المصطلح اللساني الحديث، أثناء امتحاننا لمسائلها وقضاياها إلى جانب المصطلح الصرفي العربي القديم. كذلك سنتتبع منظورات الصور الصوتية الأربع بدلاً من حروف العلّة، لما فيها من التخليط والاضطراب، خصوصاً ونحن نعرض هيئاتها على منظومة المقاطع العربية، التي أشّرنا بياناتها بخمسة ألوان نسجيّة، وهي تمثل النسبة الغالبة في العربية. ونضيف عليها أربعة أخرى، بدت صورتها تظهر على سطوح الصيغ، وإن كانت على ضيق مرمى، وهي:

1- ع س ..... دالته (S) وصفته (H) ويظهر مع الصيغ الفعلية التي يتصدرها (صائت الإيصال)(*).

2- ع س س ..... دالته (K) وصفته (L) ويظهر مع الصيغ الاسمية حين الوقف: ابْن، اسْم ....

3- س ع ع س س......... دالته (F) وصفته (P) ويظهر مع الصيغ المستقلة البناء، وهي ليست من الكثرة: جادّ، حادّ، شابّ، في حالة الوقف. والتضعيف مع الصامت الأخير للتفريق بينها وبين (شابْ) في حالة الوقف بدلالة ظهور الشيب. وتلك اسم بدلالة (فتى).

4- س ع ع س س ع : (E) وصفته (D) ويظهر مع الصيغة السابقة في حالة التحرّك: جادْدُ، حادْدُ...

أمّا الرموز التحليلية لأشكال المقاطع التسعة، فهي:

س : صامت ورمزه (1).

س س : صامتان ورمزهما (2).

(*) أين ما يرد على هذا المصطلح، فهو، كما أشرنا بديل المصطلح القديم «همزة الوصل».

ع : صائت ورمزه (3).

ع ع : صائتان ورمزهما (4).

1/2/2/1 الفعل الصحيح

الفعل الصحيح، هو ما لم تظهر على أصول سطحه البنائي عناصر الفئتين الثانية والثالثة في هيكلة المجموعة الصوتية العربية، مثل: كَتَبَت، عَلِمَ، قَرأ، وأنّ عناصر الأصوات الزائدة لا اعتبار لها في القيمة البنائية المركزية. فمثلاً الصيغة (شَارَكَ) فعلية صحيحة وإن دخلها أحد عناصر الفئة الثانية وهو الصائت الطويل (الألف) طالما أنّ أصوله الثلاثة (ش + ر + ك) من الفئة الخامسة من صور هيكلة المجموعة الصوتية العربيّة (الأصوات الصامتة).

وعلى هذا الأساس تعامل القيمة الصوتية للفعل الصحيح. و لكنّ ظهور صيغته وفق أبنية تتداخل فيها عناصر هذه الفئات، قاد الصرفيين إلى تقسيمه إلى فئات ثلاث:

السالم، المهموز، المضعّف.

1- **الفعل السالم:**

وهو ما صحّت أحرفة خالصة وائتلفت من عناصر الصورة الخامسة (الصامتة).

وفي البيان المقطعي التالي الصور الاسنادية لهذا اللون مع الأزمنة الثلاثة: الماضي، والمضارع، والأمر:

الماضي

كَتَبَ ⟸ Ka + ta + ba

⟸ $(R)^3$

⟸ (1+3) + (1+3) + (1+3)

⟸ س ع + س ع + س ع

⟸ + تاء الفاعل ⟸ كَتَبَ + تُ

⟸ Ka + ta+ ba + tu

⟸ (R)4

⟸ (1+3) + (1+3)(1+3) + (1+3)

⟸ س ع + س ع+ س ع + س ع

⟸ Ka + tab + tu

⟸ $(R)_2$+ (T)

⟸ (1+3) + (1+3+1) + (1+3)

⟸ س ع + س ع س + س ع

حيث نسجّل المؤشّرات الصوتية التالية:

1- عند اسناد هذا الفعل (كَتَبَت) إلى (تُ) (تَ) (تِ) (نا) (تُما) (تُنَّ) (تا) (نَ) توجب حمل (لام الفعل) للتركيب الصفري ٠. ولعلّ البناء المقطعي القائم على تكاتف الصورة الصوتية للعناقيد الفونيمية يكره توالي أربعة ألوان من المقاطع (س ع) القصيرة ذات الدلالة (0) والصفة (R)، مما نحا بالصيغة صوب تبادلية تراكيب الصوائت.

كَتَبَ + تُ ⇐ كَتَبْتُ	$(R)^4 \Rightarrow (R)^2+(B)$
+ تَ ⇐ كَتَبْتَ	$(R)^4 \Rightarrow (R)^2+(B)$
+ تِ ⇐ كَتَبْتِ	$(R)^4 \Rightarrow (R)^2+(B)$
	$(R)^3 + (T) \Rightarrow (R) + (B) + (T)$
+ ن+ا ⇐ كَتَبْنا	$(R)^4 + (T1) \Rightarrow (R)^2 + (B) + (T)$
+ تُ + ما ⇐ كَتَبْتُما	$(R)^3 + (B) \Rightarrow (R) + (B)^2$
+ تُ + م ⇐ كَتَبْتُمْ	$(R)^4 + (B) \Rightarrow (R)^2 + (B)^2$
+ تُ + نّ ⇐ كُتُبْتُنَّ	$(R)^3 + (aa) \Rightarrow (R)^2 + (T)$
+ ا ⇐ كَتَبا	$(R)^3 + (uu) \Rightarrow (R)^2 + (T)$
+ و ⇐ كَتَبوا	$(R)^3 + (T) \Rightarrow (R)^3 + (T)$
+ ت + أ ⇐ كَتَبَتَا	$(R)^4 \Rightarrow (R)^2+(B)$
+ ن ⇐ كَتَبْنَ	

2- والملاحظ على هذه الصور الاسناديّة أنّ بنائها المقطعي غيّر من اتجاه الصوائت، بما يتلائم وحالات الاتجاهات الصوتية وقانون اختزال الجهد.

3- حافظت حالة الاسناد إلى المثنى (المذكر) على حركة لام الفعل دون تغييرها، لأنها من جنس الممثل الصوتي لهما، وهو الصائت الطويل (الألف)، لأنّ الفتحة تمثل نصف الفترة الزمنية لإنتاج الألف. ولذا بقيت على حالها دون تغيير (كَتَبا).

4- تبقى حالة الاسناد كذلك إلى المثنى (المؤنث) تجري دون تغيير في الصوائت، لما ألمعنا إليه. (كَتَبَتَا).

5- تغيّرت لام الفعل عند اسناده إلى الجماعة: (كَتَبُوا) وذلك بنقلها من صوائت قصير إلى صائت طويل للمناسبة الصوتية.

وفي الآتي نماذج مقطعية تركيبيّة لبعض الصور السابقة.

كَتَبْنَا ⟸ س ع + س ع + س ع + س ع ع

⟸ Ka + ta + ba + naa

⟸ (R)3 + (T)

وفي هذه الحالة تضطرب دلالة الصيغة، مما يتوجّب التدخل الصوتي وحالات الاختزال، والتحوّل من أجل المحافظة على قيمة الدلالة المركزية والتوازن الصوتي، باختصار الجهد المبذول. ولذا فإن الصورة المقطعية تتوجه وفق الآتي:

⟸ س ع + س ع س + س ع ع

⟸ Ka + tab + naa

⟸ (R) + (B) + (T)

كَتَبُوا ⟸ س ع + س ع + س ع + ع ع

⟸ Ka + ta + ba + uu

⟸ (R)3 + (uu)

وبمثل ما ألمعنا إليه من اضطراب الدلالة توجّه المقطع صوب الصورة التالية:

⟸ س ع + س ع + س ع ع

⟸ Ka + ta + buu

⟸ $(R)2 + (T)$

كَتَبْنَ ⟸ س ع + س ع + س ع + س ع

⟸ Ka + ta + ba + na

⟸ $(R)^4$

ولاضطراب الدلالة وصعوبة التحقيق النطقي، يتحول المقطع إلى الشكل التالي:

⟸ س ع + س ع س + س ع

⟸ Ka + tab + na

⟸ $(R)^2 + (B)$

المضارع:

أكتُبُ، نَكتُبُ، تَكتُبينَ، تَكتُبانِ، تَكتُبونَ، تَكتُبْنَ، يكتُبانِ، يَكتُبونَ، يَعْلَمَنَّ.

وتجري صورها المقطعية وفق الآتي:

تَكتُبونَ ⟸ س ع س + س ع + س ع + ع ع + س ع

⟸ tak + tu + bu + uu + na

⟸ $(R)3 + (B) + (uu)$

وهذا البناء يتعارض هندسياً وصوتياً في نقطة المقطع الثالث والرابع، إذ لا يوجد في العربيّة مقطع يتكون من (مركز صوتي– نواة) فقط إلاّ إذا أحاط بها غلاف الحدود المقطعيّة. ولذا فإنه لا بدّ من إجراء جراحة إدراجيّة Insertion Surgery بوساطة قانون اختزال الجهد، ليصير المقطع وفق الشكل التالي:

⟸ س ع س + س ع + س ع ع + س ع

⟸ tak + tu + buu + na

⟸ $(R)^2 + (B) + (T)$

حيث أدّى هذا التحوّل إلى ذوبان الصائت القصير الواقع في دائرة المقطع الثالث الصوتية، مع الصائت الطويل.

وهكذا يجري الأمر مع نماذج الاسناد الأخرى.

الأمر:

اعْلَمْ، اعْلَمي، اعْلَما، اعْلَموا، اعْلَمْنَ

تظهر مع صيغة الأمر الفعلية صورة المقطع الجديد (ع س) المناظر للمقطع الانجليزي (VC)في نحو (OR)، وهو صورة ينفرد بها فعل الأمر دون بقية الأفعال الماضية والمضارعة، لأنّ في حالة اسناده تبدأ التحوّلات الصوتية التالية:

اعْلَمِي عَلِمَ + ي (الصائت الطويل)

عْلَمي

حيث يكون بناؤه المقطعي وفق الصورة التالية:

س س ع + س ع ع

وبما أنّ المقطع الصوتي الأول لا تربطه صلة نسب بالعربية، لذا لا بدّ من إجراء تحوّلي تتناسب معه الصيغة وأبنية العربيّة.

وكان أن شُطر المقطع الأول إلى قسمين: (س) + (س ع) وبهذا صار التركيب محتوياً على ثلاثة مقاطع: اثنان معتمدان، والآخر غريب على نسج العربية. وكان لا بد من إجراء آخر، يقوّم الجزء الأول في المقطع الأول، الذي هو في الواقع غلاف خارجي دون نواة، مما لا يمكن أن نصطلح عليها (خلية مقطعية).

وكان أن جيء بصائت قصير (ـــِـ) وأدرج مع المقطع الأول ليكون (ع س)، وهذا اللون وإن لم تألفه العربية، إلاّ أنه أصبح ضرورة مع هذا اللون من الصيغ، وحين الابتداء، أما حين يرد بعد الابتداء فإنّه يذوب مع المقاطع الأخرى. ويبدو أنّ الرّسم العربي كان يعتمد تشكيل الصوت السابق (للعلة) بحركة مجانسة. وهذا الأمر يولّد لنا تركيباً مقطعياً مضطرباً، إذا ما علمنا بأنّ صوت الميم صائت وهو غلاف المقطع الخارجي، لا يمكن له أن يحتوي على (ع + ع ع) إلا إذا أذيبتا في نواة واحدة هي (ع ع). ومما يساعد على ذلك أن (ع) هي حركة مجانسة لـ (ع ع). وأنّ صوت الميم لا يمكن أن يحرّك بصائتين في آن واحد (صائت قصير وصائت طويل). لذا فهو بحاجة إلى حركة واحدة. هذا وضع منطقي، كما أنه لا يمكن لمقطع واحد أن يحتوي على نواتين في آن واحد، وعليه فإن سير المقطع سلك جادّة التركيب التالي:

⟸ ع س + س ع + س ع ع

⟵ ic + la + mii

⟵ (R) + (S) + (T)

وهكذا مع بقية الألوان الاسنادية الأخرى.

2- الفعل المهموز:

وهو ما كان أحد أصوله صوت الهمزة الحنجريّة glottal- stop ويأتي على أضرب ثلاثة:

أ- ما كان صوته الأول همزة: أَخَذَ

ب- ما كان صوته الثاني همزة: سَأَلَ

جـ- ما كان صوته الثالث همزة: قَرَأَ

ونظراً لمكانة صوت الهمزة في الدرس اللغوي، اكتسبت هذه الفئة الفعلية أهميتها.

وصوت الهمزة، حنجري، إنفجاري، لا مهموس ولا مجهور، وهذا ما يثير الانتباه، ويوجب الوقوف عند بنيته التكوينية، وظلاله الوصفية، وتقلباته البنائية، وجوانبه الوظيفية.

ينعتها الخليل، وهو مما أفاد ابن سيده: «هاوية في الهواء، فلم يكن لها حيّز تنسب إليه إلاّ الجوف».[5] ويصفها أبوحيّان بقوله: «المهتوت صوت الهمزة، سميت بذلك لخروجها من الصدر كالتهوّع، فتحتاج إلى ظهور صوت قوي شديد، والهتّ الصوت بقوّة». [6]

ويؤكد سيبويه أن صوت الهمزة، صوت شديد، ونبر في الصدر يخرج بإجهاد.[7] ويؤكد الخليل، نقلاً عن ابن كيسان، مما حكاه السيوطي قال: «سمعت من يذكر عن الخليل أنّه قال: لم أبدأ بالهمزة، لأنها يلحقها النقص، والتغيير، والحذف...»[8]

---

(5) المخصص (1-10).

(6) النكت الحسان (283) وارتشاف الضرب (1/11-12)

(7) الكتاب (بولاق)(2/167.407).

(8) المزهر (1/90).

ويبدو أنّ السرَّ وراء تقلّبات هذا الصوت، متأت من أنّ قدامى القوم عدّوه من الأصوات الانفجارية (الشديدة). ونعتوه بأنّه صوت هوائي! فكيف تجتمع الشدّة مع الصوت الهوائي، الذي إذا رُفّه عنه كان نفساً، ويحوّل إلى مخرج الهاء؟ وعلى هذا الأساس استخفّت العرب إدخال الهاء على الألف المقطوعة، نحو أراق وهراق(9).

فالصوت لا يتصف بالشدّة إذا كان هوائياً، وهي صفة الأصوات الصائتة.

ونظراً لهذا الاضطراب والتخليط، الذي أدى إلى عدم استقرارية صوت الهمزة، تفَشّت فيه ظاهرة الإبدال، وهو أمر شائع في اللهجات العربية القديمة والحديثة.

جاء عن أبي زيد الأنصاري أنه قال: «أهل الحجاز، وهذيل، وأهل مكة، والمدينة لا ينبرون، وقف عليها عيسى بن عمر، فقال: ما آخذ من قول تميم إلاّ بالنبر، وهم أصحاب نبر، وأهل الحجاز، إذا اضطروا نبروا».(10)

والحقيقة أن ظاهرة إبدال هذا الصوت تعود إلى أن عملية تحقيقه ظاهرة تحتاج إلى جهد عضلي، مما يجعلها من أصعب الأصوات إخراجاً، وأنّه لا بد من أن ينحى به صوب جادة التسهيل.

يمرّ هذا الصوت عند إنتاجه بمراحل ثلاث: (**قطع النفس، والانطباق، والانفجار**). وتسمى **همزة القطع**، وحين تخفف، على مذهب أهل الحجاز، تسمى **الهمزة المخففة**.

---

(9) لسان العرب (هت).

(10) المرجع نفسه (نبر).

وحال الفعل المهموز، حين يسند إلى الضمائر، لا تختلف عن حال الفعل السالم. وفي الآتي، وقفة مع نموذج منه:

قَرَأْ+ تُ + تِ + تَ + قَرَأْنا + قَرَأْتُما + قَرَأْتُمْ + قَرَأْتُنَّ + قرأا + قَرَأوا + قَرَأْنَ

نلاحظ أنّ التحوّلات الصوتية في الصوائت على بنية هذا الفعل تأخذ طريقها جرياً وراء قانون السهولة واليسر الصوتي.

قَرَأَ + نا ⟸ س ع + س ع + س ع + س ع ع

⟸ qa + ra + á + naa

⟸ (R)3 + (T)

σ توالي مقاطع ثلاثة متحرّكة لا يساير بناء العربيّة، لصعوبة تحقيقه، لذا جرت البنية المقطعية وفق الآتي:

س ع + س ع س + س ع ع

qa + ra' + naa

(R) + (B) + (T)

أي بدمج المقطعين القصيرين (الثالث والرابع) في بنيته واحدة حيث يتركّب منهما المقطع المتوسط (T). ويأتي هذا بعد انزياح الصائت القصير إلى المقطع الثاني وإحلال التركيب الصفري محلّه (0).

ويبدو أنّ الذوق العربي كان يفرض وجوده على الصيغ والتراكيب، تحقيقاً لجوانب جمالية، وأخرى من أجل تيسير العملية النطقية. ولعلّ في تصرُّف علماء العربيّة مع (5) صيغ فعليّة هي:

أخَذَ- أكَلَ- أمَرَ- سَأَلَ- رأى

خير شاهد على محاكماتهم القياسيّة.

مع الصيغ الثلاث الأولى (مهموز الفاء) كان المفروض، جرياًعلى سَنَن القياس أن يجري الأمر معهما: (أُؤْكُلْ، أُؤخُذْ)، لكنه جاء: «كُلْ - خُذْ». ولعلّ المقطع الصوتي خير من يفسر هذه الظاهرة التحوّلية، التي أدت إلى نقلتين: الأولى حذف صوت الهمزة كلياً من الصيغة، والثانية: إقامة البناء على صوتين فقط.

جرياً على القياس فإنّ «أُوبّر النخل» أي لقّحه و«أُوثره» أي اتبع أثره، فإنّ ثبات هذا خوفاً على انحراف مستوى الدلالة واختلاطه بدلالات أخرى يشترك فيهما الصوتان (ب، ر) و(ث، ر)، مما أدى إلى بقاء تلك الصورة القياسية قائمة مع هاتين الصيغتين.

يبنى الفعل (أكَلَ) مقطعياً من : (س ع + س ع + س ع) أي $(R)^3$. وهي صيغة جرت عليها العربية وسيّرت تراكيبها. وفي حالة بنائه للأمر على القياس:

أُؤكُلْ ⟸ فإن المقطع الصوتي يجري على وفق الآتي:

س ع + ع ع س + س ع س

σ (المقطعين الأول والثالث مألوفان في العربية، فإنّ المقطع الثاني جاء معترضاً وبصيغة غير مقبولة في العربية ونسجها الصوتي. لأنه في أثناء نطق الصيغة كاملة وفق القياس، يتطلب ثلاث عمليات إجرائية:

الأولى: نطق همزة القطع الأولى مع صائتها القصير (أُ)

الثانية : نطق الصائت الطويل متبوعاً بصوت الهمزة الساكنة، تمهيداً وقفياً للانتقال إلى المقطع الثالث.

الثالثة: نطق المقطع (كُلْ) للانتهاء من تحقيق الصيغة.

والمشكلة تكمن في المرحلة الثانية وتعلّقها بالمرحلة الأولى. فنطق الهمزة ولّد المقطع (س ع)، ومن ثمَّ كان لا بدّ من الانتقال إلى الصائت الطويل، ومن بعده الهمزة الساكنة. وهذا يولّد اضطراباً وحركة تحوّلية صعبة التحقيق بشكل مطلق. لذا كان لا بدّ من حذف المقطع الثاني تخلصاً منه. ولما بقي المقطع (س ع)، الأوّل، الذي إن وُصل بالمقطع الثالث فإنّه يؤدي إلى نفس النتيجة مما تطلّب التخلص منه هو الآخر، والإبقاء على المقطع الثالث تسهيلاً وتيسيراً وكلّ هذا يجري بفعل ظاهرة المخالفة الكمّية Quantity Dissmi-lation.

ولما كانت القاعدة العربيّة محكومة بالنّص القرآني، لأنّه الأصل فيها، و ما ورد عنه يوافق بناء المقطع الثالث. قال تعالى: ﴿يا بني آدم خُذوا زينَتكُمْ عند كُلِّ مسجد، وكُلُوا واشْربوا ولا تسرفوا﴾ (الأعراف/3) والأمر يجري مع الفعلين (أمر، سأل) حيث وردت في القرآن الكريم- ابتداءً: (سَلْ بني إسرائيلَ كمْ آتيناهُمْ من آيةٍ بيِّنة) (البقرة/211) وحيث وردت في غير الابتداء فإنّ الهمزة بقيت على حالها، قال تعالى: ﴿وأْمُرْ أهلك بالصلاة واصْطَبِرْ عَليها، لا نسألْك رزقاً﴾ (طه/132) وقوله تعالى:﴿وما أرْسَلنا قَبلك إلا رجالاً نُوحي إليهمْ فاسألوا أهل الذّكر إنْ كنتم لا تعلمون﴾ (الأنبياء/٧) ولعلّ الإيقاع الصوتي في «وأْمُرْ- فاسألوا)» مما تطلّب إثبات الهمزة. فالفعل (وأمُرْ) مسبوقاً بالنص القرآني: ﴿ورزق ربّك خير وأبقى وأْمُرْ﴾ فلو حذفت الهمزة لاختلّ الإيقاع، وهو أحد أركان الإعجاز الصوتي، ولأنّ المقطع المتوسط أكثر راحة للنفس من المقطع الصوتي القصير. وكذلك الأمر نفسه مع النص القرآني الثاني.

أمّا الفعل «رأى» فأمره مختلف لأن محتواه التركيبي يجري على وفق الآتي: (صوت صامت متوسط + صوت صامت شديد + صائت طويل).

والصامت المتوسط يلتقي مع الصائت الطويل، من حيث الجهر، والقوة الاسماعية العالية، لذا فإنّ وجود الهمزة في وسطه محصورة، وكثرة الاستعمال أدى، في أحيان، إلى تخفيفها لكي تلتقي مع عناصر صوت الألف. لكنّ الأمر يتطوّر حينما يُطلب زمن المضارع منه. وكان القياس يجري على (رأى- يَرْأى- إرْأ) كما يقال: (نأى- يَنْأى- إنْأ). ولكن لماذا جانب زمن المضارع القياس الصرفي؟ ولعلّ مردّ الأمر يعود إى اضطراب صوت الهمزة، وتأرجحه بين التسهيل، والتحقيق،جنح مع الفعل المضارع إلي هذه السلوكية.

فالهمزة الوسطية عند أهل الحجاز، وغيرها من قبائل العرب خفيفة، وحين تخفف تقلب إلى صائت طويل، ولما توالى صوتان صائتان طويلان حذف أحدهما وهو صوت الهمزة المخففة، لكراهية توالي المثلين، خصوصاً إنْ كانا صائتين، وصار الفعل على صيغة المضارع (يرى)، ولكنه في حقيقة بنائه على ما جاء عليه القياس.

ثم أن المقطع الصوتي لا يرى أي مبرر آخر لحذف الهمزة، خصوصاً وأنّ الفعل (يَرْأى) يتكون من مقطعين متوسطين: (س ع س) + (س ع ع) أو (T) + (M)، وهذا ما يتفق ونسج العربية، ويسير على سَنَنها.

أمّا جريان فعل الأمر منه، فإنّ العربية لا تميل إلى المقاطع من نوع (ع س) إلاّ اضطراراً وما وقع ابتداءً . وإلاّ فإن الشكل المقطعي لفعل الأمر (ارْأ) يسير وفق الآتي:

ع س + س ع ⟸ (R) + (H)

وهو أمر يقبله بناءُ العربية الصوتي. لكن الأمر يكمن في عملية التحوّل من مقطعين قصيرين إلى مقطع واحد قصير، بفعل عامل المخالفة الكميّة Quantity dissimilation التي تعمل على إعادة بناء المقاطع.

لّما كان المقطع الأول يتكون من صائت قصير وصوت ساكن وهو يمثل الأساس، متبوعاً بالهمزة الوقفية التي يتطلب إنتاجها جهداً عضلياً كبيراً، لذا جرى تسهيل جريانها لتتحول إلى صائت طويل.

إنّ حالات التسهيل، التي يتعرض لها صوت الهمزة، تجعلنا نقيد القول أنها ليست من حروف المباني، لعدم حملها لوظيفة تمييزية، لأنه عند إسقاطها لا يتغير المدلول، ولا يؤدي إلى ظهور نسج صوتي جديد. وتبقى وظيفتها «تباينية»، وهي حفظ حالات تحليل التراكيب، وتسهيل مهمات الوحدات النطقية. إن حفظ التباين من مهمات الفونيمات فوق التركيبية (النبر) والهمزة هي أحد أنواع النبر. ولذا فإنّ تنحيتها من تيار المقاطع أمرٌ لا يعبث بمستوى الدلالة.

ولعلّ (رَ) لم يصر كذلك إلاّ بعد مرور الفعل بنقلتين: (الأولى) تسهيل الهمز ليصبح الفعل (إرْا)، وهذا يؤدي إلى إعاقة واضحة حين الانتقال إلى تحقيقه بسبب سكون (الراء)، وعند ذاك يتولّد نوع من المقاطع لا يألفه نسج العربية وهو (ع ع)، فحذف لينقل الفعل إلى النقلة (الثانية) وهي الإبقاء على الصائت القصير، وصوت الراء. وبما أنّ تحقيق الصائت القصير يتطلّب ضغطاً منبوراً، وهذا جهد آخر، يضاف إليه، أن العربية لا تستأنس بالمقطع (ع س)، وأنّ صوت الراء أحيط بنواتين: فردية ومزدوجة ولا بدّ من الاندماج.

وتركيب المقطع على نواة واحدة، والأقرب للصامت هي المرشّحة لتشكيل خلية المقطع، ولذا حذفت النواتان الأولى والأخيرة.

ويجري الاسناد وفق الآتي:

رَ، رَيا، رَوا، رَيْنَ، رَيِ .

وفي المضارع: يريان، تريان، يرون، ترون، ترين .

أمّا إذا دخلت عليه الهمزة من بوابة (التعدية). وقالت العرب فيه، يُستعمل محذوف (العين) في أزمنته الثلاث: (الماضي، و المضارع، والأمر):

أراه، يريه، اره. جاء في القرآن الكريم، وهو أصل قواعد العربية، وإنما رمت العرب من كنانته:

﴿ بما أراك الله ﴾ (النساء/105).

﴿ سأريكم دار الفاسقين ﴾ (الأعراف/145).

﴿ وأرنا مناسكنا وتُبْ علينا ﴾ (البقرة/128).

3-الفعل المضعّف:

وقالت العرب فيه الفعل الأصم، لشدّته. وهو على ضربين:

- **مضعّف الثلاثي ومزيده.**
- **مضعّف الرباعي.**

فالأوّل ما كانت (عينه) و(لامه) من جنس واحد:

فرَّ، مَدَّ، استْمدَّ، امتَدَّ.

ومضعف الرباعي: ما كانت (فاؤه) و(لامه الأولى) من جنس، و(عينه) و(لامه الثانية) من جنس واحد:

زلزل، عسعس، قلقل.

وفي صيغه اسناد الثلاثي منه إلى: (تُ، تَ، نا، ن ...) فإنّ الجانب الصوتي يتطلب فك الادغام:

شَدَدْتُ، شَدَدْنا، شَدَدْنَ، اشدُدْن، يشدُدْنَ

أمّا إذا اسند إلى (الصائت الطويل) (الألف) أو (الواو) و(ياء) المؤنثة المخاطبة وجب الادغام.

يشدّان، يشدّون، شدّوا، شُدّا، شُدّي

أمّا تصريف الرباعي واسناده إلى الضمائر فإنه لا يغير من البناء شيئاً.

1/2/2/2 الفعل المعتل:

هو ما ضمّ في بنائه أحد أعضاء فئات المجموعة الصوتية العربية (الثانية، والثالثة، والرابعة)، وهو على ضروب ثلاثة(*):

1- **المثال.**

2- **الأجوف.**

3- **الناقص.**

4- **اللفيف:**

4/1 **اللفيف المفروق.**

4/2 **اللفيف المقرون.**

(*) وتجري هذه في الاسم مثل: (شَمْس، وَجْه، قَوْل، سَيْف، دَلْو، ظَبْي، وَحْي، جَوّ، حَيّ، أمْر، بِئر، حَدّ، بُلْبُل) شذا العرف/28.

1- المثال:

هو ما كان أوّله أحد أصوات الفئة الرابعة (شبه الصوامت) (Semi-Consonants) وهما صوتا (الواو– الياء)، مثل:

(وَعَدَ، وَجَدَ، وَزَنَ، يَسَرَ، يَئِسَ، يَبِسَ، يَتَمَ، يَدِيَ، يَرِعَ، يَفَعَ، يَقِظَ، يَقِنَ، يَمَنَ، يَنَعَ).

وقيل في سرّ التسمية، لمماثلته صيغة الأجوف حين يوضع على صيغة الأمر (قال: قُل– باع: بعْ) يقال: «وعدَ: عِدْ، ورد: رِدْ» وثمة رؤى أخرى ليس هذا مسرحها.

يتأثر الفعل (المثال) ممن كان صوته الأول (واواً) في حالات التصريف. أما من كان صوته الأول (ياءً) فإنه لا يتغيّر تصريفه البنائي.

1- إذا كانت صيغة المثال المبدوءة (بالواو) مكسورة العين، في صيغة المضارع، حذف صوت الواو في المضارع والأمر:

(وَأَدَ– يَئِدُ)، (وَثَبَ– يَثِبُ)، (وَجَبَ– يَجِبُ)، (وَجَدَ– يَجِدُ)، (وجَسَ– يَجِسُ)، وَبَقَ– يَبِقُ)، (وأَلَ– يَئِلُ)، (وَرَدَ– يَرِدُ)، وَزَنَ– يَزِنُ).

2- إذا كانت صيغة المثال المبدوء (بالواو) مضموم العين، في صيغة المضارع، ثبتت (الواو) في صيغ الأزمنة الثلاثة:

(وَجُبَ: يَوْجُبُ)، (وَضُوءَ: يَوْضُؤُ)، (وَضُعَ: يَوْضُعُ)، (وَجُهَ: يَوْجُهُ)، وَثُقَ: يَوْثُق)، (وَدُعَ: يَوْدُعُ).

– هذه قواعد نتجت من استقراء النصّ العربي، لكنه تبقى هناك شواذ من الصيغ الفعلية لا تلتقي معها، وما أحسبها إلاّ بفعل توجيه الدلالات.

3- إذا كانت صيغة المثال المبدوء بـ (الواو) مفتوح العين في صيغة المضارع، ثبتت الواو في المضارع:

(وَحِشَ: يَوْحَشُ)، (وَخِمَ: يَوْخَمُ)، (وَجِعَ: يَوْجَعُ).

2- الأجوف:

هو ما كان وسطه صوت صائت طويل من الفئة الثانية، أو شبه صامت من الفئة الرابعة.

وبُلّغ أنّ السرّ في تسميته يرجع لخلو وسطه من الأصوات الصامتة الصّحاح. مثل: (قالَ، باعَ، صامَ، عادَ، حَوِلَ، غَيِدَ). يقول الصرفيون إنّ أصل (عادَ) عَوَدَ، و(سارَ) سَيَرَ، وإنّه لمّا تحرّكت الواو أو الياء وانفتح ما قبلهما انقلبتا «ألفاً»! فصارت: (عَوَدَ ⇐ عادَ) (سَيَرَ ⇐ سارَ)، دون أية إشارة إلى سرّ هذا الانقلاب، الذي حطّم صوتي (الواو) و(الياء) وحوّلهما إلى صوت (الألف)، مع العلم أنه ينتمي إلى الفئة الثانية (الصوائت الطويلة) وأنّ صوتي (الواو) و(الياء) هما من الفئة الرابعة (أشباه الصوامت).

من أين كان هذا الأصل المفترض والمزعوم لبناء نظريتهم في هذا النوع من الإعلال؟

نقول إننا لسنا مع هذا الافتراض، ولنا في ذلك رأي، مفاده، أنّ (عاد) يحتوي في أصل تكوينه المقطعي على صوتين:

س ع ع + س ع

(R) + (T)

ولو توغلنا أكثر في التركيب نلمح أنّ هذا الصائت القصير يشير إلى (الجنس والعدد) ولو ضعّفنا هذه الحركة لأمكننا أن نحصل على صائت طويل هو (الألف).

هذا الصائت القصير دليل الشخص الذي يكمن في ذات الفعل، المفرد، و(الألف) دليل الفاعل المثنى.

وفي حالة اسناده إلى ضمير المتكلّم أو المخاطب تأخذ الصيغة الشكل التالي:

عادَ ⟸ عُدْتُ ⟸ يَعُودُ

⟸ عُدْتَ ⟸ تَعودُ

ولذا فإنّ هذه الصيغة ذات جذرين، جذر للماضي منها هو صيغة الأمر (عُدْ)، وجذر المضارع (يعودُ) وليس هناك ثمّة تحوّل، وقد نشأ هذا الجذر من إطالة الصائت القصير في جذر الماضي، وليس عن أصل مزعوم. إنّ هذه الواو نشأت من إطالة الصائت القصير في جذر الماضي لتصبح صائتاً طويلاً في جذر المضارع، وبالتالي ليس من شأنها أن تنقلب، لأنها خاصة بجذر المضارع، وإنّ هذه الألف في (عاد) أضيفت من خارجه.[11]

3- الفعل الناقص:

ينعت الفعل، الذي يقوم بناؤه على أصوات يلحقها التغيير والتحوّل (أصوات الفئة الثانية والرابعة)، ناقص. وهو كل فعل اعتلّت لامه. وذهب سرّ التسمية إلى حذف صوته الأخير حين يصير إلى مبدأ التصريف ونماذجه:

---

(11) محاولة السنية في الإعلال (174).

أ- دعا، مشى، رمى، غزا، كفى، سعى، علا، نما.

ب- نَسِيَ، رَضِيَ، شَقِيَ.

جـ- نَهُوَ، طَرُوَ، سَرُوَ، رَخُوَ.

سجّلت نهايات المجموعة (أ) مع الصائت الطويل (الألف)، الذي لم يتسم بالثبوت، إنّما هو نهاية متحوّلة. وكما سجّلها التصريف العربي، فهي إمّا أن تكون منقلبة عن (واو)، أو ياء. ولعلّ ما يلاحظ أن الأفعال ذوات الألف الممتدة كـ (دعا) وأخواتها منقلبة عن (واو)، وهو أحد الأصوات الانتقالية (Semi- Consonants).

أمّا الأفعال ذوات (الألف- المرسومة على هيئة الياء في الأبجديّة) فإنّها منقلبة عن (ياء).

أو في حالة الاسناد إلى الضمائر المختلفة في الأزمنة فإنّهم يسجّلون الآتي:

غزا + تْ ⟸ غَزَتْ

عدا + تْ ⟸ عَدَتْ

غزا + وا ⟸ غَزَوْا

عدا + وا ⟸ عَدَوْا

غزا + تُ ⟸ غَزَوتُ

عدا + تُ ⟸ عَدَوتُ

غزا + نا ⟸ غَزَوْنَا

غزا + ن ⟸ غَزَونَ

سعى + تْ ⟸ سَعَتْ



سعى + نا ⟸ سَعينا

سعى + وا ⟸ سعوا

غزا + ألف الاثنين ⟸ غَزَوا

دعا + ألف الاثنين ⟸ دَعَوا

سَرَوَ + تُ ⟸ سَرَوْتُ

سَرَوَ + نا ⟸ سَرَونا

سَرَوَ + ألف الاثنين ⟸ سَرَوْنا

سَرَو + تْ ⟸ سَرَوْت

سَرَوَ + (ياء المخاطبة في الأمر) ⟸ أسري

رَضي + وا ⟸ رضوا

شَقي + وا ⟸ شقوا

رَضي + تُ ⟸ رَضيتُ

رَضي + نا ⟸ رَضَينا

رضي + ن ⟸ رَضين

خَشِيَ، يَخْشى، رضي، يَرضى، يخشيان، يرضيان، يَخْشَوْن يَرْضَوْنَ.

ارمِ، ارميا، ارموا، ارمين.

اد ع، ادعي، ادعوا، ادعوَا، ادعونَ.

4- الفعل اللفيف:

وهو على ضربين:

أ- المفروق.

ب- المقرون.

أمّا الأول فهو ما اجتمع في بنائه (فاؤه ولامه) صوتان من أصوات المجموعة (الثانية والرابعة) الصائتة وشبهها. مثل:

وَفَى، وقى، وعى، ولي. ولعلّ سرّ التسمية يذهب إلى طبيعة البناء، فالصيغة تقوم على ثلاثة أصوات أوسطها صوت صامت صحيح.

وأمّا الثاني، فهو ما اجتمع في بنائه (عينه ولامه) صوتان من أصوات المجموعة (الثانية والرابعة) الصائتة وشبهها مثل:

هوى، عوى، طوى، قوي. وتسميته تقوم على اقتران الأصوات (المعتلة وتجاورها.

وذهب التصريف فيه عند الاسناد:

وعى، يعي، ع، وعيتُ، وعَوْا، وَعَيَن، يَعُون، يعيان، عِيا، عُوا، عي، هويا، يهوون، يهويان، تهوينَ، إهْوِ، إهْوِيا، إهْوُوا، إطْو، (قِهْ، لِهْ، عِهْ، نِهَ- وقي، ولي، وَعَى، وَنَى.

وفي البيان التالي، صوراً مختلفة لحركات أصوات العلّة مع الصيغ:

في الصيغة الأمرية:

يُعْلَمُ ⟸ كلّ مضارع صوته الثاني ساكناً (أي ما بعد ياء المضارعة) زيد قبل الصوت الساكن (صائت الإيصال):

اعْلم، اسمع، اُكتُب، اُدْخُل، اجلُس، اضْرب، اُكْرُمْ، اُحلُم، ايَس، ايُقَظْ، ارمِ.

يَقولُ ⟸كل مضارع صوته الثاني متحركاً (أي ما بعد ياء المضارعة) فلا حاجة إلى صائت الإيصال، ويجري الفعل على الصورة:

قُلْ، عُدْ، بِعْ، سِرْ، خَفْ، نَمْ

أُرْدد، اُمْرُرْ، اعفِفْ، افرُرْ، اشْمَمْ، فِرّ، عِفّ، رِقّ، رُدّا، فِرُّوا، اُرْدُدْنَ، اِعفِفْنَ، ابرَرْنَ.

ومما يقتضيه السياق الصوتي في التحليل، ندرج في أدناه، التحوّلات الصوتية لبعض الصيغ، نماذج لما يمكن أن تسير عليه بقية الصور:

رَمَى ⟸ س ع + س ع ع (T) + (R)

اِرْمِ ⟸ س ع س + س ع (B) + (R)

ردَّ ⟸ س ع س + س ع (B) + (R)

أُرْدُدْنَ ⟸ع س + س ع س + س ع (H) + (B) + (R)

وفى ⟸ س ع + س ع ع (T) + (R)

فِ ⟸ س ع (R)

1/2/3 الوحدة الفعلية حسب معيار إمكانية التحوّل الصوتية

سجّل بناء العربية المحكم قدرتها على مواكبة كافة احتياجات الفكر في شتى ميادينه المختلفة، وتلبية متطلباته ذات الألوان والأغراض المتعددة.

ولّما كانت المصادر تمثّل الأصل للوحدات اللغويّة، وهذا الأصل لا يمتلك القدرة على الإيفاء بأداء كافة المهام، حُملت الأفعال فرعاً عليه، حيث مثّلت جانباً من الصور اللفظية، لكي تدّل على ما عجزت عنه المصادر والأسماء.

وكما دَلَّ العرب على ألوان الصيغ الفعلية بطرائق أخضعوها لمقاييس، ووزّعوها حسب منظورات التوجّه القاعدي، بما يخدم الدلالات المختلفة وضروب سياقاتها، كان لهم أن أخضعوها للمنهج الاستقرائي الوصفي، الذي يقوم على توزيعها إلى مجاميع وفقاً لطبائعها، وإمكاناتها التحوّليّة.

وقد بنوا قاعدتهم الأساس على عامل الزمان ولحظة التكلّم، وحددوا على ضوئهما (مثلّث الأزمنة)، فكان الماضي، والمضارع، والأمر، وأقاموا عليها بناء سلّم الدلالات النحويّة، والصرفية، والمعجميّة، والبيانيّة. ولّما كان توليد هذه الصيغ يقوم على أساس الحاجة إلى استعمالها في تراكيب متباينة، ظهرت على السطح صفات هذه الصيغ من حيث قدرتها على مواكبة ضروب التلوّنات التصريفية. وحين كان الميدان النحوي يسعى إلى مهمة الأداء الأمثل لهذه الصيغ التي من أجل تأدية الوظيفة النحويّة، وتحقيق أغراضها ومقاصدها، من خلال التقابل، والتداخل في سياقات لغوية، حرص اللغويون العرب، وفي مقدّمتهم النحاة، على تحقيق المستوى النظمي في أبعد مساراته، والاعتناء بمادته القيميّة، مع إمكانية تحقيق مركزية الأداء للفعل الدلالي.

وعلى هذا الأساس، صادفت اللغويين، أثناء مسيرتهم التركيبية، بعض الصيغ لا قدرة لها على التحوّل، وملازمتها صورة واحدة، وإلى الجانب الآخر، صيغ تمتلك موجبات القوة على الظهور بمستويات متعددة وهي تمارس فعلها الوظيفي.

وقد أطلقوا على الفئة الأولى «**الأفعال الجامدة**»، وعلى الفئة الثانية «**الأفعال المتصرّفة**».

فما هي طبيعة هاتين الفئتين؟

الفعل الجامد– ما لازم صورة صوتية واحدة– وقد وقع في زمنين:

أ– ما دلّ على الحدوث قبل زمن التكلّم (الماضي) وهي:

ليس، كَرِبَ، عسى، حَرَى، اِخلولَقَ، أَنْشأ، طَفِقَ، أَخَذَ، جَعَلَ، عَلِقَ، نِعْمَ، حبَّ، بئس، ساء، خلا، عدا، حاشا.

حيث تتوزع بين الناسخة، والمقاربة، والرجاء، والشروع، والذّم، والاستثناء.

ب– ما دلّ على الحدوث بعد زمن التكلّم (الأمر) وهما:

هَبْ، تَكَلَّمْ، ولا ثالث لهما.[12] بمعنى ظن، وأعْلَم.

جـ– ما دلّ على الحدوث في زمن التكلّم أو بعده (المضارع) وهي: يَهيطُ بمعنى يصيح، أَهَلُم، أها.

الفعل المتصرّف: وهو ما امتلك القدرة على التحوّل. ويأتي على ضربين:

---

(12) شذا العرف (46).

أ- ناقص التصرّف: وهو ما جاء منه الماضي، والمضارع فقط. ونماذجه:

زال: يزال، بَرِحَ: يَبْرَحُ، فَتِيءَ: يفتأ، انْفَكَّ: يَنْفَكُّ، كادَ: يكادُ، أوشكَ: يوشِكُ. وبعضه، وهو على ندرة ما جاء منه المضارع والأمر:

يَدَعُ: دَعْ، يَذَرْ: ذَر.

ب- تام التصرّف: وهو ما امتلك القدرة على التحوّل والانتقال عبر زوايا مثلث الأزمنة. وهو ما يشكل النسبة الغالبة جداً من وحدات العربيّة.

1/2/4 الوحدة الفعلية حسب معيار التجاوز والقصور

تتفاوت الصيغ الفعلية في قدرتها على تجاوز الحدود، من أجل بلوغ الغايات الدلاليّة، وإتمام صور التراكيب، بأنها «نشطة». ونشاطها متأت من فونيماتها التي تتوزع صفاتها بين مدارج شتّى، كالاطباق، والاستعلاء، والاستفال، والانفتاح، والصفير، والتفشّي، والاستطالة، والتكرار، والانحراف، والقلقة، والذلقية، والمفخمة والغنّة، وتحكمها هيئات المخارج النطقية العشر، وطبيعة الانتقال الاهتزازي للأوتار الصوتية، وكيفية الممر الهوائي أثناء سير العملية الإنتاجية.

فكانت المجهورة، والمهموسة، الانفجارية، والاحتكاكية، والمركبة، والترددّية، والجانبية، والأنفية.

وعلى هذا الأساس امتلكت الصيغ الفعلية في العربية هذه القدرة، وذلك النشاط، حين ائتلفت في هيئات عنقودية صوتية، وهي تركب موج الصيغ المختلفة، وتؤدي أغراضها بشكل بيٍّن. ولولا هذا التفاوت، ما استطاعت العربيّة أن تساير التيارات الفكرية، وتمدّها بمعطيات ثرائها.

وكان الدرس العربي القديم، وهو يتعرّض لهذا اللون من القدرات قد صنّف الأفعال إلى فئتين:

أ- **الفئة النشيطة**: كما اصطلحنا عليها، وهي «**المجاوزة**» أو «**غير القاصرة**»، وسمّاها قدامى القوم بـ« **المتعدية**»، وعُرّفت بقدرتها على تجاوز الفاعل إلى المفعول به بذواتها مباشرة، ودلّ عليها بأن يتصل بها صوت «الهاء» الذي تعود على غير المصدر: خالدٌ ضربَهُ محمّد. وأن يصاغ منها اسم المفعول التام البناء: (مضروبٌ).

تنهض هذه الفئة على ثلاثة محاور، بناء على مقدار النشاط الكامن في تركيبها الصوتي، الذي يحدد الوظيفة التي يسعى إليها التركيب الفونولوجي:

المحور الأوّل– الفئة ذات النشاط الصوتي (A).

المحور الثاني: الفئة ذات النشاط الصوتي (B).

المحور الثالث: الفئة ذات النشاط الصوتي (C).

يشكل أعضاء الفئة (A) النسبة الغالبة من مجموع الجذور العربيّة، التي تمتلك أصواتها نشاطاً وظيفياً طبيعاً. ومن خلال إحصائية جذور معجم الجيم، الذي يمثل تسجيلاً للصيغ العربية في القرن الثاني الهجري، تبين أنّه من مجموع جذوره البالغة (3599) جذراً، احتلت الجذور الثلاثية منها (2913) جذراً أو 80.93٪ . والرباعية (647) جذراً أو 17.97٪ والخماسية (39) جذراً أو 1.08٪ . لذا فإننا سنعتمد هذا الكم مقياساً استقرائياً(*) حينما نسجّل نسب تردد أعضاء الفئتين (B) و(C).

تمتلك أعضاء هذه الفئة قدرة تجاوزية لاسم واحد بعد فاعلها في تركيب الجملة الفعلية: كَتَبَ مُحمّد الدرسَ. ولذا فإن عددها بالقياس إلى الفئتين (B) و(C) يشكل (3565) جذراً أو 0.9905٪. وهي نسبة عالية وغالبة بالقياس إلى الفئتين الأخريتين.

أمّا الفئة (B) فإنّ أعضاءَها يمتلكون نشاطاً صوتياً أكثر، منحهم القدرة على التجاوز إعمالاً بعد الفاعل، إلى اسمين.

(*) سَجّل معجم تاج العروس (7597) جذراً توزعت بين الثلاثي (3216) والرباعي (4081) والخماسي (300). وهناك دراسة إحصائية أخرى للسان العرب.

يتوزّع أعضاء هذه الأسرة بين مجموعتين:

المجموعة الأولى– الصيغ الفعلية التي تتجاوز الفاعل إلى اسمين أصلهما مبتدأ وخبر داخل تركيب قواعدي؛ هي على ثلاثة ألوان:

1/1– **أفعال الرجحان:** ظنّ، خالَ، زعمَ، جعلَ، عدَّ، حجا، هب: «ظنّ خالدٌ محمّداً مسافراً.

1/2– **أفعال التحويل (الصيرورة):** صيَّر، حوّل، جعل، ردّ، ترك، تخذ، اتّخذ: «ترك الاعصار المدينة خراباً».

1/3– **أفعال اليقين:** رأى، علم، وجد، ألفى، درى، تَعَلَّمْ: «وجدت السَّفرَ مريحاً»

المجموعة الثانية– الصيغ الفعلية التي تتجاوز الفاعل إلى اسمين ليس أصلهما مبتدأ وخبر داخل تركيب قواعدي؛ وهي: أعطى، ألبس، منح، كسا، وهب، سألَ، أفهم: (أعطى الرجلُ السائلَ صَدَقةً).

وقد سجّل أعضاء هذه الفئة نسبة مئوية 03–7.502٪ .

أمّا أعضاء الفئة (C) فإنّهم يتميّزون بنشاط أكبر، يمتدّ إلى مساحة واسعة داخل التركيب القواعدي.

ولعلَّ هذا النشاط متأت من زيادة الكميّة الصوتية على بناء الصيغة، مما منحها القدرة على التجاوز إلى ثلاثة أسماء (مفاعيل) أصل الأول فاعل، وأمّا الثاني والثالث فأصلهما مبتدأ وخبر:

أرى، أعلم، أنبأ، نَبَّأ، أخبر، خَبَّر، حَدَّث:

(أعلم المهندسُ العمّالَ العملَ مفيداً).

وقد سجّلت هذه الفئة ما نسبته 04-8.335٪. ولعلّ صوت الهمزة الحنجريّة، وتضعيف الصوت ذاته، هما السبب الرئيسي في زيادة كمية هذا النشاط الوظيفي.(*)

وسنعرض إلى زيادة الكمية الصوتية ودلالات الصيغ الفعلية، بعد أن نفرغ من أبنية الوحدات الفعلية وتحوّلاتها.

ب- الفئة الخاملة، كما اصطلحنا عليها وهي **«القاصرة»** أو **«غير المجاوزة»**، وسمّاها قدامى القوم بـ**«اللازمة»** وعُرِّفت بأنها ما لم تتجاوز الفاعل، لعدم امتلاكها القوة، والنشاط، اللذان يمنحانها إمكانية الانزياح إلى فعل وظيفي آخر. لكنّ هذه الأفعال الخاملة قد تحقن بكمية صوتية، تمنحها القدرة الإيجابية على تجاوز الفاعل. وعلى سبيل المثال، لا الحصر، فإن الفعل القاصر «جَلَسَ» هو فعل إرادي لازم، بمجرّد دخول صوت الهمزة الحنجريّة على بنيته «ابتداءً» فإنّه يتحوّل إلى فعل غير إرادي متجاوز. وهي إحدى أنواع النبر القصدي أو الغرضي Aimed Stress.

جَلَسَ خالدٌ- أجْلَسَ خالدٌ مُحمّداً.

وتعدّ الهمزة -هنا- مورفيم نقلي (لاحق) متصل بالمورفيم المقيّد. ويعتبر صوت الهمزة، من أنواع المضادات الحيويّة Linguistics- Antibiotic التي تعطى للوحدة اللغويّة عند اللزوم.

(*) يعمل المصدر، واسم الفاعل، واسم المفعول، وصيغ المبالغة، واسم فعل الأمر، عمل الأفعال المتعدّية. وأمثلتها:
- إكرامُك الضيفَ فعْلٌ لطيفٌ. (المصدر)
- أنا العارفُ جزاءَكَ. (اسم فاعل)
- أممنوعٌ خالدٌ بعثةً دراسيةً . (اسم مفعول)
- الأبُ حَمّالُ أعباءَ أسرته . (صيغة مبالغة).
- دونك الطعام (اسم فعل أمر).

1/2/5 الوحدة الفعليّة حَسب الانتقال الصوتي الوظيفي (المعلوم والمجهول)

تتبوأ الأصوات الصائتة مركز الصدارة في حركة هذا النوع من الوحدات الفعلية، مما تتطلبه أبنية التراكيب القواعديّة، حيث توجّه قاعديّة الفعل الوظيفي، وتقود مساراته حسب أنواعها الثلاث (الفتحة– الكسرة– الضمّة). هذه الصوائت القصيرة (Short- vowels)، كما وصفها قدامى القوم، بأنّها أبعاض لحروف المد واللين (الألف، والواو، والياء)[13]. وقد سّجلت الفترة الزمنية لإنتاجها على جهاز Spectrograph بأنّها 300 cps. وتتميز بقدرتها النطقية المفتوحة Open Articulation، وخاصيتها التصويتية في الارتفاع، ودرجة الصوت pitch، بالإضافة إلى جهرها. وهذه الصفات ضرورية لها، لأنها لا يمكن أن تكتسب جانبها التمييزي، وتؤدي وظيفتها داخل البنى اللغويّة، إلاّ أن تكون مجهورة، وإلاّ فإنّها لا تعدو أن تكون زفيراً Expiration.

تعتمد هذه الصوائت على الصوامت، أثناء عملية الإجراء الوظيفي داخل الوحدة اللغويّة. وكما صرّح ابن جنّي: «إنّ الحرف كالمحل للحركة، وهي كالعَرَض فيه، فهي لذلك محتاجة إليه».[14]

وعلى أساس حركة الصوائت، وانتقالاتها الوظيفيّة، تصنّف الصيغ الفعلية إلى نوعين:

الأولى– مبني للفاعل– ويسمّى **«معلوماً»**، وهو ما ذكر معه فاعله: كَتَبَ خالدٌ الدرسَ.

---

(13) سرّ صناعة الإعراب (1/17-18).

(14) المرجع نفسه (السقا) (1/32)

الثاني -مبني للمفعول- ويسمّى «**مجهولاً**»، وهو ما حُذف فاعله وأُنيب غيره: كُتِبَ الدَّرسُ. وفي هذه الحالة يجب أن تغيّر صورة الصيغة الفعلية عن الأصل الذي وضعت عليه.

وقبل أن نبيّن صور هذه الانتقالات، وإجراءاتها، لا بدّ أن ننوه إلى أنّ الصيغة الفعلية لا تبنى للمفعول إلاّ إذا كانت (مُتعدية). أمّا إذا كانت لازمة، فإنه لا يمكن تحقيق ذلك معها إلاّ في حالات خاصّة (الظرف أو المصدر): سِير يوم الأحد، وُقِفَ أمام المدرس، جُلِس جلوسٌ طيِّب، فُرِح بقدوم خالد.

وهناك بعض الصيغ الفعلية وردت في اللغة على هيئة المبني للمجهول:

عُنِيَ خالدٌ بكتبك- اِهْتمَّ.

زُهِيَ علينا- تَكَبَّر.

فُلِجَ الراكبُ- أصابه الفالج.

حُمَّ المريض- اسْتحرَّ جسمه من الحمّى.

سُلَّ المُحبُّ- أصابه السل.

جُنَّ عقلُه- اِستتر.

غُمَّ الهلالُ- اِحتجبَ.

أُستُعجم الخَبرُ، وأُغْمِيَ عليه، شُدِهَ: دَهِشَ وتَحيَّر، وأُمْتُقِعَ أو أُمْتُفِعُ لونه: تَغَيَّر.

وهذه الصيغ لا تبارح المبني للمجهول، ما دامت في حالة لزوم، الوصف منها على مفعول، فأتوا على (فُعِل) بالضّم، وجعلوا المرفوع بعده فاعلاً.(15)

---

(15) شذا العرف (52).

وتنتشر على سطح العربية بُنى أخرى من باب عُني، لا حاجة لسردها للاكتفاء بما تقدَّم.

وفيما يأتي صور هذه الانتقالات الصوتية وتوجّهاتها الوظيفيّة في نماذج التحليل التالية:

تَعَلَّم ⟸ تَفَعَّلَ ⟸ تُعُلِّمَ

تَقَاتَلَ ⟸ تَفَاعَلَ ⟸ تُقُوتِلَ

اِسْتَنْتَجَ ⟸ اِسْتَفْعَلَ ⟸ أُسْتُنْتِجَ

اِخْتَارَ ⟸ اِفْتَعَلَ ⟸ أُخْتِيرَ

اِنطَلَقَ ⟸ اِنْفَعَلَ ⟸ أُنْطُلِقَ

سامَ ⟸ فَعَلَ ⟸ سِمْتُ – سامني المشتري

سُمْتُ – فاعل السَّوم.

باعَ ⟸ فَعَلَ ⟸ بُعْتُ – باعني سيِّدي.

بِعْتُ – فاعل البيع.

خاف ⟸ فَعَلَ ⟸ خُفْتُ – أخافني خالدٌ.

يَضْرِبُ ⟸ يَفْعَلُ ⟸ يُضْرَبُ.

يَرُدُّ ⟸ يَفْعَلُ ⟸ يُرَدُّ.

يَقُولُ ⟸ يَفْعَلُ ⟸ يُقَالُ.

صائت الفَتْح: a

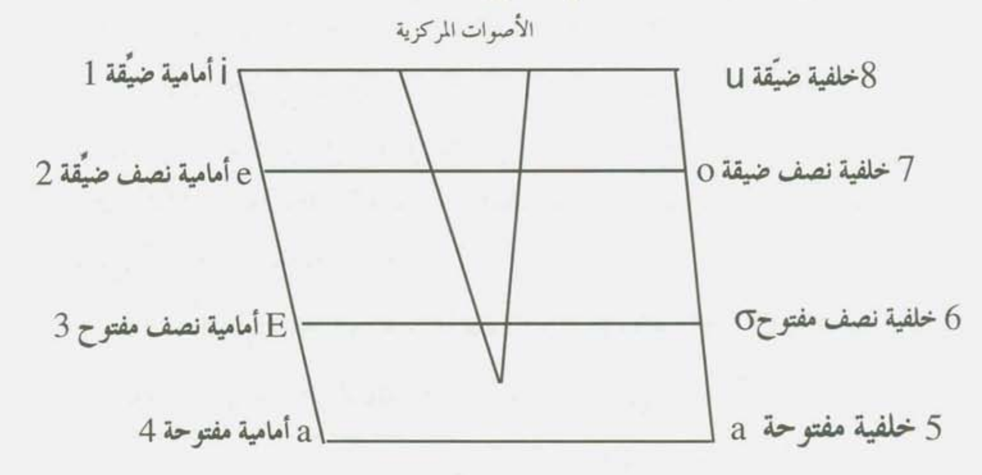
حركة متَّسعة، وصائت وسطي قصير، يكون اللسان معها مستوياً في قاع الفم، مع ارتفاع خفيف في وسطه، حيث يبقى الفم مفتوحاً بشكل متّسع، وحجرات الرنين فيه كبيرة، ووضع الشفتين مسطّحٌ منفرج.

صائت الكسر: i

حركة صيّقة، وصائت أمامي، يكون اللسان معها أقلّ ارتفاعاً على مقياس Daniel Jones المعياري Cardinal- vowels(*)، ومعها يرتفع مُقدّم اللسان تجاه الحنك الأعلى إلى أقصى حدّ ممكن، مع انفراج الشفتين.

صائت الضّم: u

حركة خلفية ضيِّقة، تتكون حين يصبح اللسان أثناء تحقيقها أقرب ما يمكن من الحنك اللين، واللهاة، وحجرة الرنين الفميّة مع وضع اللسان ضيِّقة جداً. أمّا الشفتان فتكونان مفتوحتين فتحاً خفيفاً، ومتقدمتين نحو الأمام بشكل مدوّر. والمخطط التالي يوضح توزيعها: (16)



بعد هذا الوصف يمكننا أن نضع صور التحليل الوظيفي وفق الآتي:

(*) يلاحظ الشكل التالي لوصف الصوائت القصيرة.

(16) الأصوات اللغوية (د. عبد القادر عبد الجليل) (209-210).

- تَعَلَّمَ- تُعُلِّمَ- كلا الصيغتين، مقطعياً، يتكون من

(R)3 + (B).

- يقع النبر فيهما على المقطع الثالث وهو نبر رئيسي:

$O^1 + O^2 + V^3 + O^4$

- لا يمكن لصائت الضم الذي يعلو صوت التاء أن يؤدّي وظيفته الدلاليّة والنظميّة مع صائت الفتح الثالث، إلاّ في حال تحويله إلى صائت الكسر، لأن كلا الصوتين يوصف بالضيق أثناء إنتاجه، وهذا التماثل الصوتي يسهل الحركة الانتقالية للسان أثناء النطق، وهي حين تنتقل إلى حركة الصامت الأخير، فإنّها تتحول إلى أمامية متسعة بنفس المتّجه الإنتاجي لها.

وعلى هذا الأساس استطاع الصائت القصير (الضَّم) أن يحقق وظيفته الصوتية عن طريق التوزيع المتماثل لصائتي الفتح والكسر، ويؤدّي غرض السياق الدلالي بنقل فاعل الصيغة من المعلومية إلى المجهولية، وهو أمر لا تستطيع الصوامت بنفسها تحقيقه.

تَقَاتَلَ... تُقُوتِلَ- كلا الصيغتين مقطعياً يتكون من (R)3 + (T)

- يقع النبر فيهما على المقطع الثالث وهو نبر رئيسي:

$O^1 + O^2 + V^3 + O^4$

- لا بدّ لحركة الضم على صوت التاء، وهي تؤدي فعلها الوظيفي أن تخلي المسرب إلى نهاية الصيغة، بما يتلائم مع جريانها، وأن توزع الصوائت وفق الصورة النطقية المُيسَّرة. فالصورة الأولى، لا غبار عليها، لأنّ (صوائت الفتح القصيرة الأربع وبينهما صائت الألف الطويل، هي من جنس واحد،

وحين استوجب البناء، في مبتدئه صائت الضَّم من أجل مجهولية الفاعل كان لا بدّ من التوافق والانسجام الصوتي، مما تطلّب (صائت الواو المدّي) لأنه معها من نفس النس ج، مع فارق الكمية الإنتاجية، وهو استبدال مقبول صوتياً، لأنه تحوّل من صائت طويل إلى آخر مثله في الصفة الصوتية (الجهر ودرجة الصوت). ولمّا وصل إلى الصامت التاء، كان لا بدّ من اجراء تغيير صوتي يتلائم معه من حيث درجته في السلّم المعياري، فكانت (الكسرة) حركة خلفية ضيّقة، إذن ضيقها مما يتلائم وصفته التي تلتقي هي الأخرى من جانب الموقع الأمامي مع (الفتحة)، الواقعة على صوت اللام المحكومة ببناء الزمن الماضي. وبهذا أمكنه تأدية وظيفته الصوتية، وتحقيق كميته الإنتاجية، وأداء فعله الدلالي. اِسْتَنْتَجَ– اُسْتُنْتِجَ– كلا الصغتين مقطعياً، يتكون من (R)3 + (H)

– يقع النبر فيهما على المقطع الثالث، وهو نبر رئيسي:

$O^1 + O^2 + V^3 + S^4$

– لا بدَّ لحركة الضم أن تتصدر الصامت الأوّل– وهو مما يجري عليه معيار القياس العربي، حين تبنى الصيغة للمجهول.

– ولكي نغذّ السير صوب النهاية المبنية، فإنّها لا بدّ وأن تحكم نسج التوافق الصوتي مع الصوائت الأخرى، وهي في طريقها إلى النهاية.

– وبما أنّ المقطع الأوّل من نوع (ع س)، والذي يليه من نوع (س ع س) الذي مثل مركز ثقل النبر القصدي Aimed Stress، فإنّ هذه الحركة المقطعية ضمّت أثناء تحقيقها تركيبين صفريين (0)، مما استوجب معها القطع الذي حقق لصائت الضّم استراحة قصيرة قبل مواصلة الرحلة، مع

تحقيق جانب التناسق الصوتي، لتبدأ الانتقال إلى المقطعين الصوتيين الآخرين. أما مقطع (جَ) فليس لها معه أية إعاقة صوتية، لأنّه مما يفرضه البناء القواعدي. أمّا المقطع (تِ)، ما قبل الأخير فقد أحدثت معه تغيّراً صوتياً انتقالياً، تتوافر معه صفة التناغم الصوتي، وتلتقي معه في حالين: صفة الموقعية المعياريّة بأن كلاً من (الكسرة) و(الضمة) صائت أمامي، وحالة البناء النظمي، الذي يقضي بفتح الصوت الأخير في بناء زمن الماضي. وهكذا تجري التغيّرات في منظومة البناء للمجهول.

باع- بِيعَ- بُعْتُ- بِعْتُ.

- في هذه الألوان الصيغية الأربعة، تجري المقاطع فيها وفق الآتي:

$(R) + (T) \Longrightarrow 2$

$(R) + (B) \longrightarrow 2$

- يقع النبر فيها على المقطع الثاني، وهو نبر رئيسي:

$O_1 + V_2$

- رويت هذه الصيغة بثلاثة احتمالات (إخلاص) الكسر، إخلاص الضم، الإشمام) وكلّها يتوافر فيها جانب الإيقاع والانسجام الصوتي. ومع إخلاص الكسر، يتطلب الأمر صائتاً طويلاً بدل الألف في (باع)، ولذا كانت (الياء المدّية) وهي الصائت الذي ينتج من تضعيف صائت الكسر، الملائمة في النسج الصوتي، ومن ثمّ كان (صائت) الفتح على المقطع الأخير، مما يتطلبه زمن الماضي البنائي. أمّا الصيغتان (بُعْتُ) و(بِعتُ) فإنّ الأولى منهما مبنية للمجهول ومسنده إلى (تاء) الفاعل المجهول: (باعني سيّدي) وصائت الضم هنا، لتحقيق فعل وظيفي آخر هو الوضوح وعدم اللبس (بفاعل البيع). وأمّا الثاني (بِعتُ) فإنّه مبني للمعلوم.

وهكذا تجري الصورة الصوتية في تحليلها للصيغ والبنى الصرفية الأخرى، مؤكدة القيمة الوظيفية للصوائت كمورفيمات مقيّدة، تمتلك القدرة على خلق صور صوتية للصيغ الفعلية، لتمارس أدوارها في تغذية متطلبات الفكر وهي تخدم مستويات الدلالة، وتسهم في ثراء الصيغ العربيّة التي يقدمها الاشتقاق عن طريق مبدأ تبادلية المواقع، وفق ضوابط ومقاييس العربيّة.

1/2/6 الوحدة الفعلية حسب كينونه المسار التوكيدي

يرافق التوكيد الوحدة الفعلية في زمنيها المضارع، والأمر، وفق حالات معينة. يمثّل كيان التوكيد، إحدى الوسائل الكلامية التي تقود النصّ إلى مرافئ الاقتناع والتصديق، وهي بمنزلة القسم.

ويأتي تحقيق هذا الجانب في الصيغ الفعلية، عبر زمني التكلّم والطلب من بوابة صوت النون اللثوي– الأنفي– المجهور المتوسط .(*) وهو أحد أفراد عائلة الأصوات الذلقية التي تضم أصوات (الراء، اللام، النون، الفاء، الباء، والميم) التي تتسم بشدة وضوحها السمعي، بالقياس إلى بقية الأصوات الصامتة. ويسميها بعض الأصوايتين– أشباه أصوات اللين Semi- vowels يتميز أفراد هذه العائلة بالخفّة، والسلاسة على اللسان. وينتمي النون – أيضاً – إلى عائلة الأصوات المتوسطة وهي «الراء»، والعين، واللام، والميم، والنون»، لما تتميز به من القوة الاسماعية العالية.

(*) لا تتصل بالفعل الماضي، ولا بأسماء الأفعال مطلقاً، ولا بغيرها من الاسماء والحروف. النحو الوافي (167/4).

وتوكيد المضارع والأمر بواسطة هذا الصوت اللثوي- الأنفي Alveolar- Consonants يأتي على هيئتين صوتيتين، ويقع في آخرهما:

1- **الأولى- نون مفردة الإنتاج الصوتي** ذات تركيب صفري (0)، وسمّاها قدامى القوم «نون التوكيد الخفيفة».

2- **الثانية- نون مزدوجة الإنتاج الصوتي** هي في حقيقتها صوت صامت طويل يساوي زمنه زمن صوتين اثنين (Double-Consonant)[17] ويسميها قدامى القوم «نون التوكيد الثقيلة». وينعكس هذا المتّجه الصوتي على الوظيفة الصوتية له، حيث يقوم بوظيفة صوتين في آن واحد.

وهما إحدى المورفيمات المقيّدة التي تؤكّد محتوى الدلالة وتنشّط مهمته. كما أنهما يخلصان المضارع للزمن المستقبل، ويقويان حالة الاستقبال في الصيغة الأمريّة.

وقد اجْتمعا في قوله تعالى:﴿لَيُسْجَنَنَّ ولَيَكُونَنْ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (يوسف/32).

نستعرض النماذج لنتبين مسيرة التوجّه الوظيفي لهذا المورفيم اللاحق لصيغتي المضارع والأمر:[18]

1- واللّه لأعملنْ الخير جهدي. (بصيغة مثبتة، مستقبلة للزمن، قبلها قسم واللّه لأجتنبنّ قولَ السوء. وقعت في جوابه، مصدّرة بلام الجواب).

2- إمّا تنصرَنْ ضعيفاً فإنّ اللّه ناصرُك. (الصيغة مسبوقة بـ إنْ الشرطية المدغمة في ما الزائدة).

---

(17) أسس علم اللغة (146)، دروس في علم أصوات العربية(25).

(18) النحو الوافي (172/4).

3- لِتحذرَنْ مديح نفسك. (الصيغة مسبوقة بأداة تفيد الأمر).

4- ولا تحسبنّ اللّه غافلاً عمّا يعملُ الظالمون.

5-هلاّ تَمُنّنْ بوعدٍ.

6- أتهجُرَنَّ خليلاً صانَ عهدكَ؟

وبعض الأحكام:

– **لا تقع بعد ألف الاثنين**– إلاّ بفاصل الصائت الطويل (الألف (اجْتنِبانٍّ).

– **لا تقع بعد نون النسوة**– إلاّ بفاصل الصائت الطويل (الألف):

لا تقصرنانٍّ– النون المضعّفة.

– لا تُهينَ الفقيرَ– مضارع مجزوم بلا الناهية– والفتحة على النون بديل النون الخفيفة المجزومة.

– اِحْذرَنْ قول السوء– اِحْذرا– (تقلب ألفاً عند الوقف– الخفيفة).

– لا تَهابُنْ– (تقلب صائتاً طويلاً (و) عند الوقف– تهابوا– الخفيفة).

– لا تحجِمِنْ– (تقلب صائتاً طويلاً (ي) عند الوقف– تحجمي– الخفيفة).

يظهر هذا الصوت الصامت –خلال النماذج– بصورتين:

– مفردة الإنتاج الصوتي– الخفيفة.

– مزدوجة الإنتاج الصوتي– المضعّفة (الثقيلة).

هاتان الصورتان أفادتا ظاهرة قواعدية هي «التوكيد»، الذي يلازم صيغ الفعل، لأنّها أحداث مقترنة بزمن، محكومة بظواهر اجتماعية.

ولعلّ السرّ الكامن وراء اختيار هذا الصوت اللثوي- الأنفي، لما يمتلكه من خاصيّة الجهر، والقوة الاسماعية العالية، و الإيقاع الموسيقي المصاحب لها أثناء النطق، فضلاً عن تمتعها بخاصية الوضوح السمعي، والخفّة على اللسان، ولإمكانية مدّها ما يولّد الفونيم فوق التركيبي (التنغيم) Intonation، وهذا يساعد على زيادة قدرتها التوكيدية، لتأدية مهام وظيفتها. وهذا الأمر لا يمكن أن يتأتى للأصوات الأخرى البديلة.

هذه النون تستوجب الازدواجية حين تكون مع ألف الاثنين، ولذا فإنّ كميتها الصوتية المفردة لا تكفي لأداء مهمتها الوظيفية. ويبدو أنّ اشتراط النحاة (النون المزدوجة) بعد ألف الاثنين وراءه سرّ مقطعي:

اِجْتَنِبْ + مورفيم التثنية + (ن) مفردة ⟸ اِجْتَنِبانْ

⟸ ع س + س ع + س ع + س ع ع س

حيث نلاحظ أنّ اسناد فعل الأمر إلى ألف الاثنين مع (النون المفردة) ولّد مقطعاً طويلاً، وهو ما تنفر منه العربية، وتحاول التخلّص منه، إلاّ في حالات الوقف، وهو ما سنعرض له في المبحث اللاحق، ولذا كانت (النون المزدوجة) طريقاً للتخلّص من هذا المقطع، وانشطاره إلى مقطعين من نوع (T) + (R) بدلاً من المقطع نوع (Z) . ولذا جاء قولهم صريحاً: «لا يصح مجيء الخفيفة، لأن المنع هو الأعم الأغلب في الكلام المأثور».[19]

ومع النون المزدوجة يسير التحوّل مقطعياً وفق الآتي:

اِجْتَنِبْ + ألف الاثنين + (ن) مزدوجة ⟸ اِجْتَنِبانِّ:

(19) النحو الوافي (179/4).

⟸ ع س + س ع + س ع + س ع ع + س ع

⟸ $O^1 + V^2 + O^3 + V^4 + S^5$

حيث يقع النبر الرئيسي على المقطع الثاني، بينما يأخذ كلّ من المقطع الرابع النبر الثانوي، والمقاطع (1, 3, 5) النبر الضعيف.

أمّا توكيد الصيغة الفعلية في حالة الاسناد إلى نون النسوة فتأخذ المسار التالي:

اِعْلَمْ + مورفيم جمع الإناث + ن (مفردة) ⟸ اِعْلَمانْ

ع س + س ع + س ع ع س

حيث تولّد مقطع طويل، وهو ما لا تميل إليه العربيّة، لذا كان وجود النون المضعّفة، مما يشطر المقطع، ويحوّله إلى مقطعين من نوع (v) وآخر من نوع (O):

⟸ ع س + س ع + س ع ع + س ع

⟸ $O^1 + V^2 + O^3 + S^4$

ويسجّل النبر الرئيسي على المقطع الثاني، ويأخذ المقطع الرابع النبر الثانوي، بينما الأوّل، والثالث يأخذان النبر الضعيف.

بقيت مسألة ذهب معها النحاة مذهباً غريباً، وهو الفعل المضارع المجزوم بـ(لا الناهية) والمؤكّد بصوت النون المفردة، حيث أنّها على مذهبهم تحذف لفظاً لا خطّاً، إذا وليها مباشرة (ساكن)، ولم يوقف عليها. معللين أن سبب حذفها هو الفرار من أن يتلاقى ساكنان في غير الموضع الذي يصح فيه تلاقيهما، وهو حالة الوقف[20]

(20) النحو الوافي (180/4).

ونعود مع «لا تُهينَ الفقيرَ» التي جاءت في بيت للأضبط بن قُريع الجاهلي:

ولا تُهينَ الفقير؛ علَّك أنْ تركعَ يوماً، والدهر قد رَفَعَه

والأصل: «لا تهينن» فحذفت «النون المفردة- الخفيفة» وبقي فتح ما قبلها.

لكن باستشارة البناء المقطعي، يتضح أنّ التحوّل بسبب طبيعة الائتلاف الفونيمي في المقطع:

تُهينْنْ ⟸ س ع + س ع ع + س س

لأنّ النون الأولى، هي نون الصيغة الفعلية المجزومة، والنون الثانية، هي النون المؤكّدة، وكلاهما ساكنانْ، مما نجم عنه المقطع «س س» الذي لا يرد في نسج العربيّة، لأنّه يتألف من بداية ونهاية خالية من المركز Peak أو النواة، ولذا فهو لا يمكن أن يشكّل خلية لغوية ولذا كان لا بّد من إجراء جراحة الادراج، من أجل التعديل الصوتي التكيّفي.

وبما أنّ (لام الفعل) يجب أن تبقى في أصل الصيغة، والتي يمثلها صوت النون الساكنة، وقد حُرّكت بصويت خفيف، حتى لا يؤدّي الأمر إلى فقدان الوظيفة النحوية، وعمل «لا الناهية» الجازم- والجزم هو القطع.

وعلى هذا فإنّ ما ذهب إليه النحاة يُعدُّ ضرباً من التعسّف على القاعدة النحويّة، حينما قالوا: بأن «لام الفعل» محرّكة بالفتحة، كدليل على «نون» التوكيد المحذوفة عند النطق.

والرأي، أنّ هذا «الصويت» يحمل،في الواقع سمة تنغيمية تتركز في

بعض ألوفونات (Allophones) صوت النون المفردة المؤكّدة. والدليل على أنها متى أشبعت، أي تكامل أعضاء أسرتها عادت نوناً: «تهيناً»، وهو تعبير انتقالي وليس صائتاً قصيراً متكاملاً، ويمثّل بعض كمية الهواء اللازمة لإنتاج صائت الفتحة، مقدراً بفترة زمنية، تقدر بـ (150 cps) مقاسة على جهاز Specrograph والبيان المقطعي التالي يوضّح ذلك:

تُهينْ + ـــَـ س ع + س ع ع + [س] ع

س ع + س ع ع + س ع ع

وهذا (الصويت allophone) له وظيفتان: الأولى لشطر المقطع الطويل «س ع ع س» وهو صيغة المضارع المجزومة، لأنه من المقاطع التي تنفر منهما العربية، إلاّ في حالات الوقف، وليس عندنا وقفْ، ليكون «س ع ع + [س]ع. ويسجل النبرفيه على المقطع الثاني.

والنماذج التالية لفرض مسائلة تكويناتها الصوتية، حين تصادفها رحلة الإسناد لضمائر الرفع البارزة:[21]

– تَفْهم + مورفيم التثنية + النون المزدوجة ⟵ تفهمانِنّ

⟸ تفهمانٍّ

---

(21) زيادة نون الرفع بعد «ألف الاثنين، واو الجماعة، ياء المخاطبة، لتكون علامة لرفع المضارع المعرب.

أما نون النسوة فالمضارع معها مبني على السكون دائماً؛ فلا توجد معها نون الرفع.

– ذكر نون التوكيد مشددة مفتوحة أو مخففة ساكنة في جميع الحالات، إلاّ مع ألف الاثنين ونون النسوة فيجب تشديدها وكسرها في الحالتين، كما يجب زيادة ألف فاصلة بين نون النسوة ونون التوكيد.

– النحو الوافي (198/4).

– أما فعل الأمر فلا فرق في الاسناد إلى الضمائر بينه وبين الفعل المضارع إلا من ناحية أن الأمر مبني دائماً، ولا تتصل بآخره نون رفع مطلقاً.

- تَفْهم + مورفيم جماعة الذكور + النون المزدوجة ⟵ تفهمونَنَّ
⟵ تفهمونَّ
⟵ تفهمنَّ

- تَفْهم + مورفيم ياء المخاطبة + النون المزدوجة ⟵ تَفْهَمينَنَّ
⟵ تَفْهَمِنَّ

- تَفْهم + مورفيم نون النسوة + النون المزدوجة ⟵ تَفْهَمْنانِّ
- تَرْضى + مورفيم التثنية + النون المزدوجة ⟵ تَرْضَيَانِنَّ
⟵ تَرْضَيانِّ

- تَرضى + مورفيم جماعة الذكور + النون المزدوجة ⟵ تَرْضَونَنَّ
⟵ تَرْضَوُنَّ

- تَرْضى + مورفيم ياء المخاطبة + النون المزدوجة ⟵ تَرْضَينَنَّ
⟵ تَرْضَيِنَّ
(الكسرة على ياء المخاطبة)
- تَرْضى + مورفيم نون النسوة + النون المزدوجة ⟵ تَرْضَيْنانِّ
- تَرْجُو + مورفيم التثنية + النون المزدوجة ⟵ تَرْجوانَنَّ
⟵ تَرْجُوانِّ

- تَرْجُو + مورفيم جماعة الذكور + النون المزدوجة ⟵ تَرْجُونَنَّ
⟵ تَرْجُنَّ

- تَرْجُو + مورفيم ياء المخاطبة + النون المزدوجة ⟵ تَرْجينَنَّ
⟵ تَرْجِنَّ

- ترجو + مورفيم نون النسوة + النون المزدوجة ⟸ تَرْجونانّ
- تجري + مورفيم التثنية + النون المزدوجة: ⟸ تَجْريانِنّ
⟸ جْريانّ
- تجري + مورفيم جماعة الذكور + النون المزدوجة ⟸ تَجْرونَنّ
⟸ تَجْرُنّ
- تجري + مورفيم ياء المخاطبة + النون المزدوجة ⟸ تجرينَنّ(*)
⟸ تجرِنّ
- تجري + مورفيم نون النسوة + النون المزدوجة ⟸ تجرينانّ

وتخضع النماذج السالفة لتحليلات المقطع، الذي نقف بواسطته على مجريات التحوّل بشكلها الصوتي الصحيح، بدلاً من تعسفات النحاة الافتراضيّة التي تغرق بها كتب النحو، كما هو متّبع في النماذج الممتحنة.

* تمثل الصيغة الأولى عند التوكيد، والثانية ما تصير إليه على رأي النحاة.

1/2/7 الوحدة الفعلية حسب عناصر التجرّد والزيادة الصوتية(•)

نظر الدرس النحوي والصرفي العربي القديم فيها فوجد أن الأبنية على صنفين: الأبنية الثلاثية التكوين الصوتي، والرباعية، وأنّ لكل منها بناء مجرداً أصواته أصلية لا يسقط منها صوت في تصاريف الوحدة اللغويّة بغير علّة. وبناء (مزيد): وهو ما زيد فيه صوت أو أكثر على بنائه الصوتي الأصلي.

ولكل من الثلاثي المجرد والمزيد وكذلك الرباعي، زمن ماضٍ ومضارعٍ وأمر.

1/2/7/1 الفعل الثلاثي المجرد:

توزعت أبنية الأفعال المجرّدة على أبواب سماعية ستّة، ذات أقيسة غير مطّردة، ينتظمها البيان التفصيلي المقطعي والنبري التالي:

الباب الأوّل: فَعَلَ- يَفْعُلُ: نَصَرَ- يَنْصُرُ

$(T) + (R)^2 \quad - (R)^3$

$O^1 + O^2 + V^3 \quad - O^1 + O^2 + O^3$

[في الصيغ ذات البناء الصوتي الصحيح]

أَمَرَ- يَأْمُرُ، ثَبَتَ- يَثْبُتُ،

قَعَدَ- يَقْعُدُ، كَتَبَ- يَكْتُبُ،

رَسَمَ- يَرْسُمُ، سَكَبَ- يَسْكُبُ،

أَخَذَ- يَأْخُذُ، بَرَأَ- يَبْرُؤُ.

(•) قياساً إلى الأبنية الاسميّة، فإنّ أبنية الأفعال تتسم بقلّتها.

[إذا لم تكن عين الفعل أو لامه صوتاً حلْقياً. وأصوات الحلق عند قدامى القوم هي: الهمزة– الهاء– الحاء– الخاء– العين– الغين]

فَسَقَ– يَفْسُقُ، عَرَشَ– يَعْرُشُ،

عَكَفَ– يَعْكُفُ، حَسَدَ– يَحْسُدُ،

حَشَدَ– يَحْشُدُ، نَفَرَ– يَنْفُرُ،

قَدَرَ– يَقْدُرُ، عَرَضَ– يَعْرُضُ.

[إذا كانت عين الفعل أو لامه صوت الواو– Long- vowel]

قالَ– يَقُولُ، عادَ– يَعُودُ،

زالَ– يَزُولُ، دامَ– يَدُومُ،

صامَ– يَصُومُ، غَزَا– يَغْزُو،

عَلاَ– يَعْلُو، عَدَا– يَعْدُو،

سَمَا– يَسْمُو، رَبَا– يَرْبُو،

دَعَا– يَدْعُو، نَمَا– يَنْمُو

الباب الثاني: فَعَلَ– يَفْعِلُ: ضَرَبَ– يَضْرِبُ

(T) + (R)2 - (R)3

O1 + O2 + V3 - O1 + O2 + O3

[في الصيغ ذات البناء الصوتي الصحيح]

جَلَسَ– يَجْلِسُ، كَسَرَ– يَكْسِرُ،

الباب الثالث: فَعَلَ- يَفْعُلُ: فَتَحَ - يَفْتَحُ

(T) + (R)2 - (R)3

O1 + O2 + V3 - O1 + O2 + O3

[إذا كانت أصواته صحيحة]

ذَهَبَ- يَذْهَبُ، سَأَلَ- يَسْأَلُ،

قَرَأَ- يَقْرَأُ، سَحَبَ- يَسْحَبُ،

شَغَلَ- يَشْغَلُ، سَلَخَ- يَسْلَخُ،

مَنَعَ- يَمْنَعُ، قَهَرَ- يَقْهَرُ

أَلَهَ- يَأْلَهُ، سَبَعَ- يَسْبَعُ،

مَنَحَ- يَمْنَحُ، صَنَعَ- يَصْنَعُ،

ثَأَرَ- يثأرُ، بَدَأَ- يَبْدَأُ،

[إذا كانت فاء الصيغة، وعينها ولامها أحد الأصوات الانتقالية (Semi- Consonants) **أو أحد الأصوات الصائتة الطويلة** Long- Vowels]

وَضَعَ- يَضَعُ، وَهَلَ- يَوْهَلُ،

سَعَى- يَسْعَى، يَفَعَ- يَيْفَعُ،

يَنَعَ- يَيْنَعُ، وَدَعَ- يَدَعُ،

وَرَأَ- يَرَأُ، وَلَعَ- يَلَعُ.

[وذهب قدامى القوم أنّ هذا البناء [قياسياً] لا ينهض: «إلاّ حيث تكون

[إذا لم تكن عين الفعل أو لامه صوتاً حلْقياً. وأصوات الحلق عند قدامى القوم هي: الهمزة- الهاء- الحاء- الخاء- العين- الغين]

فَسَقَ- يَفْسُقُ، عَرَشَ- يَعْرُشُ،

عَكَفَ- يَعْكُفُ، حَسَدَ- يَحْسُدُ،

حَشَدَ- يَحْشُدُ، نَفَرَ- يَنْفُرُ،

قَدَرَ- يَقْدُرُ، عَرَضَ- يَعْرُضُ.

[إذا كانت عين الفعل أو لامه صوت الواو- Long- vowel]

قالَ- يَقُولُ، عادَ- يَعُودُ،

زالَ- يَزُولُ، دامَ- يَدُومُ،

صامَ- يَصُومُ، غَزَا- يَغْزُو،

عَلاَ- يَعْلُو، عَدَا- يَعْدُو،

سَمَا- يَسْمُو، رَبَا- يَرْبُو،

دَعَا- يَدْعُو، نَمَا- يَنْمُو

الباب الثاني: فَعَلَ- يَفْعِلُ: ضَرَبَ- يَضْرِبُ

(T) + (R)2 - (R)3

O1 + O2 + V3 - O1 + O2 + O3

[في الصيغ ذات البناء الصوتي الصحيح]

جَلَسَ- يَجْلِسُ، كَسَرَ- يَكْسِرُ،

هَنَأَ- يَهْنِيءُ، رَجَعَ- يَرْجِعُ،
عَفَّ- يَعِفُّ، خَفَّ: يَخِفُّ،
قَلَّ- يَقِلُّ، فَرَّ- يَفِرُّ

[إذا كانت فاء الصيغة وعينها ولامها، أحد الأصوات الصائتة الطويلة Long- vowel أو أحد الأصوات الانتقالية Semi- Consonants]

وَعَدَ- يَعِدُ، وَجَدَ- يَجِدُ،
وَزَنَ- يَزِنُ، وَقَفَ- يَقِفُ،
وَصَلَ- يَصِلُ، وَلَدَ- يَلِدُ،
وَجَبَ- يَجِبُ، وَثَبَ- يَثِب،
وَقَى- يَقِي، طَوَى- يَطْوِي،
أتَى- يأْتِي، أوَى- يَأْوِي،
قَضَى- يَقْضِي، وَهَبَ- يَهِبُ،
حَادَ- يَحِيدُ، سَارَ- يَسِيرُ،
مَالَ- يَمِيلُ، رَوَى- يروي،
دَرَى- يَدْرِي، بَنَى- يَبْنِي،
يَمَنَ- يَيْمنُ، هَدَى- يَهْدِي،
يَتَمَ- يَيْتِمُ، يَسَرَ- يَيْسِرُ،

الباب الثالث: فَعَلَ- يَفْعُلُ: فَتَحَ - يَفْتحُ

- (R)³ (T) + (R)²

$O^1 + O^2 + V^3$ - $O^1 + O^2 + O^3$

[إذا كانت أصواته صحيحة]

ذَهَبَ- يَذْهَبُ، سَأَلَ- يَسْأَلُ،

قَرأَ- يَقْرأُ، سَحَبَ- يَسْحَبُ،

شَغَلَ- يَشْغَلُ، سَلَخَ- يَسْلَخُ،

مَنَعَ- يَمْنَعُ، قَهَرَ- يَقْهَرُ

أَلَهَ- يَأْلَهُ، سَبَعَ- يَسْبَعُ،

مَنَحَ- يَمْنَحُ، صَنَعَ- يَصْنَعُ،

ثَأَرَ- يثْأَرُ، بَدَأَ- يَبْدَأُ،

[**إذا كانت فاء الصيغة، وعينها ولامها أحد الأصوات الانتقالية** (Semi- Consonants) **أو أحد الأصوات الصائتة الطويلة** -Long Vowels]

وَضَعَ- يَضَعُ، وَهَلَ- يَوْهَلُ،

سَعَى- يَسْعَى، يَفَعَ- يَيْفَعُ،

يَنَعَ- يَيْنَعُ، وَدَعَ- يَدَعُ،

وَرَأَ- يَرَأُ، وَلَعَ- يَلَعُ.

[وذهب قدامى القوم أنّ هذا البناء [قياسياً] لا ينهض: «إلاّ حيث تكون

عين الفعل أو لامه حرفاً من أحرف الحلق الستة» [22] وهي: الهمزة– الهاء– العين– الحاء– العين– الخاء.

الباب الرابع: فَعِلَ– يَفْعُلُ: فَرِحَ– يَفْرَحُ

(T) + (R)2 - (R)3

O1 + O2 + V3 - O1 + O2 + O3

قيّدَ صاحب الشافية قائلاً: «إنّ فَعِلَ لازمة أكثر من متعدية، والغالب في وضعه أن يكون للأعراض من الوجع وما يجري مجراه.. ويكثر في هذا الباب الألوان والحلي...»[23] وقال الحملاوي: «ويأتي من هذا الباب الأفعال الدالة على الفرح وتوابعه، والامتلاء والخُلْو، والألوان والعيوب والخِلق الظاهرة، التي تذكر لتحلية الإنسان في الغزل...» [24]

[في الصيغ ذات البناء الصوتي الصحيح]

فَرِحَ– يَفْرَحُ، عَلِمَ– يَعْلَمُ، حَزِنَ– يَحْزَنُ

نَكِدَ– يَنْكَدُ، شكِسَ– يَشْكَسُ، كَدِرَ– يَكْدَرُ

شَهِبَ– يَشْهَبُ، صَلِعَ– يَصْلَعُ، هَضِمَ– يَهْضَمُ

حَمِرَ– يَحْمَرُ، عَلِمَ– يَعْلَمُ، طَرِبَ– يَطْرَبُ،

كَحِلَ– يَكْحَلُ، جَذِلَ– يَجْذَلُ،

عَرِجَ– يَعْرَجُ، شَبِعَ– يَشْبَعُ،

فَرِغَ – يَفْرَغُ، عَطِشَ– يَعْطَشُ،

سَأِمَ– يَسْأَمُ، صَدِئَ– يَصْدَأُ

---

(22) شرح ابن عقيل (267-266/4).

(23) شرح الشافية (72/1).

(24) شذا العرف (31).

[**إذا كانت فاء الصيغة، وعينها ولامها، أحد الأصوات الانتقالية (Semi- Consonants)، أو أحد الأصوات الصائتة الطويلة Long- vowels**].

وَجِلَ- يَوْجَلُ، عَوِرَ- يَعْوَرُ،
حَوِرَ- يَحْوَرُ، سَوِدَ- يَسْوَدُ،
يَبِسَ- يَيْبَسُ، يَدِيَ- يَيْدَى،
يَسِرَ- يَيْسَرُ، يَقِظَ- يَيْقَظُ،
هَابَ- يَهَابُ، رَضِيَ- يَرْضَى،
قَوِيَ- يَقْوى، هَيِفَ- يَهْيَفُ،
صَدِيَ، يَصْدَى، لَمِيَ- يَلْمَى،
نَامَ- يَنَامُ، نَسِيَ- يَنْسَى.

الباب الخامس: فَعُلَ- يَفْعُلُ: شَرُفَ- يَشْرُفُ

$(T) + (R)^2$ $- (R)^3$

$O^1 + O^2 + V^3 \quad - O^1 + O^2 + O^3$

يرى صاحب الشافية أنّ أفعال هذا الباب في الأعم الأغلب للدلالة على الغرائز؛ أي الأوصاف المخلوقة، كالحُسْن، والقُبْح، والوسامة، والقسامة، والكبر، والصغر، والطول، والقصر، والغلظ، والسهولة، والصعوبة، والسرعة، البطء، والثقل، والحلم، والرفق، وما يجري مجراها. وهذا النوع من الأفعال لا يأتي إلاّ «لازماً»، لأن الغريزة لازمة لصاحبها ولا تتعداه.

كما أنّه لا يدخل من هذا الباب الأجوف اليائي، ولا الناقص اليائي، وذلك لعلّة أن مضارع «فَعُلَ» «يَفْعُلُ» بالضم لا غير.(25)

[في الصيغ ذات البناء الصوتي الصحيح]

كَرُمَ- يَكْرُمُ، حَسُنَ- يَحْسُنُ،

أَسُلَ- يَأْسُلُ، شَرُفَ- يَشْرُفُ،

حَلُمَ- يَحْلُمُ، كَرُمَ- يَكْرُمُ،

فَحُشَ- يَفْحُشُ، عَظُمَ- يَعْظُمُ،

فَصُحَ- يَفْصُحُ، خَبُثَ- يَخْبُثُ،

كَشُفَ- يَكْشُفُ، لَؤُمَ- يَلؤُمُ،

[إذا كانت فاء الصيغة أحد الأصوات الانتقالية (Semi- Consonants)]

وَسُمَ- يَوْسُمُ، وَجُهَ- يَوْجُهُ،

وَدُعَ- يَوْدُعُ، وَجُلَ- يَوْجُلُ،

وَرُعَ- يَوْرُعُ، وَسُعَ- يَوْسُعُ،

وَشُكَ- يَوْشُكُ، وَضُعَ- يَوْضُعُ،

يَسُرَ- يَيْسُرُ، يَمُنَ- يَيْمُنُ،

سَرُوَ- يَسْرُو.

---

(25) شرح الشافية (74/1)، شذا العرف (31).

الباب السادس: فَعِلَ- يَفْعِلُ: حَسِبَ- يَحْسِبُ

$(T) + (R)^2 \quad - (R)^3$

$O^1 + O^2 + V^3 \quad - O^1 + O^2 + O^3$

ومضارع هذا البناء ذو بناء مزدوج، وهو ما وضح بيانه في صيغة الماضي في الباب الثاني، وفي صيغة المضارع في الباب الرابع.

حَسِبَ- يَحْسِبُ، نَعِمَ- يَنْعِمُ،
وَرِمَ- يَرِمُ، وَرِثَ- يَرِثُ،
وثِقَ- يَثِقُ، وَفِقَ- يَفِقُ،
وَلِيَ- يَلِيَ، يَبِسَ- يَيْبِسُ.

هذا الذي أوردناه في بعضه لا يمثّل الصيغ القياسية المطّردة، فقد تتداخل أبنية الصيغ، بفعل نظرية العرب الصرفية، التي اعتمدت في أصولها على السماع، الذي جعل القواعد تئنّ من الاضطراب والتداخل. ويمكننا أن نسجِّل المؤشّرات التالية:

1- اعتماد النظرية العربية على مبدأ السماع، أدّى بالصرف العربي إلى التعقيد، والاضطراب، والغموض بسبب الكثير من الصيغ الشاذة التي لم تخضع للقاعدة القياسيّة.

2- لم تقم نظرية الصرف العربي موازنة بين حركة (الصوائت) القصيرة والطويلة، ودلالات الصيغ الفعلية، وهل أنّ (فاء) الفعل أو (عينه) أو (لامه) أصوات صحيحة، أو أصوات انتقالية، بتشكيلاتها الصوتية، وبما تحمله من قيم تمييزية بين المعاني، ووراء ظاهرة تباين دلالات التراكيب المتماثلة؟(*)

(*) حَسِبَ- يَحْسُبُ،حَسِبَ- يَحْسَبُ، يَحْسِبُ- والأولى، عدُّ المال وتدبُّرُ الأمرَ والثانية ، اعتبره وظَنَّه

3- ما سرُّ هذا التغيّر في حركة (الصوائت) لبعض الصيغ الفعلية: [وَثِقَ- يَثِقُ، وثُقَ- يوثُقُ، يبِسَ- ييْبَسُ، وتداخل (فَعِلَ- يَفْعِلُ) مع فَعِلَ- يَفْعُلُ، يَنْعُمُ، ينْكُلُ، يَفْضُلُ) وكذلك بين يَفْعِلُ- ويَفْعَلُ، يَغِرُ- يوْغَرُ، يَنْعِمُ، ييئِس وييْأَسُ، ومنه الزاد الوفير.

4- هل لهذه الصوائت أن تذوب أو تتلاشى فاسة المجال الصوتي لصائت آخر، دون نداء صوتي آخر يقوم على التماثل الموقعي والبيان الدلالي، والقيمة الوظيفية؟.

5-هل أنّ الاضطراب والخلط الذي رافق جانباً من النظرية الصرفيّة العربيّة بسبب الإخفاق في حروف العلة، حين عدّوها ثلاثة، وهي في حقيقتها (اثنان) -الواو- والياء باعتبارهما Semi- vowel (Semi- Consonant) -نصف حركة- نصف صامت. لأنّ صوت الألف هو صائت طويل لا يمتلك إلاّ جزءاً من سمات (الواو والياء)، ذلك عندما تقومان بدور (الصائت الطويل Long-vowe) فهذه الألف لا تقوم بدور الحرف (الصوائت- القصيرة- الطويلة) بناءً على الأولوية في (عين الفعل- أو لامه- أو فائه) (ماضٍ)، كان أم (مضارع)، أم (أمر)؟.

6- هل أنّ سبب هذا الاضطراب المنهج الاستقرائي- الوصفي، الذي قامت عليه النظرية اللغوية العربية، حين توفّرت على نصوص من لهجات قبائل متعددة، وكان نتاجها هذا الكم المتداخل من ضروب الابدال السماعي؟

7- هل أن الإخفاق بسبب اعتماد النظرية العربية على جوانب الرسم المكتوب، واهمالها جوانبه المنطوقة، ظنّاً منهم، على رأي ابن خلدون

«وحسبوا أنّ الخط كمال... وطلبوا تعليل ما خالف الإجادة من رسمه، وذلك ليس بصحيح». [26]

8- ما هو سرّ التأثيرات المتبادلة بين الأصوات الحلقية (Pharyngal Consonants) والأصوات الانتقالية والصائتة؟ وهل أنّ صيغة كسر حرف المضارعة التي تسربت لبعض الصيغ أدّت إلى هذا التداخل عن طريق الاتباع الصوتي؟

يبدو أنّ أبنية الأفعال، التي جاءت متباينة في لهجات القبائل العربيّة، كان بسبب العادات النطقية الصوتية لهذه القبائل، التي وجّهت البنى صوب مرافيء قوانين اختزال الجهد، ونسب التسارع، والسهولة واليسر. وقد وفّر هذا لها تربة خصبة وسط التراكيب العربية: تميم تقول: بضم عين المضارع في (يبطُش) وأهل الحجاز بكسرها. و(يركن) بفتح عين المضارع عند الحجازيين وضمّها عند تميم، وهكذا يستمرّ الحال مع هاتين القبيلتين، وقبائل أخرى.

9- لم يقم الدرس الصرفي القديم، وهو يتعرض للبنية العربية، دراسة وافية للأصوات الصائتة، وعلاقاتها بعضها مع البعض وتسجيل وظائفها الصوتية، لأنها في نظره توابع للحروف، وأنّها لا توجد إلاّ بوجود الحرف، وهي نظرة قاصرة أدّت إلى هذا التراكم التعقيدي.

10- هل أدركت النظرية الصرفية العربية حركة التبادل بين الصوامت والصوائت، الذي قد يفسّر لنا جانباً من الصيغ الفعلية للوحدات اللغوية؟.

---

(26) مقدمة ابن خلدون(467-468) .

11- إذا كان أساس الإيقاع العربي، هو توالي الصوائت القصيرة، والطويلة في بناء الكلمة، لأنّه إيقاع كميّ، فهل استطاعت النظرية الصرفية العربية أن تتعرض لظاهرة المقطع، باعتبارها من الظواهر الصوتية التي تفسّر لنا كثير من حالات التحوّل في الصيغ اللغويّة؟.

كذلك هل استطاعت النظرية الصرفية أن توضح معالم النظام الموقعي للأصوات، أعني ظاهرة مرتبة الصائت من الصوت؟.

وسنخلص إلى مناقشة هذه البيانات بعد أن نفرغ من أبنية الوحدات الفعلية وتحوّلاتها، ونعرض لمسائلتها، ونمتحن جوانبها التصريفية.

1/2/7/2 الفعل الثلاثي المزيد:

تزاد على الوحدة الفعلية الثلاثية البناء، أصوات لتؤدي أغراضاً ووظائف دلالية، غايتها إثراء متن اللغة، وجعله مواكباً لحاجات الفكر وأغراضه المتعددة، ومعها تحافظ اللغة على تنوّعاتها التمييزية. تتوزّع هذه الزيادة على ثلاث فئات:

الفئة الأولى– ما زيد فيه صوت واحد، وهو على ثلاثة أوزان:

أ– **أَفْعَلَ**: أَكْرَمَ، أَعْطَى، أَقَامَ، آمَنَ، أَوْلَى، أَقَرَّ، أَخْرَجَ، أَوْصَى، أَحْسَنَ، أعانَ، أَوْصَلَ.

ب– **فَعَّلَ**: كَرَّمَ، فَهَّمَ، وَلَّى، زَكّى، عَلَّمَ، هَذَّبَ، فَرَّحَ، بَرَّأَ.

جـ– **فاعَلَ**: قاتَلَ، شارَكَ، كاتَبَ، ناضَلَ، آخَذَ، والى، عاوَنَ.

[وقد أنتجت هذه الصيغ بزيادة صوت الهمزة الحنجرية، وتضعيف العين، وزيادة الصائت الطويل (الألف). أي أنّ الزيادة جاءت بنسبة ٢:١ بالنسبة للصوامت والصوائت الطويلة].

الفئة الثانية: ما زيد فيه صوتان، وهو على خمسة أوزان:

أ- **انْفَعَلَ**: انْخَدَعَ، انْكَسَرَ، انْشَقَّ، انْقادَ، انْمَحَى، انْدَثَرَ، انْهارَ، انْقَضَى.

ب- **افْتَعَلَ**: اجْتَمَعَ، احْتارَ، ادَّعَى، اتَّصَلَ، اتَّقَى، اصْطَبَرَ، اضْطَرَبَ، احْتَدَمَ، افْتَخَرَ، احْتَسَبَ.

جـ- **افْعَلَّ**: احْمَرَّ، اصْفَرَّ، ابْيَضَّ، اسْوَدَّ، اعْوَرَّ، ارْفَضَّ، ارْعَوَى، اخْضَلَّ.

د- **تَفَعَّلَ**: تَعَلَّمَ، تَزَكَّى، تَذَكَّرَ، تَطَهَّرَ، تَكَبَّرَ، تَرَحَّمَ، تَفَهَّمَ، تَأَلَّمَ، تَوَلَّى.

هـ- **تَفاعَلَ**: تَباعَدَ، تَشاوَرَ، تَبارَكَ، تَعالَى، تَثاقَلَ، تَدارَكَ، تَشاجَرَ، تَناوَمَ، تَفانَى.

[وقد أُنتجت هذه الصيغ بزيادة الأصوات: صائت الإيصال، النون، التاء (التي قد تبدل بصوتي الدال أو الطاء)، تضعيف لام الكلمة، تضعيف العين، الصائت الطويل (الألف).

الفئة الثالثة: ما زيد فيه ثلاثة أصوات، وهو على أربعة أوزان:

أ- **اسْتَفْعَلَ**: اسْتَخْرَجَ، اسْتَقامَ، اسْتَفْهَمَ، اسْتَغْفَرَ، اسْتَمَدَّ، اسْتَرْضَى، اسْتَعْلَمَ، اسْتَنْجَدَ، اسْتَعاذَ، اسْتَلانَ، اسْتَوْزَرَ، اسْتَغْنَى، اسْتَقَلَّ، اسْتَحَمَّ.

ب- **افْعَوْعَلَ**: اغْدَوْدَنَ، اخْشَوْشَنَ، اعْشَوْشَبَ، احْدَوْدَبَ، اغْرَوْرَقَ، اخْلَوْلَقَ، احْلَوْلَى.

جـ- **افْعَالّ**: اِخْضَارَّ، اِشْهَابَّ، اِدْهامَّ، اِبْيَاضَّ، اِسْوَادَّ، اِملاسَّ، اِحْمَارَّ.

د- **افْعَوَّلَ**: اِعْلَوَّطَ، اِجْلَوَّذَ، اِخْرَوَّطَ.

[وقد أنتجت هذه الصيغ بزيادة الأصوات: التاء، السين، تكرير العين، تكرير اللام، من الصوامت، والواو الانتقالية (المزدوجة) ثمّ الألف (الصائت الطويل)].

1/2/7/3 **الفعل الرباعي المجرَّد**:

للفعل الرباعي المجرَّد وزن واحد هو (فَعْلَلَ):

بَعْثَرَ، زَلْزَلَ، دَحْرَجَ، عَسْكَرَ، زَخْرَفَ، دَرْبَخَ.

ولكنّ العرب مالوا إلى استحداث صيغ عن طريق تصاهر الدلائل، وأطلقوا عليه [النحت Coinage]، وهو ضرب من الاشتقاق العام، له أكثر من جذر، وليس اشتقاقاً تصريفياً، لأنّ معايير الصرف وفق رؤية النظرية الصرفية العربيّة لا تجيز اِشتقاق كلمة من كلمتين فأكثر، لعدم وجود قاعدة يحتكمون إليها. وسمّاه البعض من متقدمي القوم «الاشتقاق الكُبّار». وهو عند ابن فارس: «جنس من الاِختصار».[27]

ولا تنفرد العربية لوحدها بهذا الجنس من التلاقح، فإنّ للغات الأخرى شأن كبير معه. وفي الإنجليزيّة جوانب متعددة تصاغ بها الكلمات الجديدة:

---

(27) التنوعات اللغوية 401-409 .

إضافة لاحقة Man + ly ⟹ Manly

إضافة سابقة Un + true ⟹ Untrue

إضافة لاحقة وسابقة Dis + taste + ful ⟹ Distasteful

وعن طريق التركيب Compounding:

Book + Case ⟹ Book- Case.

Sea + man ⟹ Seaman.

Wall + paper ⟹ Wallpaper.

وعن طريق النحت الارتجاعي Back- formation

Pop ⟹ Popular

وعن طريق الرموز الاختزالية:

Unesco ⟹ United Nation Educational Scientific and Cultural Organization.

وعن طريق الاجتزاء Partial

Brakfast + Lunch ⟹ Brunch

Clukle + snort ⟹ Chortle

Motor + Hotel ⟹ Motel

وقد نحتت العربية من تراكيب يكثر استعمالها: وخاصة في العصر الإسلامي، حيث اشتهرت فيه تصاهرية الألفاظ الإسلامية. حيث وردت إلينا

بعض الصيغ مختصرة من عبارات الدعاء، والشعائر، عن طريق التلاقح، وكلّها على وزن (فَعْلَلَ)؛ وهو على أنواع أربعة:

أ- التصاهر النسبي ⟵ عَبْشَمَ، عَبْدَ، يَتْمَلَ، عَبْقَسَ، وكلها للنسبة تضاف لها الياء)، وهو وليد مرحلة ما قبل الإسلام.

ب- التصاهر الفعلي ⟵ حَوْقَلَ: [لا حول ولا قوة إلاّ باللّه].

جَعْفَلَ: [جُعلت فداك].

حَمْدَلَ: [الحمد للّه].

بَسْمَلَ: [بسم اللّه الرحمن الرحيم].

دَمْعَزَ: [أدام اللّه عِزَّك].

طَلْبَقَ: [أطال اللّه بَقاءَك].

حَيْعَلَ: [حي على الصلاة- الفلاح].

وهذه الأفعال لا يقاس عليها.

جـ- التصاهر الاسمي ⟵ جَلْمَدَ (جَمَدَ + جَلَدَ)، هَبْرَقَ (هَبَرَ + بَرَقَ).

ومنها الاسماء: جلمود، الهبرق

د- التصاهر الوصفي ⟵ الهِجْرِع (هَرَعَ + هَجَعَ)، ضِبْطَر (ضَبَطَ + ضَبَرَ) ومنها الأفعال:

هَجْرَعَ، ضَبْطَرَ.

وهناك بعض الأوزان الصرفية الحقتها العربيّة بوزن (فَعْلَلَ):

١- **فَيْعَلَ** ⟸ بَيْطَرَ.

٢- **فَعْلَلَ** ⟸ جَلْبَبَ، ضربْبَ.

٣- فَوْعَلَ ⟸ جَوْرَبَ، حَوْقَلَ (وهي من الحَقْلَة- وفي الرجل الهرم والضعف)- وهي ليست من الفعل المنحوت:

يا قوم قد حوقَلْتُ أو دَنوتُ　　　وبعضُ حِيقال الرجال الموتُ.

٤- **فَعْوَلَ** ⟸ جَهْوَرَ.

٥- **فَعْنَلَ** ⟸ قَلْنَسَ.

٦- **فَعْلَى** ⟸ سَلْقَى، إذا استلقى على ظهره.

وهناك صيغ أخرى وما أحسبها إلاّ من شواذ اللهجات.

1/2/7/4 الفعل الرباعي المزيد:

للفعل الرباعي المزيد معياران:

الأوّل- ما زيد فيه صوت واحد، وله وزن واحد، وهو (تَفَعْلَلَ)- تَدَحْرَجَ، تَجَلْبَبَ. ويلحق به أوزان عدّة:

تَفَعْوَلَ ⟸ تَرَهْوَكَ.

تَفَيْعَلَ ⟸ تَشَيْطَنَ

تَفَوْعَلَ ⟸ تَجَوْرَبَ

تَمَفْعَلَ ⟸ تَمَسْكَنَ.

تفاعَلَ ⟸ تغافَلَ.

تَفَعَّلَ ⟸ تكرَّمَ.

الثاني: ما زيد فيه صوتان، وله وزنان:

اِفْعَنْلَلَ ⟸ اِحْرَنْجَمَ

اِفْعَلَّلَ ⟸ اِقْشَعَرَّ، اِطْمَأَنَّ، اِكْفَهَرَّ

1/2/8زيادة الكميّة الصّوتية ودلالات الصيغ الفعلية

بغية إثراء متن اللغة، وجعلها تستوعب صنوف الدلالات، لتساير متطلبات الفكر، وقفت النظرية الصرفية العربيّة أمام هذه الظاهرة، وراحت تسبر الأغوار، وتغوض إلى عمق البنية، وهي تمتحن الجذر المعجمي (ف + ع + ل) وما يمكن أن يحتمله من الاشتقاق، عن طريق الإضافة الصوتية؛ وكان أن نتج من هذه العملية التزاوجيّة صيغ بلغت أوزانها (13) وزناً، وقد شكّلت نسبة كبيرة منها المعيار القياسي المطّرد.

وتعتبر هذه الصيغ، في أبنيتها القائمة على زيادة الكمية الصوتية، من خصائص العربية، ذات الأهمية في الميدان اللغوي، بدلالتها على الإيجاز والاختزال، في المفردات والتراكيب؛ وهذا ما سنتحاور معه عند إيراد هذه الصيغ. وهذه المزايا مما خلت منه غالبية اللغات، لافتقارها إلى هذه المرونة في عملية التحوّل الانتقالي، وعدم قدرة أصواتها على تحمل أعباء المسؤولية الوظيفية.

إنّ هذه الزيادة في الكميّة الصوتية تشكل ما يمكن أن نطلق عليه «**القرائن الصرفية الدلالية**»، أو **المورفيمات** (Morpheme)، التي توصف بأنّها عناصر صرفية صغرى، ذات قيم تمييزية تكمن في الوظائف التي تؤدّيها.

هذه الملحقات الصرفية، التي يعبّر عنها المورفيم باعتباره علامة (Sign)، تتوزع على ثلاثة أنواع:

أ- **السوابق** -Prefixes

ب- **الدواخل** -Infixes

جـ- **اللواحق** -Suffixes

تؤدي هذه الزيادات الصوتية إلى استيعاب دلالات جديدة، وعلى حدّ قول ابن جنّي: «إنّ زيادة المبنى تدلّ على زيادة المعنى[28].

وعلى هذا يبنى السياق الصرفي Morphological Context من الدلالة الوظيفية للصيغة+ الدلالة الوظيفية للكمية الصوتية المضافة (اللاحقة- القرينة الصرفية).

وقد أخضعت هذه الزوائد الصوتية الصيغ إلى معايير قياسيّة، سجّلت معها منظومة التحكّم الصرفية العربية أوزاناً، ذات دلالات متباينة، حسب القوة الصوتية لإنتاج هذه الأصوات، واختلاف صفاتها، وتفاعلها مع أصوات البنى الأصليّة، واستجابتها لعوامل التأثر والتأثير، وقدرتها على التحوّل الانتقالي في الميدان الوظيفي.

في البيان التالي صور أوزان هذه الصيغ ودلالاتها المركزيّة.

.1

أَفْعَلَ
(B) + (R)2

1- **التعدية**- أخرج، أمات، أحيا، أذهب [**مفعول واحد**]

«أذهب اللّه ضعفك».

أعطى، أفهم، ألبس، أولد. [**مفعولان**]

«أعطى خالد الفقير صدقة».

أرى، أعلم. [**ثلاثة مفعولات**].

«أريتُ خالداً العلمَ نافعاً».

(28) الخصائص 544/1 .

2- **المطاوعة**- عكس التعدية، وهي مما تفقد الفعل قدرته على نصب المفعول به، فتجعل الفعل المتعدي لازماً، ويأتي ذلك عن طريق «ازدواجية الصوت». كبَّ، فطَّر، بَشَّر، للأفعال اللازمة: أكبَّ، أفطر، أبشرَ.

3- **السلب والإزالة**: أعجم، أجار، أشكى، أقسط، أعذرَ، أقذى.

«أعجمتُ الكتابَ- أزلت عجمته».

«أجرت المظلوم- أزلت عنه الجور».

4- **الصيرورة** - دلالة اكتساب الفاعل لشيء من لفظ الصيغة.

أورق، أثمر، أفلس، أجدب، أغَذَّ، أهدى.

«أفلس التاجر- صار ذا فلوس».

«أجدب الحقل- صار ذا جدب».

5- **الدخول المكاني أو الزماني**: أصبح، أمسى، أضحى، أثلث، أشأم، أعرق، أنجدَ، أبحرَ.

6- **الاستحقاق**- أحصدَ، أزوج.

أحصدَ الزرعُ- استحق الزرع الحصاد.

أزوجت هندُ- استحقت هند الزواج.

7- **التمكين**- أحفر، أحلب.

أحفرتُ النهرَ.

أحلبتُ زيداً.

8- **الكثرة**- أشجرَ، أخْصَبَ، أعالَ، آسَدَ.

أعالَ الرجلُ.

آسدَ المكان.

9- **مصادفة الشيء على صفة**- أحْمَدَ، أبْخَلَ، أكرمَ.

أحمدت زيداً- محموداً.

أكرمت خالداً- كريماً.

أبخلت عمرواً- بخيلاً.

وهناك دلالات أخرى تفصح عنها سياقات التراكيب، كدلالة استفعل، أعظم، والتعريض: أرهنت المنزلَ، والدعاء أسقيته- سقاك اللّه، وغيرها مما يختص به هذا الصوت الحنجري.

.2

فَعَّلَ
(B) + (R)2

1- **التكثير**- غَلَّف، فجَّر، طوَّف، علَّقَ، مَزَّق.

2- **التعدية**- فرَّح، حذَّرَ، يبَّس، علَّم.

* لمفعول واحد أو اثنين.

3- **النسبة**- كذَّبَ، كفَّر، فسَّق، نَرَّد

4- **الإزالة**- قَشَّرَ، قَذَّى، شَمَّتَ.

5- **التوجّه**- فوَّز، كَوَّف، بَصَّرَ، غَوَّرَ، شرَّق، غَرَّبَ.

6- الاختزال- هلَّلَ، لبّى، سلَّم، سبَّح... سبحان الله.

7- المبالغة- جَمَّع، فَتَّشَ، رَشَّحَ، مَيَّزَ، فَكَّكَ.

8- الصيرورة- قوَّس، حجَّر.

3. | **فَاعَلَ**
 (T) + (R)2 |
|---|

1- **المشاركة**- جادَلَ، ماشى، شاركَ، قاتَلَ.

ومعها يكتب الفعل صيغة التعدية إن كان لازماً.

ماشيتُ زيداً- مشى خالد

كارمَ، طاول، جارى، ياسر.

2- **التكثير**- ضاعف، كاثر- بمعنى ضعّف، كثّر.

3- **دلالة الأصل**- دون أن يراد بها أيّ معنى إضافي:

قاتل اللهُ الظالمَ.

سافر خالد.

عاقب خالد اللصَّ.

عافاك الله.

حاول المجرمُ الهربَ.

4- **المبالغة**- راقب، جاوزَ، واعدَ، دافع.

4 | **تَفَعَّلَ**
 (R) + (B) + (R)2 |
|---|

1- **المطاوعة**- تنبّه، تكسَّر، تفرَّق، تأدّب- وتكون مطاوعته لـ(فَعّلَ) فإن كان متعدياً- أصبح لازماً، وإن كان لاثنين أصبح لواحد: تَعَلَّم، تسلَّم، تجشَّم.

2- **الاتخاذ**- توسَّدَ، تفيّأ، تيقّن.

3- **التكلُّف**- تصبَّر، تحلَّم، تجلَّد، تجمَّل، تكرَّم.

4- **التجنّب**- **تأثّم**، تَحرَّج، تهجَّدَ.

5- **النسبة**- **تمصّر**، تأردَنَ، تَعطَّف، تضيَّف، تقشَّفَ، تبيَّن، تخيَّر، تشكّى.

6- **الدلالة على الأصل**- **تظَلَّمَ**- بمعنى ظَلَمَ:

تظَلَّمَني حقِّي سُدى، ولوى يدي لوى يده الله الذي هو غالبُه.

7- **الدلالة على صيغة (اِسْتَفْعَلَ)**- تنجزَّ مطالبه- أي استنجزَ.

5	**تَفاعَلَ** **(R) + (T) + (R)2**

1- **التظاهر**- تناوَمَ، تغافَلَ، تعامى، تجاهل، تصامم، تغابى، تكاسل، تناسى، تمارض:

ليس الغبي بسيِّد في قومه لكنّ سيّد قومه المتغابي

2- **التدريج**- تزايد، توارد،

3- **الدلالة على صيغة (فَعَلَ)** تجاوز- تجاوزتُه- جُزْتُه.

4- **المطاوعة**- وتكون مطاوعته لـ(فاعَلَ) فيصبح لازماً: تباعَدَ، تطاوَلَ، وإن كان متعدياً لاثنين أصبح لواحدٍ: تناوَلَ الكتابَ.

6	اِسْتَفْعَلَ **(H) + (B) + (R)2**

1- **التحوّل**- اِسْتحجرَ، اِسْتأسَد، اِسْتنوقَ.

2 - **الإصابة**- اِسْتحلَّ، اِستسمن، استقبَح.

3 - **الاختزال**- استرجعَ- إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

4 - **الدلالة على معنى (تفعَّل)**- استكبر- تكبَّر، اسْتعظم- تعظَّمَ. وقد تأتي بدلالة (أفْعَلَ) أجابَ- اِستجابَ، أيقن- اِسْتيقنَ، استقرَّ- قَرَّ.

5 - **المبالغة**- استبشر- استهزأ- استأنسَ، استغنى.

6 - **الطلب**- اِسْتشرت صديقي- طلب مشورته، اِسْتفهم، اِسْتغفرَ، اِستخرج، اِسْتقال، اِسْتردَّ.

7 - **المطاوعة**- وتكون مطاوعته لـ (أفْعَلَ): اِسْتحكمَ، اِسْتبانَ، اِسْتمرَّ.

8 - **القوّة**- استهتر، استكبرَ.

9 - **المصادفة**- استكرمته، استبخلته- كريماً، بخيلاً.

7	اِفْتَعَلَ **(H) + (R)3**

1- **الاتخاذ**- اِخْتتمَ- اِتْخَذَ خالدٌ خاتماً، اِشْتوى القومُ اللحمَ- أي اتخذوه شواءً، اِلْتحى، اِرْتَشى، اِخْتبزَ، اِمْتطى، اِحْتَرفَ.

2- **المشاركة**- اِختصَمَ، اِخْتَلَفَ، اِشتبكَ، اِتَّفقَ، اِسْتَيَفَ، ويستلزم في التركيب وجود صوت الواو العاطفة: اِشتبكَ زيدٌ وخالدُ، في حالة كون الفاعل مفرداً.

3- **المبالغة**- اِخْتَرقَ، اِلْتَقطَ، اِلْتَهَمَ، اِرْتَحلَ، اِمْتَحَنَ، اِسْتدعَ، اِرْتقى، اِمتصَّ، ومعها تظهر الدلالة على صيغة (فاعَلَ) بالغَ في: الاختراق، الالتقاط، الامتحان.

4- **المطاوعة**- وتكون مطاوعته للمتعدي- ليصبح لازماً، احترق، انتقل، ارتدَّ، فإن كان متعدياً لاثنين، صار لواحدٍ: اِكْتَسى الطفل ثوباً، وتكثر هذه المطاوعة في الصيغ التي فاؤها أحد الأصوات المتوسطة ذات القوة الاسماعية العالية (اللام- الراء- الميم- النون): اِلْتأمَ، اِرْتَسَمَ، اِرْتمى، اِمْتلأَ، اِنْتحر، اِتَّقدَ. وقد تأتي: لـ- (أَفْعَلَ)- التهبَ، اِنْتَصَفَ. (فاعَلَ)- اِبْتَعَدَ، (فَعَّلَ)- اِقْتَرَبَ، اِعْتدلَ.

8	**اِنْفَعَلَ** **(H) + (R)3**

المطاوعة- ولهذا لا يكون إلاّ لازماً، ولا يكون إلاّ في الأفعال العلاجيّة،(*) ويأتي لمطاوعة الثلاثي كثيراً- قطَّعْتُه فانقطع، وكسَّرْتُه فانْكَسَرَ.

(*) أي ذا أثر حسّي ظاهر للعين.

ولمطاوعة غير الثلاثي قليلاً– أطلقته فَانْطَلق، وعَدَّلْته فَانْعَدل، اِنْزعج، اِنْغلق، اِنْدمج، ولا يجوز علّمته فانعلم، وما هو على سياقها، لأنّ المطاوعة قبول تأثير الغير.

اِفْعَلَّ (H) + (B) + (R)	9

تأتي هذه الصيغ غالباً، لدلالة واحدة، وهي قوَّة اللون أو العيب. ولا تأتي إلاّ لازمة: اِحْمَرَّ، اِبْيَضَّ، اِعْوَرَّ، اِعْمَشَّ، ويدلّ على التحوّل بمصاحبة الصيغة (قوي– أي: قويت حمرته...).

اِفْعَوْعَلَ (H) + (B) + (R)2	10

وتأتي للمبالغة من مثل: اِخْشَوْشَنَ، اِحْدَوْدَبَ، اِغْرَوْرَقَ، اِعْشَوْشَبَ، اِغْدَوْدَنَ، اِحْلَوْلَك... وقد يأتي في أحيان للدلالة على الصيرورة: اِحْلَوْلى...

اِفْعَالَّ (H) + (Z) + (R)	11

وتأتي للمبالغة من مثل: اِحْمارَّ، اِخْضارَّ، اِسْوادَّ، اِبْياضَّ، اِدْهامَّ، اِشْهابَّ، اِعْوَارَّ.

تلك ما توصّل إليه متقدمو القوم، وهم يصنعون نظريتهم الصّرفية، ويحاولون باحكامٍ شدّ بنودها، يعتمدون مبادئ الإعلال، والإدغام، وامتناع

إلتقاء الساكنين، التي فسّروا على ضوئها التغيّرات التي تلحق بالصيغ، سواءً أكانت بالحذف، أو القلب، أو التسكين أو غيرها، مما ارتضوه جانباً تعليلياً لمجمل الظواهر الصرفية، التي تطفو على سطوح التراكيب اللغويّة.

هذه النظريّة، قعّدت جانباً، واغفلت رؤية كثير من الظواهر الصوتية، مما تصلح– في رأينا– لأن تتبوأ أماكن ضروب الافتراضات وقد غذّى السماع جوانبها، ونحا بعلم الصرف، وهو ميزان الصيغ، ومصرِّف شؤونها، إلى جادة التأويلات المفتعلة، وإشاعة الكثير من اللبس والغموض في تعليل ظواهره.

ولذا وجدنا– ونحن في نهاية عرض الصيغ الفعلية– أن نسجّل إخفاقات هذه النظريّة، ونصلح بعض تصدّعاتها، مما توافر لنا من زاد الدرس الصوتي الحديث.

وفي الآتي ندوّن هذه النقاط؛ محاولين– على ضوئها بيان قيمة المؤشّرات المعروضة بعد أبنية الثلاثي المجرّد:

* **ظاهرة المقاطع الصوتية كبديل لساني محدث.**
* **ظاهرة المثلث الصوتي (أ– و– ي).**
* **ظاهرة ثنائية الصائت الطويل.**

تحدث ابن جنّي عن ظاهرة الموقعية للصوامت والصوائت داخل خلية الوحدة اللغويّة، وأفاض في بيان حالاته، عارضاً لأراء القوم، أمثال سيبويه، وأبي علي الفارسي، قائلاً: «أمّا مذهب سيبويه، فإنّ الحركة تحدث بعد الحرف. وقال غيره: معه. وذهب غيرهما إلى أنها تحدث قبله».[29] ولعلّ

(29) المرجع نفسه 321/2 .

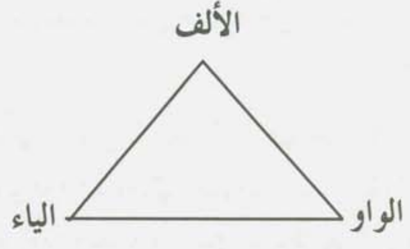
السبب يذهب إلى وظيفتها الشكلية، كفاصل بين الحروف، وأداة انتقال. وعلى ضوء هذا المعتقد عللوا الكثير من الظواهر الصرفية. قالوا: (ميزان- ميعاد) فقلبت الواو (مِوْزان- مِوْعاد) ياءً، لعلّة أنّ حرف (الميم) مُحرَّل بالكسر التي حدثت بعد الحرف، ولمناسبة الكسرة للياء، قلبت الواو إلى ياء. ولو لم تكن كذلك ما قُلبت.

ويبدو أنّ هذا التعليل من الوجهة الصوتية- الوظيفية غير كافٍ لهذا القلب الذي يمثّل في الظاهر تبادل بين (الواو- والياء) كحروف علّة، مع أن الواقع الصوتي، أنّ الواو- صوت انتقالي، مزدوج القيمة الوظيفية، أي (Semi- Consonant) في (مِوْزان) أما في (ميزان) فهو صائت طويل (Long- vowel) أما من حيث الهيئة المقطعية، فإنّ كلا الوحدتين يتألف من مقطعين:

س ع ع + س ع ع س

س ع ع + س ع ع س

ولعلّ إخفاق قدامى القوم في نظرتهم إلى الصوائت الطويلة- وخلطهم لقيمها ووظائفها مع الصوامت وأنّها من مجموعة صوتية مشتركة، ما يدعو إلى التوقّف وإعادة بناء الرؤية الصوتية- في جوانبها الوظيفية.



شكّل المثلث الصوتي (الألف - الواو- الياء) رؤية قدامى القوم

المضطربة التي أدّت إلى التعسف في تفسير كثير من الظواهر الصرفية. على الرغم من أنّهم أدركوا بأنّ بين صوت الواو وصوت الياء فرقاً في الكيفية والكمية الصوتية. لكنه يبدو أنّهم أغفلوا هذا في الناحية التطبيقية، ونظروا إليه من زاوية (التباين السياقي Context of Differentiation).

ولعلّ عدم خصّهم الأصوات من حيث تباينها الوظيفي وصفاتها برموز، أدّى إلى مثل هذا الخلط. في حين أن اللغة الإنجليزيّة قد فصلت عندما شعرت بوجوب الحالة، فاستعملت صوتي (Y) و(W) لـ (Semi- vowel) و (a,e, i, o,u) للمدّ الخالص (vowels).

كذلك أخفقَ قدامى القوم حين نظروا إلى مثلث هذه الأصوات من زاوية القوة والضعف، فكان لكثرة التغيّر، والانقلاب، والسقوط، والحذف، الذي يعتري هذه الأصوات، أن أطلقوا عليها تسمية (حروف العلة). وهي تسمية تقوم على أساس صفتها الصوتية- البنائية. وذهبوا إلى أبعد صوب في عدم الصواب، بأن أدرجوا صوت الهمزة معها، وهو في واقعه الصوتي (glottal- stop) صوت حنجري اِنفجاري. ولعلّ ما جاء عن لهجة الحجاز من جوانب تسهيل هذا الصوت، وراء هذا الاعتقاد. لأن فساده واضح، لما تمتلكه (الهمزة) من قوة النبر، والدرجة الوظيفية وسط الصوامت. أراد القدماء بمصطلح (العلّة) تأشير مبدأ عدم الاستقرارية لهذه الأصوات أثناء جريانها في بحر التصريف، وليس التعبير عن خصائصها الصوتية وقيمها الوظيفية.

إضافة إلى ذلك فإنّ تصور القدماء لم يقف عند هذاالحدّ، بل تعداه إلى أنّ هذه الصوائت الطويلة ذات (ثنائية-صوتية- مزدوجة) تنهض على أنّ كلّ صوت منها يحمل تركيباً صفرياً (ــْــ) مسبوقاً بصائت قصير من جنسه.

وأنّ ذلك السكون ليس من نوع سكون الصوامت. ولعمري أنّ السكون واحد، ولذا فإنه لا يمكن أن يوصف مع الصوائت بـ«سكون حي». وهذا زلل آخر، أدى بهم إلى الاضطراب في إصدار الأحكام الصرفية.

ومن خلال مطالعة الكثير من شواهد الدرس الصرفي- العربي القديم، يتبين وضوح ارتباك هذه الفكرة، وما تمسكهم بها إلاّ، لأنّها المعوان لهم في حلّ بعض القضايا الصرفيّة- والعروضيّة.(30)

الصوائت الطويلة -حركات، فكيف تحرَّك على أساس مبدأ- الثنائية الصوتية؟ وإن كان -ثمة تعليل آخر للجري ورائها من قبل القدماء، أنّهم أخفقوا في تقدير البيان- الكمي Length- Duration لهذه الصوائت في النظام الصرفي.

نعود مرة أخرى ونحن نتحدث عن «المرتبة»، هذه الحركات (الصوائت القصيرة) في نظام البنية العربية تمثل جانب (الزوائد) في الدرس الصوتي العربي، في حين أنّ الصوائت الطويلة هي من عناصر (الأصول) لصلاحيتها في أبنية الجذور. قال شهاب القسطلاني: الحروف الأصول، وتسمى في العربية حروف الهجاء والتهجي، وسمّاها سيبويه والخليل حروف العربية... وتسمى حروف المعاجم».(31)

إذاً فأصوات الأصول تمثل الأساس، والحركات تمثل الزوائد، وليس لها إلاّ أن تكون خارج بنية الكلمة؛ يقول ابن جنيّ: «إنّ الحرف كالمحلّ للحركة، وهي كالعرض فيه، فهي لذلك محتاجة إليه»(32)

---

(30) هندسة المقاطع الصوتية (17-38).

(31) لطائف الاشارات (183/1) .

(32) سر صناعة الأعراب (السقا) (32/1).

تتميز هذه الصوائت بوضوحها السمعي، وأنها مجهورة، وفيها تحتل (الفتحة- الحركة المتسعة) أعلى الدرجات تأتي بعدها أنصاف الحركات (Semi-vowels)- الواو والياء ثم أشباه الحركات (الأصوات الطويلة) (م، ن ، ل، ر، ع) ثم بقية الصوامت.

ويعود ابن جنّي مرّة أخرى ليورد شواهد وأدلة على أنّ الحركة لا تحدث مع الحرف ولا قبل الحرف. ويؤيد الواقع اللغوي هذا المذهب، إلاّ في صوت (همزة الوصل) وهو أمر يختلف كلياً، وظاهرة لها ضوابطها الخاصّة.

ولذا فإنّ مبدأ حركة (الصائت) بعد الصامت أمر تؤكده طبيعة صيغ الماضي والمضارع من -سعى، قضى- دعا: يَسْعى، يَقْضي، يَدْعو. ولو كانت الحركة قبل الحرف لخلت اللغة من الأسماء المقصورة والمنقوصة، ولاختل نظام البنية الوظيفي في العربيّة. ويمكن أن نوضّح نظام الصوائت القصيرة في العربية بالمخطط التالي:

الصائت	موضع النطق	درجة الانفتاح	درجة الوضوح	الخفّة- الثقل	الصفة الإعرابية
الكسرة i	أمامي Front	ضيّق Closed	C	C	الجرّة «الخفض»
الفتحة a	أمامي Front	متّسعة Opened	A	A	النصبة
الضمّة u	خلفي Back	ضيّق Closed	B	B	الرفعة

هذه الحركات من حيث الوظيفة الدلالية واحدة، والذي يفرّق بين المعاني هو الفتحة بوصفها ليست كسرة أو ضمّة.

لا يسمح نظام العربية بوجود حركتين متتاليتين لوحدهما، إنما تتوزع كمّياتها على كل صوت صامت. وإنّ حالة التبادل بين مواقع الصوائت، والصوامت هو الذي يفسِّر توارد الصيغ في بناء العربيّة. وعليه فإنّ النقاط التالية ما يجب الإشارة إليه في تفسير كثير من الحالات الصرفية السابقة:

1- لا يمكن تعليل الصور الصرفية إلاّ على أساس الجانب الصوتي المنطوق، وليس على أساس متجه الرسم الكتابي، الذي أخفق في بيان الكثير من الظواهر الصرفية، ولذا يبدو أنّ التعليل في الدرس الصرفي القديم نظري ، لأنه خطّي ولا يمكن له أن يستوعب التنوعات الصوتية في الصيغ والتراكيب.

ولعلّ في حركة الصوائت وانتقالاتها وفق النظر الصرفي الخطي- القديم، ما يشعر بارتباك النظرية العربية:

بَقي ⇐ (R)3

بَقيا ⇐ (R)2 + (T)

بَقيوا ⇐ (R)2 + (T)

وفي الرسم الخطي العربي القديم:

بَقِيُوا س ع + س ع + س ع + ع ع

هذا هو واقع الصيغ مقطعياً. ويبدو أن المقطع الرابع لا وجود له في العربية، لأنه يتألف من نواة مزدوجة دون جدار خلية. وقد تأتّى من نظام

رسم الحركات على الصوامت والصوائت الطويلة، ولذا فلا توجد إمكانية صوتية لتحقيق هذا التوالي والبناء المقطعي. وفي انتقالها إلى «بَقوا»، حين الاسناد إلى الجماعة، حذفت هذه (الياء)، وفي تعليلهم يقولون:

إنّ (صائت الضم على الياء انتقل إلى (القاف) فالتقى ساكنان فحذف ما سبق وهو (صوت الياء). وهذا تفسير متعسف قائم على خطأ النظام التوزيعي للصوائت العربية.

ولو نظر إليه من زاوية المقطع لكان أكثر قيمة علميّة، ووسيلة إقناعية.

بَقوا ⟸ س ع + س ع ع

فالصامت الأوّل محرّك بالفتح والصامت الثاني (القاف) محرّك بصوت المد الطويل. وأصبحت الكلمة تتألف من مقطعين:

$$\frac{(R + T)}{B}$$

2- مثّلت الأصوات التالية: [**السوابق العربية** Prefixes]

- **حروف المضارعة.**
- **همزة التعدية.**
- **حركة -صائت الإيصال- اِفْتعل.**
- **الحركة والنون في -اِنْفعل.**
- **الحركة والسين والتاء في -اسْتفعل.**
- **والتاء في تفعل- تفاعل.**
- **التاء والميم في وزن تمفعل (تمنطق).**

3- مثّلت الأصوات التالية: [**الدواخل العربية** Infixes]

- **تاء الافتعال**
- **التضعيف في مضعف العين من الثلاثي**
- **الفاء المكررة– هَدْهَدَ**
- **الزيادة الصوتية الجرّة –دحرج من درج، وبعثر من بَثَرَ**
- **أفعال لهجية المتّجه الصوتي**

4- مثّلت الأصوات التالية: [**اللواحق العربيّة** Suffixes]

- **الضمائر المتصلة.**
- **نون الوقاية.**
- **حركات الإعراب.**
- **حروف الإعراب.**
- **علامات التأنيث.**
- **وبعض حالات الجموع.**

5- أمّا أبنية الأوزان الثلاثية –الماضي والمضارع، فيمكن أن نوضّح ما يلي:

فَعُلَ– صيغة ليست تامّة الفعلية، لأنّها مقتصرة على ما دَلَّ على صفة. ولهذا لم يسجل استقرائنا لهذه الصيغ إلاّ نسبة قليلة، قياساً بالصيغ الفعلية الأخرى. وأنّه يلازم حالة واحدة في عينه، المضمومة بالماضي والمضارع. يقول فيه ابن جنّي: «ضرب قائم في الثلاثي برأسه غير متعدّ البنية».[33]

فَعِلَ– صيغة سجّل معها الاستقراء الوصفي، نسبة متوسطة التردد

(33) الخصائص 376/1 .

بالقياس إلى (فَعَلَ– فَعُلَ). وهذا اللون الفعلي هو الأقرب إلى سمات الفعلية. وطبيعته إرادي لازم.

ومضارعه– يَفْعَلُ– وإن كانت هناك بعض الشواذ، فإنّها مما تسجّل سلباً على ضبط سلوكية المنهج الصرفي العربي، الذي سمح لكثير من الظواهر اللهجية أن تتسرب إلى منظومة التصريف، مما أدى إلى بروز ظاهرة الشذوذ، وانحسار مبدأ القياس، والخضوع المطلق إلى مبدأ السماع. أزرى هذا بالقاعده العربية، وأوهن أسسها. وقد حفلت كتب التراث بالكثير مما سجّل في هذا الميدان.(34) من ظواهر الإبدال السماعي.(35)

فَعَلَ: تمثل هذه الصيغة المفتوحة حقيقة الصيغة الفعلية التي تدلّ على كينونة الحركة.

ويقابله في صيغة المضارع ثلاث صيغ سماعية المتّجه. وقيّد القوم: إذا وردت الصيغة وعينها، أو لامها حرفاً حلقياً، كانت عين المضارع منها مشكّلة بالصائت القصير (الفتحة).

ولعلّ ذلك يفسره قانون اختزال الجهد الصوتي، لأنّ الحروف الحلقية الستة (الهمزة والهاء حنجريان، والعين، والحاء، حلقيان خالصان، والخاء والغين (لهويان)، تتميز بالنطق الإنتاجي المفتوح Open articulation مما تتناسب معها حركة (الفتحة)، لأنّها حركة أمامية متسعة. بالإضافة إلى أن الكثرة الغالبة من هذه الأفعال تقابلها نسبة ترددية عالية للأصوات الحلقية بالقياس إلى الأصوات الأخرى.

وتبقى الشواذ قائمة، طالما استمّر النظر إلى المدّ اللغوي للهجات العربية.

---

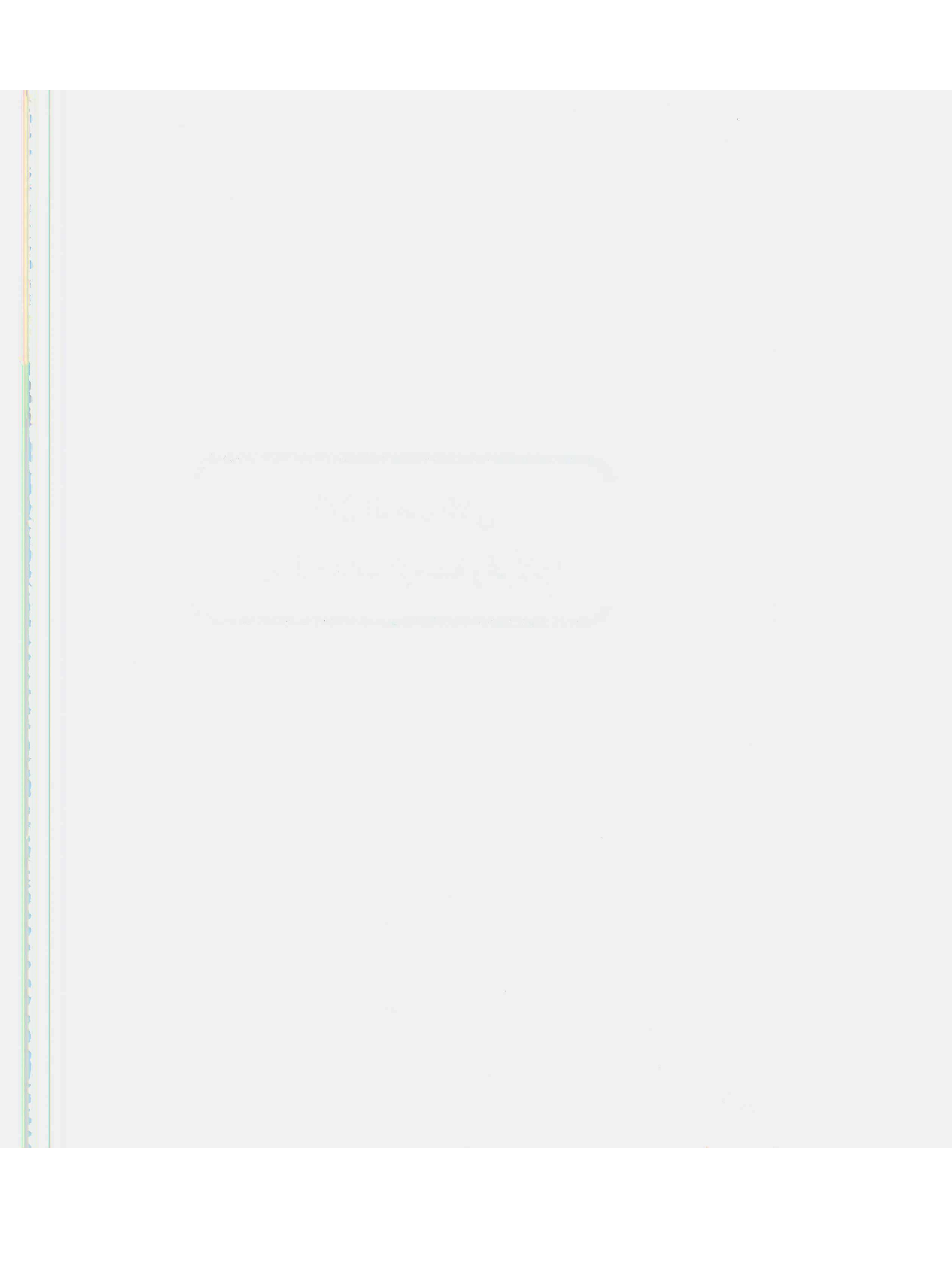
(34) دراسة اللهجات العربية القديمة (82-112).

المرجع السابق (383-374/1)

(35) الأصوات اللغوية (132)

2/2 المبحث الثاني

أبنية الوحدات الإسمية وتحوّلاتها



2/2/1 الوحدة الأسمية حسب عناصر التجرّد والزيادة الصوتية

جاء عن الخليل الفراهيدي: إنّ الاسم لا يكون أقل من ثلاثة أحرف: حرف يبتدأ به، وحرف تحشى به الكلمة، وحرف يوقف عليه» [1]

وقيّد ابن جني، والرضي القول: «اِعْلم أنّ الأسماء التي لا زيادة فيها تكون على ثلاثة أصول، أصل ثلاثي، وأصل رباعي، وأصل خماسي» [2].

وهذا الذي أفاد به متقدمو القوم يتوزع في مسارين، حسب عناصر التجرّد (الثوابت) والزيادة الصوتية (المتغّيرات) إلى أقسام ثلاثة:

– الثلاثي – الرباعي – الخماسي

ولكل منها معايير ينهض عليها ، ويجري وفق حدودها.

1– أبنية الاسم الثلاثي المُجرّد :

قال ابن جنّي : «الأسماء الثلاثية تكون على عشرة أمثلة[3]» وهو ما قام على بناء ذي أصوات أصلية، ليس فيها أيّ عناصر الأصوات الزائدة، التي عرفت في ميدان الأبنية الفعلية .

وهذه المعايير العشرة التي وصلت إليها النظرية الصرفية العربية، بعد أن استقرأت المروي من لغة العرب، بيانها في التالي :

---

(1) الكتاب (بيروت) (365/2).
(2) المنصف (18/1).
(3) شرح الشافية (45/1).

فَعْلٌ (M)2	1

الاسم – صَقْر ، فَهْد، كَعْب، بَيْت

الصفة – ضَخْم، خَدْل، صَعْب، سَهْل

فَعَلٌ (R)2 +(M)	2

الاسم–جَبَل، حَمَل، طَلَل، قَمَر

الصفة – بَطَل، حَسَن، حَدَث

فُعْلٌ (M)2	3

الاسم – بُرْد ، قُرْط، قُفْل، قُطْن، جُرْح

الصفة – حُلْو – مُرّ

فِعْلٌ (M)2	4

الاسم– جِذْع، عِدْل، عِلْم، جِلْد

الصفة– جِلْف، نضْو، مِلْح، نِكس

فَعِلٌ	5
$(R)^2 + (M)$	

الاسم – كَتِف، كَبِد ، فَخِذ، نَمِر

الصفة – حَذِرِ ، فَطِن، وَجِع، فَرِح، طَرِب

فَعُلٌ	6
$(R)^2 + (T_1)$	

الاسم– رَجُل، سَبُع، عَضُد

الصفة – يَقُظ، حَدُث، نَدُس

فُعَلٌ	7
$(R)^2 + (M)$	

الاسم – صُرَد ، نُغَر، جُرَذ

الصفة – لُبَد، سُكَع، حُطَم

فُعُلٌ	8
$(R)^2 + (M)$	

الاسم– عُنُق، أُذُن، طُنُب

الصفة– سُرُح، جُنُب، نُكُر، أُحُد

فِعَلٌ	9
$(R)^2 + (M)$	

الاسم – ضِلَع، عِوض، عِنَب

الصفة – عِدَي، زِيَم، رِوَي

فِعِلٌ	10
(R)2 +(M)	

الاسم – إِبِل ، إِطِل

الصفة – بِلِز

وتقوم جميع هذه الأبنية على الغالب، أما ما ورد خلاف ذلك، فهو من لهجات العرب.

2- أبنية الاسم الرباعي المُجَرَّد

سجّل استقراء القوم، وهم الجمهور من النحاة واللغويين، أوزان الاسم الرباعي المجّرد، وحصرها في ستة أبنية هي :

فَعْلَلٌ	1
(M)+ (R) + (M)	

الاسم – جَعْفَر ، عَنْبَر ، صَعْتَر

الصفة – سَلْهَب، صَقْعَب، شَجْعَم

فِعْلِلٌ	2
(M)+ (R) + (M)	

الاسم– زِبْرِج، زِئْبِر

الصفة – زِهْلِق، عِنْفِص، دِعبل

• النضور – الهزيل؛ الحدث – الصغير السن، الخُلُط – العارف بالأمور؛ الصرد – طائر ضخم الرأس؛ النغر – البلبل؛ لُبَد – المال الكثير؛ روي – الكثير المروي ؛ زِيَم – المتفرّق؛ إطل – الخاصرة؛ بلز – المرأة الضخمة .

• وهذه الأوزان مما تكون في الأسماء الجامدة .

3

فُعْلُلٌ
(M)+ (R) + (M)

الاسم – فُلْفُل، بُرْشُن، بُرْقُع

الصفة – جُرْشُع، كُنْدُر

4

فُعْلُلٌ
(M)+ (R) + (M)

الاسم – دِرْهَم، ضِفْدَع

الصفة – هِجعرَع، هِبْلَع

5

فَعْلِلٌ
(M)+ (R) + (M)

ولم يأت منها سوى «طحربة» وهي القطعة.

6

فِعَلٌّ
(R)+ (M) + (M)

الاسم – فِطَحْل ، قِمَطْر

الصفة – هِزَبْر ، سِبَطْر

وتشكل هذه الأوزان النسبة الغالبة في أبنية الرباعي، وما جاء في غير ذلك فهو على اختلاف لهجات العرب.

ه السلهب– الطويل؛ الشجعم– الضخم الطويل؛ زبرج – الذهب؛ زئبر – وبر المنتوجات؛ زهلق– السريع؛ عنفص – السئ الخلق؛ جرشع – عظيم الخيل؛ كندر – الغليظ القصير؛ هجرع – الأحمق؛ هبلع – النهم؛ فطحل – الزمن القديم؛ هزير – الضخم.

ه يبدو أن الأبنية التي عينها تحمل التركيب الصفري ذات المقطع المغلق تتميز بالخفّة، مما نرى النسبة فيها ترد 1:5 وكل ابنيتها من الأسماء الجامدة .

3- أبنية الاسم الخماسي المُجَّرد

ينهض الاسم الخماسي المجّرد على أبنية أربع، وهي ما أشار إليها ابن جنّي في المنصف [4].

1	فَعَلَّلٌ (R) + (M)+ (R) + (M)

الاسم – فَرَزْدَق، خَدَرْنَق، سَفَرْجَل

الصفة – شَمَرْدَل، هَمَرْجَل

2	فُعَلَّلٌ (R) + (M)+ (R) + (M)

الاسم – خُزَعْبِل

الصفة – قُذَعْمِل

3	فَعْلَلِلٌ (M)+ (R)2 + (M)

الاسم – هُنْدَلِع

الفة – جَحْمَرِش

4	فِعْلَلٌّ (M)+ (M) + (R)

الاسم – قِرْطَعْب

الصفة – جِرْدَحْل

(4) المنصف 1/27-30 .

هذه التراكيب المجّردة في أبنيتها الثلاثية، والرباعية والخماسية، مما أوردته مصنّفات السلف، وفي بعضها اختلاف روايات – وهو على قلة. ويذهب إلى اختلاف مواقع الأصوات الصائتة القصيرة، أو استبدال البعض منها بالتركيب الصفري . وهذا يُؤشّرَ، على اختلاف لهجات العرب، التي يؤثر البعض منها الجري وراء تحقيق الحّد الأدنى من قانون التسهيل الصوتي.

ومن هذا ما ورد – على سبيل التمثيل وليس الحصر – في البناء الخامس من أوزان الفعل الثلاثي المجّرد : (فَعِلٌ) (كَتِفٌ) حيث جاء فيه أربع لغات (لهجات):

كَتِفٌ – فَعِلٌ ⟸ $(R)^2 + (M)$

كَتْفٌ – فَعْلٌ ⟸ $(M)^2$

كِتْفٌ – فِعْلٌ ⟸ $(M)^2$

كِتِفٌ – فِعِلٌ ⟸ $(R)^2 + (M)$

ويلاحظ أنّ حركة المقاطع تجري وفق العلاقة الارتباطية بين الصائت والصامت والتركيب الصفري.

ولكن بالنظر إلى هذه الصيغ الأربع، نرى أنها محكومة بقانون «نسب التسارع الصوتي» الذي يؤشّر ظاهرة التطور الصوتي، والانتقال الفونيمي[5].

---

* الفرزدق – الرغيف عندا لعرب؛ خدرنق – ذكر العناكب؛ شمردل – القوي، همرجل – الجواد السريع؛ خزعبلة – الفكاهة؛ قذعملة – الناقة الشديدة؛ جحمرش – العجوز المسنّة؛ القرطعب – الخرقة؛ جردهل – الضخم من الابل.
* يظهر من خلال مصنفات القدامى أنّ أبنية الخماسي المجّرد بلغت أكثر من (170) بناءً، وأغلبها من الشواذ، مما لم نتوقف عنده. والأبنية الخماسية تكون في الأسماء الجامدة.

(5) الأصوات اللغوية (268-269).

والذي نؤكده أنّ الصيغ المفتوحة هي الأكثر ترشيحاً، لأنها تتناسب والسرعة النطق وهي من سمات سكان البوادي والصحارى. فالفتح أخفّ الحركات الثلاث، لما يتميز به من درجة الانفتاح. أما عين الصيغة المكسورة، وإن ولّدت مقاطع صوتية ثلاثة، يسهل معها الانتقال والتحوّل، وهذا ما يسعى إليه رجل الصحراء، إلاّ أن الصيغة الثانية ذات تركيب (العين) الصفري، اختزلت المقاطع الصوتية إلى مقطعين متوسطين مغلقين.

وفي البيان التالي نؤشر حركة المقاطع ونوعها ودرجة النبر :

كَتِفٌ ⟵ س ع - س ع^ + س ع س (النبر الرئيس على المقطع الثاني)

1 2 3

⟸ $\frac{(M)}{< >} + \frac{(R)^2}{\cup}$

كَتْفٌ س ع^ س + س ع س (النبر الرئيسى على المقطع الثاني)

⟸ $(M)^2 \Leftarrow \frac{(M)^2}{< >}$

ولذا فإننا نرى أن الصيغة (كَتِفٌ) هي الأكثر قبولاً صوتياً في الصيغ الأخرى لتوافر المقاطع المفتوحة (Open syllables) التي هيأت مدارج الانتقال من الصائت الأمامي المفتوح إلى الصائت الأمامي المغلق وهذا تدرج يتصف بالانحدار الصوتي المعاكس من الأخف إلى الأقل خفّة، وهو ما يتطلبه الصعود، لتحقيق الصائت الخلفي الضيّق، وتأتي بعدها صيغة (كتف) لما فيها من الخفة، أيضاً، بفعل المقطعين المتوسطين.

أما الأبنية المزيدة في صيغ الثلاثي، والرباعي، والخماسي، فإنها على ما أفاد صاحب الشافية، وهو مما نقله عن سيبويه ترتقي إلى (308) بناء ، وقد زيد عليها نحو (80) بناءً[6] .

2/2/2 الوحدة الإسمية حسب معيار الجمود والاشتقاق

تنهض وحدات اللغة الاسميّة على ضربين:

أ- الاسم الجامد – وهو ما لم يولّد من غيره، وجاء ابْتداءً.

ب- الاسم المشتق – وهو ما وُلِّد أو أشتقَّ من غيره.

وعلى هذا الأساس، فإنّ الاسم الجامد هو الأسبق في الظهور علي مسرح اللغة، لأنّه يمثّل الاتصال الأول للإنسان مع الطبيعة، وهو اتصال محسوس، دخلت اللغة، بعده، بما تمتلكه من طاقة صوتية، وقدرة فونيماتها على ترميز الأشياء، لترتقي به إلى عالم أكثر لصوقاً بالحياة، وأشمل في بناء علاقاته الفكريّة على مستوى الوجود .

ولذا فإن الاسماء الجامدة مثّلت الظهور المرتجل لعناصر الطبيعة الحسيّة والمعاني الذهنية الصِرْفة .[7]

ولحاجة الإنسان إلى بعض الصيغ المشتقة، فإنّه تصّرف مع الاسماء الجامدة المرتجلة، وبنى من وحداتها الصوتية، مستعيناً بعناصر الزيادة الصوتية، صيغاً تدور في فلكها.

---

(6) شرح الشافية (50/1) .
لقد بلغت أوزان الاسماء مما جمعه سيبويه، وابن السراج، والجرمي، وابن خالويه أكثر من (1220) بناءً..

(7)جاء في المزهر (202/1) أنّ الكلام كلّه مشتق، وذهب آخرون إلى أنه جامد.

الشَّمس ⟸ أَفْعَلَ، فَعَّلَ ، تفَعَّلَ، فاعَلَ، مُفْعِل

وقعت الأسماء الجامدة في ثلاثة أقسام :

1- اسم الذات:

وهو ما أدركته الحواس، وقد شغل حيّزاً في الطبيعة، ويقوم على ضربين:

الاسم العَلَم: هو «اللفظ الذي يدلّ على يقين مسمّاه يقيناً مطلقاً»[8] وهذا يعني أنه لا يخضع لنظام القرائن اللفظية أو المعنويّة التي تفصح عن مدلوله، إنّما يكتفي بنفسه، لأنه مقصور على مسمّاه.

ويقسم إلى أربعة أقسام:

1/1 – باعتبار الوجود الحقيقي المحسوس – علم شخص، وعلم جنس[*]

1/2– باعتبار لفظه – علم مفرد، وعلم مركّب.

1/3– باعتبار أصالته في العلَمية – مرتجل، ومنقول .

1/4 – باعتبار زيادة الدلالة على العلمية، أو عدمها– اسم، وكنية، ولقب

فعلم الشخص، ما اندرج تحته افراد الناس، والحيوانات الأليفة، واسماء البلاد، والقبائل ، والمصانع، والبواخر، والطائرات، والنجوم ، والعلوم والكتب، وله اسم خاص به لا يطلق على غيره.

أما علم الجنس، فهو اسم للصورة الخيالية التي يحملها العقل، والتي لا تدل على فرد من أفراد الحقيقة الذهنية، ويشمل الحيوانات غير الأليفة، وبعض من الأليفة، (أبو الحارث، وأسامة للأسد، وأبو صابر للحمار، وأبو

(8) النحو الوافي (287/1).

(*) اعتمدت الأسلوبية اللسانية تحليل أسماء الاجناس : رجل + مذكر + إنسان +حي +ناطق + حيوان – ضوء – ظلام ...

أيوب للجمل، وأمور معنوية كأمّ قشعم للموت، وجميع ألفاظ التوكيد المعنوي (أجمع، جمعاء ، أجمعون، جُمَع) وبالاعتبار الثاني – صالح، مأمون – والمركب الأضافي : عبد القادر، عبد العزيز، والمركب الأسنادي : فتح الله، جاد الحق، والمركب المزجي : بُرْسعيد ، رامْهُرمُز، نيويُرك، سيبويه.

وبالاعتبار الثالث – المرتجل : ما وضع من أول أمره علماً، مثل : سعاد، أُدَدْ، فقعس، بطليموس ، غاندي .. **والمنقول** : ما استخدم قبل العلمية لدلالات معينة، ثم انتقلت إلى العلمية: حامد ، محمود، أمين.

والمنقول مثل : مجد ، هيبة، فضل – من معنىً عقلي .

والمنقول مثل : غزال ، زيتون، فيل – من ذات مجّسمة .

والمنقول مثل : صالح ، نبيل ، محمد – من اسم مشتق .

والمنقول مثل : شمَّر ، جاد ، صفا – اسماء اشخاص من فعل ماضٍ.

والمنقول مثل : يزيد ، يعرب، تغلب – اسماء اشخاص من فعل مضارع.

والمنقول مثل : سامح ، سامر ، سالم – اسماء اشخاص من فعل أمر.

ويتميز الاسم العلم – بأنه جامد لا صلة له بالاشتقاق، حتى ولو كان في أصله اسماً مشتقاً. وأن صيغته المكونة من الفونيمات التركيبّية، تمثل وحدة صوتية، لا يجوز أن تدخل إلى حرمها أية أصوات أخرى بالزيادة، أو تخرج منها بالنقص .

وبالاعتبار الرابع – تذهب الدلالة معه إلى ذات معينة، مع إشعار بالمدح أو الذم – بَّسام، الرشيد، جميلة، السّفاح. وهذا هو اللقب. أما الكنية – علم مركب تركيباً إضافياً، بشرط أن يكون جزؤه الأول – أب، أم ، ابن ، بنت، اخ، أخت، عم ، عمّة، خال، خالة.

وكل قسم من الأقسام السالفة قد يكون مرتجلاً أو منقولاً.

2- **اسم المعنى** - وهو ما دلّ على مدرك عقلي، وهو المصدر نفسه - فَهْمٌ، كرَمٌ، سِيرة، تجاهل، كلام، سلام، وضوء. وهو اسم جنس ، ومنه الاسماء التي تدلّ على العدد ويستثنى (الواحد والاثنان).

3- **الاسم المبني** - وهو ما لازم صورة واحدة، كالضمائر وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، وأسماء الشرط، وأسماء الاستفهام، وأسماء الأفعال، والأسماء المركبة، وأسماء الأصوات. وتسمى - ايضاً - بالأسماء المبهمة : وتغطي هذه مساحة واسعة من ميدان الموفيمات الصرفية الحّرة Free- Morphemes.

أما المشتق - فهو ما دلّ على الحدث فقط، بخلاف الفعل، الذي تذهب الدلالة فيه إلى الحدث والزمن. وعند البصريين أن المصدر أصل المشتقات، وعند الكوفيين أن الفعل هو الأصل [9] .

وهو ما أخذ من غيره، على أن يكون له أصل ينسب إليه. ولا بد للمشتق أن يقارب أصله في المعنى، وأن يشاركه في أصواته الأصلية. والمشتقات الأصلية - سبعة أنواع - وهي ما أسميناها « الصفات الصرفية» [*] ويؤكد النحاة أنّ المصدر الصريح، هو أصل المشتقات، ومنه تتفرع[10].

ويتوافر في اللغة الانجليزية، اسم المعنى Abstract noun، وهو ما يقابل المصدر، وهو اسم لفعل أو لحالات وقوعة.

---

(9) انظر مبحث 1/5.
(*) انظر مبحث 2/2/4.
(10) النحو الوافي. 182/3.

وله علامات خاصّة يعرف بها مثل :

tion , ness,once, al , ure

في الألفاظ التالية :

Attract - Attraction

short- shortness

arrive - arrival

Depart - Departure

واسم المعنى في الانجليزية لا يخضع لحالات الجمع.

وهناك اسم آخر في الانجليزية، يطلق عليه اسم المادة Material noun. وتشير اليه الانجليزية بـ(some) في حالات الإثبات ، و(any) في حالات النفي والاستفهام، كما أنّه لا يسبق بأية آداة Articles.

2/2/3 أبنية المصادر وتنّوعاتها

المصدر المنبع، وهو ما يدلّ على معنى مجّرد، غير مبدوءٍ بميم زائدة، ولا مختوماً بصوت الياء المشدّد الزائد، بعدها تاء التأنيث المربوطة: عِلْم، فَهْم، تَقدّم، فَضْل.

وهذا على – رأي النحاة – المقصود من كلمة «المصدر»، حين تذكر مطلقة غير مقيّدة لنوع معيّن.

والمصدر : لا علاقة له بزمان، ولا مكان، ولا تأنيث، ولا تذكير، ولا علمية، ولا عدد، ولاهيئة، سوى ذلك المعنى المجّرد. وعلى هذا الأساس فإنّ دلالة المصدر عرفية ذاتية لا صرفية، لأنّه غير محدد النوع، والماهية، والكمية. وحين يدخل المصدر ميدان علم القواعد، فإنّه يؤشّر دلالات التوكيد، والنوع، والعدد التي تظهر في بيانات المفعول المطلق، والإنابة عن ظرفي الزمان، والمكان، أو وقوعه صفة، أو حالاً، أو تمييزاً، أو تبوئه موقع فعله في حالات الأمر، فهذه مما يدخل في باب التركيب القواعدي، ولا علاقة للصرف بها.

ويشترط في المصدر المطلق، إضافة إلى ما تقدّم، أن يشتمل على أصوات فعله الواقع في الزمن الماضي الأصلية والزائدة :

شُرْب، احترام، إطمئنان، تَردُّد، تحتوي على الأصوات الأصلية، والزائدة في : شَرِبَ، احْترم، إطمأنَّ، تَردَّدَ.

وقد أوردتُ النظرية الصرفية العربية، فيما وقَعْتُ عليه من نصوص لوحدات لغويّة، أنّ هذا الاشتمال اللازم لأصوات فعله، قد يكون مقدراً غير ظاهر.

وهذه من الأمور التي لجأت فيها منظومة الدرس الصرفي القديم إلى التعسف الافتراضي حين وقعت على حالات توافرت فيها جوانب صوتية مغايرة بيت المصادر وأفعالها كما في البيان التالي :

أ- إيصال، استْيطان، مبايعة: أوصل، أستوطن، بُويع.

ب- دُعاء، إنجاء، استعداء: دعا، أنجى، اِستْعدى.

ج- إهداء، اِرْتقاء، اِنْطواء: أهدى، ارتقى، انطوى.

د- قِتال، تسليم : قاتَلَ ، سَلَّم .

هـ- عِدَةٌ، تجربة، توصية، تعبئة: وعد ، جَرَّب ، وصّى، عبأ.

ويسير الدرس الصرفي القديم مع هذه الوحدات التي قُدِّر لها الاشتمال اللازم لعدم ظهوره، معللاً على الوجه الآتي :

- **المجموعة الأولى** : لأنّها قد أعلّت فقلبت، وهي موجودة، ولكن بصورة لفظية أخرى .

- **المجموعة الثانية**: الواو المنقلبة مقدرة لأنها أعلت فقلبت ثم أبدلت همزة، فهي موجودة ولكن بصورة لفظية أخرى.

المجموعة الثالثة : وكذا هو شأن الياء المنقلبة، فهي مقدرة أيضاً.

المجموعة الرابعة : الأصل (قيتال) والياء منقلبة عن ألف الفعل، وقد حذفت الياء للتخفيف . الأصل (سِلاّم)، هكذا مقتضى القياس الصناعي، ولكنّه حذفت منه العين الأولى، وعوض منها التاء في أوّله، فصار تسلام) مثل تكرار، ثم كسرت العين الباقية، مثل تكرير، فانقلبت الألف بعدها ياء : تسليم.

– **المجموعة الخامسة**: الأصل فيها «وِعْد، تجريب، توصيي، تعبئ، ثم حذفت الواو من الأوّل والياء من الأخريات ، وزيدت التاء في آخر المصدر، عوضاً مما حذف [11].

هكذا أجرى أهل الصرف تعليلاتهم التي تقوم على الافتراض الجدلي غبر المبرر.

ولو قُيّض لهم أن يستأنسوا بالمقطع ويحاوروه، لوجدوا أنه الخطّ الأمثل لسير مركبة التصريف.

لما كان مصدر (أَفْعلَ – إفْعَالٌ) و(فاعل) – (مفاعلة)، وقد يكون «فعال». فإنّ الافتراض لا موجب له مع المجموعة الأولى إذا وقفنا على أبنية المقاطع :

أوصل ⇐ س ع س+ س ع + س ع

فما الذي يمنع أن يكون المصدر «إوصال» ؟

إيصال ⇐ س ع ع + س ع ع س

إوصال ⇐ س ع س + س ع ع س

فكلا المصدرين يتكون من مقطع متوسط وآخر كبير. ولكن مع (إيصال) كان المقطع الأول مفتوحاً ومع (إوصال) أصبح المقطع الأول مغلقاً.

وبما أن المقاطع المفتوحة هي الأكثر مرونة وسهولة وجرياناً مع النفس، لذلك أثرت (الياء المديّة). ولكن ثمة أمر آخر وهو أن صوت (الياء) صائت طويل، وأنّ صوت الواو (صوت انتقالي Semi - Consonont)، وأنّ صوت الهمزة محرّك بصائت الكسر الأمامي الضيِّق، التي تناسبها الياء، إذا

(11) تصريف الأسماء والأفعال (130-131).

زيدت كميتها الصوتية، ولذا فإنها أثرت لهذ التجانس الصوتي، وليس من باب القلب.

وهكذا الحال مع استيطان > استوطان وأنّ سّر الانقلاب هو التحوّل من المقاطع المغلقة إلى المقاطع المفتوحة، والتجانس الصوتي.

وفي (مبايعة) إنها المصدر لـ (بايع). وفي إمتحانها نعتمد التحليل المقطعي:

بايَعَ ⟸ س ع ع + س ع +س ع

(R)^2 + (T)

بُويع ⟸ س ع ع+ س ع + س ع

(R)^2 + (T)

مُبايعة ⟸ س ع + س ع ع + س ع + س ع + س ع س

(R)^3 + (T) +(M)

مُبويعة ⟸ س ع + س ع ع + س ع + س ع + س ع س

(R)^3 + (T) +(M)

فمن حيث هيئة المقاطع واحدة ولذا لا مبرر لهذا الافتراض التعسفي المقحم على التركيب.

وكلّ ما في التغيرات الصوتية حين التحوّل هو طبيعة الانسجام الصوتي الذي يتمركز حول صوتي الألف، والواو الطويلتين. فمن حيث الكمية الانتاجية ودرجة الصوت واحدة. لكنّ السّر يكمن في نسق الصوائت القصيرة. فالضمة الأولى متبوعة في (مبايعة) بصامت طويل هو من جنس الصوائت القصيرة التالية له، ولذا فإنه وفق قانون نسب التسارع الصوتي،

يتحقق الانسجام وتبتعد الصوامت والصوائت في أداء مهامها الوظيفية عن التنافر.

أما في (مبويعة) فإنّ التنافر واضح خصوصاً بعد المقطعين (R) +(T) الأولين عندما يتطلب البناء النطقي الانتقال من الحركة الخلفية الضيّقة، وبشكل مباشر إلى الحركة الامامية المفتوحة. وفي هذا ثقل يفرّ منه رجل الصحراء.

فالأصل (إوصال) (استوطان) (مبويعة) ولما ذكرنا من الأسباب الصوتية، تحوّلت إلى ما صيرت إليه.

وفي المجموعة الثانية : نقف على أبنية المقاطع :

دُعاءْ ⟸ س ع + س ع ع س

دعا ⟸ س ع + س ع ع

اِسْتعداءْ ⟸ ع س + س ع س + س ع ع س

استعدى ⟸ ع س + س ع س + س ع ع

فما كان على وزن (فَعَلَ) في الثلاثي فمصدره يأتي على (فُعال)، ومن غير الثلاثي على وزن (استفعل)، فمصدره (استفعال).

ولعلنا إذا عدنا إلى (دعو) فإنها على أساس وزن المصدر أن تكون (دعاو) و (استعدو)، (استعدوا). ومع هذا لا يترتب أي تغيير في هيئة المقاطع الصوتية.

أما سبب استقدام صوت الهمزة الحنجريّة، واستبدال الواو الانتقالية بها فهذا أمر يعود إلى طبيعة صوت الهمزة ذاتها .

فالهمزة ليست من أصوات المباني، ووجودها، وعدمه لا يغير من محتوى الدلالة، إنّما وظيفتها تنهض على أساس (النبر القصدي) Aimed stress .

ولما كانت الدلالة المركزية تتطلب مثل هذا النوع من النبر، الذي يقوم على أساس القطع، لم يجد العرب ضيراً من الاستبدال الموقعي بين صوت الواو الانتقالي Semi - consonant الذي لا يمتلك الدرجة النبرية العالية التي يمتلكها صوت الهمزة، لأن النبر ذاته الهمز.

وثمة جانب صوتي آخر هو أن الهمز يستطيع أن يبّرز مهمة التنوين أو التصويت القصير في نهاية المقطع :

دعاءُ – دعاءٌ ⟸ (R)+(T)+(R)

(R)+(T)+(M)

بالإضافة إلى أن صوت الواو مع عدم الوقف، يتحوّل صوتياً إلى صائت، مما تنتج المعادلة المقطعية التالية :

دعاوٌ ⟸ س ع + س ع ع + ع ع س

وبما أن المقطع (ع ع س) لا وجود له في العربية في مثل هذه التراكيب، الآّ مع اسم، ابن حين الوقف عليها، لذا لا توجد امكانية لتحقيقه. ولذا جاء صوت الهمزة النبري بديلاً صوتياً لهذه الحالة، وليس لما ذهب إليه قدامى الصرفيين.

إذن لا يمكن لتركيب بنائي ان تتوالى فيه المقاطع :

(R) + (T) + (L)

ويصح استبدال الدالة (K) التي صفتها (L) بالدوال (O) و (V) .

والحالة هذه مع (استعداء)، فإنّ الحاجة الصوتية الاستبدالية لا تظهر الاّ في حالتي وصل الصائت القصير والتنوين:

اِسْتعداءٌ = اِسْتعداوون

H+(M)+(T) +(5) =

ولذا فإن المقطع الثالث = 4+1 وهو الترتيب الذي ترتضيه طبيعة المقاطع العربية، أما أن يكون متبوعاً بمقطع من نوع (4+1) وهذا ما لا يمكن أن يكون. ولهذا استبدلت الواو الانتقالية بصوت الهمزة النبري، لأداء هذه المهمة الوظيفية وللتخلّص من المقطع (4+1) .

وفي المجموعة الأخرى تظهر صورة الفعل المثال (وَعَدَ) وأصل مقاطعة ثلاثة 3(R). والأصل في مصدره أن يأتي على (وِعْدٌ): (س ع س+ س س) في حالة الوقف و (س ع س + س ع) في حالة الوصل مع الصائت القصير، و(س ع س + س ع س) في حالة الوصل، مع التنوين..ألوان هذه المقاطع كثيرة الدوران في العربيّة، وإن كانت مقاطع مغلقة تتميز بالثقل الصوتي، وليست بخفّة المقاطع المفتوحة. إلاّ إنّ العرض الصرفي الذي يقوم على تحويل (وِعْدٌ) ⟸ عِدَةٌ أمر فيه نظر صوتي، وليس إلى ما ذهب إليه الصرفيون.

عدَة   - صوت الواو (فاء الفعل)

+ صوت العين (عين الفعل)

+ صوت الدال (لام الفعل)

+ صوت التاء (تعويضيّة)

إذن لماذا الحذف ، ولماذا التعويض ؟

عِدَةٌ $(R)^2 +(T)$

وعْدٌ $(M)^2$

حذف مقطعين قصيرين، وإقامة مقطع متوسط بديلهما، بالإضافة إلى حالة الارباك المعياري :

عدةٌ ⟸ عِلَةٌ

وعْدٌ ⟸ فعْلٌ

وشتان ما بين المعيارين، ولا أرى مبرراً صوتياً يجيز مثل هذا الحذف والتعويض لما كان الأمر جارٍ على سَنَن القياس الصناعي .

وتختلف الأمور من صيغة إلى أخرى، فبعضها تجيزه القوانين الصوتية، وآخر لا تجيزه، لعدم وجود الضرورة المقطعية القائمة على التجانس الصوتي.

وفي (سلَّم) التي مصدرها (تَسْليم) يجري البناء المقطعي وفق الصورة التالية :

سَلَّمَ – تَسْليمٌ مصدر القياس الصناعي

سلَّم – سِلاَمٌ – تِسْلاَمٌ مصدر القياس السماعي

فالأولى يجري تركيبها المقطعي ⟸ في حالة الوقف {$(Z)+(M)$}

والثانية يجري تركيبها المقطعي ⟸ في حالة الوقف {$(Z)+(M)$}

⟸ في حالة الوقف {$(Z)+(M)$}

إذن من حيث التركيب المقطعي واحد .

فالمصادر القياسية والسماعية تتألف من مقطع متوسط مغلق + مقطع طويل مغلق في حالات الوقف . أما في حالات الوصل الصوتي فإنّ كلاً منهما يتألف من :

$$\{(M)^2+(T)\}$$

وفي هذا لا يوجد أي ضير من استخدام المصدر القياسي والمصدر السماعي، لأن درجة التناسق الصوتي، والبناء المقطعي تسمح بمثل هذه الانتقالات.

ومثلما تنوعت أبنية المصادر، نظراً لأن المادة اللهجيّة، كوّنت من ائتلافها بناء العربيّة العام، وكان لا بّد من هذا الحضور وأن خالف القياس، فهو من باب السماع. وقد خلّف فتح هذا الباب دخول رياح متفاوتة في درجات القوّة، الا وهي كثرة مصادر الأبنية الثلاثية، والرباعية، والخماسية، بالإضافة إلى الشواذ التي تصنّف افتراضاً على مبدأ السماع.

ولم يقم الزعم على بيّنة واضحة الطالع على أن أبنية مصادر الثلاثي المجرد قياسية مطّردة، في حين أن جمهور من قدامى القوم يسّجلونها مع مبدأ السماعية، لفقدان جوانب الضبط المعياري لها.

مصادر الفعل الثلاثي المجّرد

وبناءً على ما سلف فإنّ النصّ العربي القديم، وفق مبدأ الاستقراء الوصفي، هو المصدر الذي يُتكأ عليه في الوقوف عليها. وإن عرضت مصنفات القوم لمعاييرها، فهو من باب بعض التيسير .

فالفعل الثلاثي إما متعدي أو لازم.

فالمتعدي يكون مصدره على [فَعْلٌ – $(M)^2$] :

خَوفٌ ، غَزوٌ، مَدٌّ ، وَعْدٌ

أما ما دلّ على حرفة أو صناعة، فإنّ مصدره يكون على :

[فِعالةٌ – $\{(R)^2+(T)+(M)\}$

زراعة ، صناعة، تجاره،خياطة، ولاية، وكالة.

والفعل اللازم – حسب عينه في الزمن الماضي – تكون أبنية مصادره على ما يأتي :

	الوزن	الأمثلة
1	**فَعُلَ – فُعُولَةٌ**	بُطولة، سُهولة، صُعوبة
	فَعالَةٌ $(R)_2 +(M) +(T)$	شَجاعة، فَصاحة، جدارة
	فُعْلٌ $(M)_2$	حُسْنٌ، نُبل، جُبْن
2	**فَعِلَ – فُعْلةٌ** $(M) +(R) +(M)$	حُمرة، خُضرة، زُرقة، سُمْرة، شُقرة
	فُعولٌ $(R) +(T) +(M)$	صُعود، قُدوم
	فَعَلٌ $(R)_2 +(M)$	فَرَح، بَطَر، أسىً ، جوىَ

3	**فَعَلَ – فِعالٌ**	
	(R) +(T) +(M)	فِرار ، إباء
	(Z)+ $(R)_2$ فَعلان	خفقان، غليان
	(R) +(T) +(M) فُعالٌ	سُعال، دُوار
	(R) +(T) +(M) فَعيلٌ	صهيل، زفير
	2(M) فَعْلٌ	صوم، جَوْر، فَوز
	(R) +(T) +(M) فِعالٌ	صيام، قيام، هيام
	(R) +(T) +(M) فُعولٌ	سُجود، خروج ، وصول

أما قائمة المصادر السماعية، فهي كثيرة. ومما جاء على زنة:

اسم الفاعل – نائل، عارف، خارج، خائنة، كاذبة ..

اسم المفعول– ميسور، معقول، مرجوع، مصدوقة ..

الصفة المشبهة – سرّاء ، بفضاء، نصيحة، جريمة ..

اسم التفضيل – عُسْرى ، يُسرى، قُربى ..

مصادر الفعل غير الثلاثي المجّرد:

	الوزن	الأمثلة
1	أفْعَلَ – إفْعالٌ (M)² +(M)	إكرام، إسماع، إيمان، إعداد
	إفَعْلَهٌ (R)² +(M)²	إقامة، إرادة، إشاعة، إهانة
2	فَعَّلَ – تَفعيلٌ (M)² +(T)	توليد، تيسير، تعويد
	– تَفْعِلَةٌ (M)² +(R)²	تجربة، تذكرة، تَعلّة
		توصية، ترقية، تصفية
		توطئة، تنشئة، تعبئة
3	فاعل – مُفاعلة (R)³ +(T) +(M)	مجادلة، مفاخرة، مبايعة، مقاومة
	فعالٌ (R) +(T) +(M)	قتال ، رثاء، عداء
4	فَعْلَلَ – فَعْلَلَةٌ (M)²+ (R)²	جَلْبة، شمللة، دَحرجة .

5	فَيْعَلَ - فَيْعَلَة $(M)^2+ (R)^2$	سيطرة، بيطرة، هيمنة
6	فوعَلَ- فَوْعَلَةٌ $(M)^2+ (R)^2$	حَوقلة، جَورية
7	فَعْوَلَ- فَعْولَةٌ $(M)^2+ (R)^2$	هرولة، شعوذة
8	اِنْفَعَلَ - اِنْفعالٌ (H) +(R)+(T)+(M)	اِنْطلاق، اِنهيار، اِنْقطاع
9	اِفْتَعَلَ - اِفْتعالٌ (H) +(R)+(T)+(M)	اِحترام، احتراق، اعتداء
10	اِفْعَلَّ -اِفْعِلالٌ (H) +(R)+(T)+(M)	اِحْمرار، اصفرار، ابيضاض
11	تفاعَلَ- تَفاعُلٌ $(R)^2$ +(T) +(M)	تجاهُلُ، تيامن، تجاوُر، تضامّ تداعٍ ، تمايل، تحابّ ، توانٍ

12	تَفَعَّلَ – تَفَعُّلٌ $(R)^2 + (m)^2$	تَعَلُّم، تَيَمُّم، تبيُّن، تَعَلُّل
13	تَفَعْلَلَ – تَفَعْلُلٌ $(R)^2 + (M)^2$	تَجَلْبُب
13	تَفَيْعَلَ – تَفَيْعُلٌ $(R)^2 + (M)^2$	تحيُّر ، تَفَيْهُقٌ

وهناك أوزان عدة متداخلة من الناحية الصوتية، تحرّكها الصوائت القصيرة، نحو:

16 • تَمَفْعَلَ – تَمَفْعُلٌ – تمسكن ، تمندل ، تمنطق

17. اِسْتفعل – اِسْتفعالٌ – استدعاء، استقلال ، استحمام.

اِستفعلةٌ – اِستقالة، استعارة، استقامة

18. اِفعوعَلَ– اِفْعيعالٌ – احديداب ، اخشيشان .

19. اِفعالَّ– اِفْعيلالٌ – اسويداد ، اشهيباب، اِبْييضاض.

20. فَعْلَلَ – فَعْلَلَةٌ – زخرفة، بسملة ، برهنة.

– فِعْلالٌ – زلزال ، ضِيضاء

21. تَفَعْلَلَ – تَفَعْلُلٌ – تدحرج، تلعثم ، تجمهر

22. اِفْعَلَلَّ – اِفعلالٌ – اِطمئنان، اشمئزاز.

– فُعَلِّيلَةٌ – قُشَعْرِيرة ، طُمأنينة

2/2/3/1 اسم المصدر

المصدر وحدة لغوية تحتوي على أصوات فعلها نطقاً: (أنبت إنباتاً) أو تقديراً (قاتل قتالاً)، على رأي الصرفيين أن ألف قاتل محمولة على المصدر: لأنّ الأصل (قيتالاً). وهذا افتراض تعسفي كما أوضحناه. ومثله (تعويضاً): كما في (وَعَدَ- يَعدُ- عدة) على أن (التاء- تعويض الفاء). وكذلك (علّم- تعليماً) حيث عوضّ أحد الأصوات المزدوجة في الفعل بصوت التاء. وهذه، واقعاًمحاولة منهم لرصد حركة القاعدة الصرفية وحصرها. ولكن ليس بالافتراض والتأويل.

واسم المصدر تركيب يقوم على مشاركة الوحدة الفعلية في أصواتها الأصلية بناءً ، مع حذف الزائد منها دون حاجة إلى التعويض:

تَوَضَّأ تَوضُّوءاً- مصدر

توضّأ وضوءاً- اسم مصدر

﴿وتبتل إليه تبتيلا﴾ (المزمل/ 8)

﴿وما كان عطاء ربّك محظورا﴾ (الإسراء /20)

﴿والله أنبتكم من الأرض نباتا﴾ (نوح/17)

«أعطى عطاءً»

وعلى هذا يكون القياس الصناعي، وما غايره، فإنّما تتكفل ببيان وجوهة المعايير الصوتية الوظيفية، كما ألمعنا إلى ذلك من قبل. ولا نذهب صوب متجه الصرفيين في تسييح القاعدة الصرفية، على نفقة هوامش التسهيل، حرصاً على إمكانية تحقيق اِطّراد القاعدة الصرفية.

هذا ما وجب بيانه عن التحوّلات البنائية للمصدر الأصلي. **الذي يعتبر** أحد أنواع المصدر.

أما الأنواع الأخرى التي درجت على توزيعها النظرية الصرفية العربية، فهي:

1- مصدر النوع (اسم الهيئة).

2- مصدر المرّة (اسم المرّة).

3- المصدر الميمي.

4- المصدر الصناعي.

2/2/3/2 مصدر النوع (اسم الهيئة)

يرى المستشرق براجشترسر أنّ مصدر النوع، مما انفردت به اللغة العربيّة في الأرومة السامية.[12]

ويمثل هذا النوع من المصادر (هيئة الحَدَث) حال وقوعه. ويتميز بكونه قياساً من الثلاثي المجرَّد على وزن (فِعْلَة): قَعَدَ قِعْدَةً، ماتَ مِيتةً، هادِيء المِشْيَةِ، أنتَ عَطِرُ السيرةِ. ولا بد من قرينة تسبقه أو تأتي بعده، لتحدد الهيئة.

وتأتي القرينة لفظية (فعلاً يحمل معنى الوصف)، كقول الرسول (ص): «إذا قتلتم فأحسنوا القِتْلَةَ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبْحَةَ».[13] ومن هذا اللون من المصادر: غِمة، شِقوة، جِلسة، شِبعة.

(12) التطور النحوي (67).

(13) سنن النسائي (227/7).

وصائت الكسر يحمل وظيفة هذا اللون من المصادر، وبواسطتها يستدل عليه. ولذا فإن المصادر التي تأتي مضمومة العين أو مفتوحة (فُعلة- فَعْلَة) تغير حركتها لكي تنهض بدلالة هذا المصدر مركزياً:

كدُرَ-كِدْرةً، دعوت- دِعْوة

وإن كان المصدر يقع أساساً على وزن (فِعْلة) كان لا بدّ من دالة عليه: خدمتُ- خِدمة، يعيش- عيشة.

وهنا يدخل السياق القواعدي ليعين في أداء هذه المهمة. ومما شذّ من الخماسي: هي حسنة الخِمْرة، وهو حسن العِمَّة، وهي حَسَنة النِّقبة، من اختمر، انتقب، تعمَّمَ.[14]

2/2/3/3 مصدر المرَّة (اسم المرّة)

هو اسم يدلّ على وقوع الحدث مرة واحدة.

- يصاغ من الفعل الثلاثي المجرّد على وزن «فَعْلَة»:

نَفَخْتُ نَفْخَةً، سِرتُ سَيرةً، جلست جَلْسةً

ولا يصاغ إلاّ من فعل تام غير ناقص نحو كان، وعسى، وأصبح، ولا من الصيغ الفعلية التي تحمل معنى التجرّد الذهني، أو على ثبوت الصفة فيها: علم، فهم، جهل، كرُم، حَسُنَ، قَبُحَ، وذلك لأنّ أحداثها لا تسمح بالتكرار العددي.

---

(14) أوضح المسالك (265/2)
شرح ابن عقيل 133/2.

إنّ الدلالات الصرفية تكتسب قيمها من خلال الصيغ، واللواحق، واللواصق. وإنّ صوت التاء الملحق بالوزن للدلالة على وقوع الحدث مرّة واحدة. أمّا إذا كان المصدر مختوماً في بنيته بهذا الصوت في مثل: رَحمة، نِعْمة، رَغبة، خُلوة، فإنّها تدلّ بذواتها على المرة الواحدة بالوصف، ولذا كان لا بدّ من قرينة توضّح العدد، وكان اختيار علماء الصرف لكلمة (واحدة):

رحمة واحدة، رغبة واحدة، خلوة واحدة.

أمّا اسم المرّة من مصدر الفعل المزيد على ثلاثة أصوات، فإنّه يأتي بزيادة صوت (التاء) على مصدره الأصلي: إِكرامةٌ، تدحرجةٌ، استعدادة، استخراجة، دِحراجةٌ:

أكرمتُ– إكرامةً

تدحرجتُ– تدحرجَةً

انطلقتُ– انطلاقة.

استخرجتُ المعدن استخراجةً

فإنّ كان آخر المصدر مختوماً بصوت التاء، جيء بقرينة لفظية تؤشّر العدد:

إقامة– واحدة

استقامة– واحدة

2/2/3/4 **المصدر الميمي**

يتصدر صوت الميم الزائد هذا الاسم الذي يدلّ على حدث. ويصاغ من:

– الثلاثي المجرّد على وزن «مَفْعَلٌ»: مَنْصَرٌ– بدلالة نَصْرٌ مَضْرَبٌ– بدلالة ضَرْب، مَطْلَعٌ– بدلالة طُلوعٌ، مساقٌ– بدلالة سَوْقٌ، مَحْيا– بدلالة حياة، ممات– بدلالة مَوْتٌ. قال تعالى: «سلام هي حتى مَطْلَعَ الفجر» (القدر/٥). ومنه، مَدْخل، مَفَرّ، مهوى.

– وقد يأتي على وزن (**مَفْعَلَةٌ**): مَفْسَدة، مَسْألة، مَيْسرة، مَودّة، مَذلّة.

– أمّا إذا كان الصوت الانتقالي (الواو) مما يتصدر الفعل، فإن المصدر الميمي منه على وزن (**مَفْعِل**): موعِد، مورِد، موسم، موقف...

وكذلك إذا كان الصائت الطويل (الألف) مما يشكل عين الفعل: مَبيع، مَسير، مجيء، مشيب، مصير، مبيت، مغيب، مميل، محيض.

– أمّا من **غير الثلاثي المجرّد** فإنّ المصدر الميمي يأتي على زنة فعله المضارع المبني للمجهول:

مُزْدَجَر، مُدْخَل، مُخْرَج، ممزّق، مُعوّل، مشتكى، مُنتهى، منقلب: قال تعالى: «ومزّقناهم كلّ مُمزَّق» (سبأ/19)

﴿ إلى ربِّك يومئذٍ المُستقر﴾ (القيامة/12)

﴿وقل ربي أدخلني مُدْخَلَ صدقٍ وأخرجني مُخْرج صدقٍ﴾ (الإسراء/80)

2/2/3/5 **المصدر الصناعي**

يتشكل هذا اللون من المصادر– بزيادة اللاحقة «يَّة» على آخر الوحدة اللغوية. أي بزيادة صوتين أحدهما انتقالي والآخر صامت:

أُلوهيَّة، رجوليَّة، قبليّة، مسؤوليّة، عبقريّة، وتأتي صناعته من:

– **اسم الذات**– إنسانية، مدنية، علمية، وطنية...

– **الاسم المبني**– كيفيّة، كميَّة، حيثيّة، هُوُيَّة...

– **الاسم المشتق**– شاعريّة، مسؤوليّة، قابلية، أكثريّة.

– **الاسم الأعجمي**– ديمقراطية، ارستقراطية، كلاسيكيّة.

– **الارتجال**– فروسيّة، عُروبيّة، عبوديّة، عنجهيّة.

وقد استأنس المعاصرون هذا اللون من الصناعة المصدريّة فراحوا يطلقون لرواحلهم العنان في فلواتها: القوميّة، العليّة، الآنية، اللميّة، الاسلوبيّة.

ولعلّ الفرق واضح بينه وبين الاسم حين يكون مؤنثاً منسوباً: رفقة عربيّة، خطوة إيجابيّة.

ومنه في الانجليزية: Humanity ⟸ Human

2/2/4 التنوّعات الصرفيّة(*)

تضمّ هذه التنوّعات سبعة أصناف:

- **اسم الفاعل– صيغ المبالغة.**
- **اسم المفعول.**
- **الصفة المشبهة.**
- **اسم التفضيل.**
- **اسم الزمان.**
- **اسم المكان.**
- **اسم الآلة.**

وهذه التنوّعات هي صفات صرفيّة تحمل دلالات معينة، إلى جانب دلالاتها المعجميّة المكتسبة من الجذر الذي تولّدت منه.

والصفة الصرفية (صيغة) ذات تركيب معين تجري وفق ميزان. ولذا فإنّها عندما تدخل بنية التركيب القواعدي، فإنّها تكتسب علاقة وظيفية معينة، تنحو بها إلى جوانب دلالية مختلفة، ينهض السياق بها ويعين على بلوغ مقاصدها.

2/2/4/1 اسم الفاعل(*)

لاسم الفاعل دلالة مزدوجة القيمة: الحدث + الفاعل. وقد يكتسب من خلال بنية التركيب وسياق الحدث الدلالة على الزمن.

(*) وهي المشتقات التي تصاغ من المصدر.

(*) يعمل اسم الفاعل عمل فعله المبني للمعلوم، فيأخذ حكم هذا الفعل في التعدي واللزوم.

فلو تأمّلنا قوله تعالى: «والله مُخْرِجٌ ما كنتم تكتمون» (البقرة/٧٢)، فإنّ اسم الفعل (مُخرج) يحتوي على:

(+) الحدث ⟸ يدلّ على حدث الإخراج.

(+) الزمنية ⟸ الاستقبال.

(+) الفاعل ⟸ المتقدّم.

وكذلك الأمر في النص القرآني: ﴿وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد﴾ (الكهف/18).

وقد أدرك متقدمو القوم أنّ هناك تماثلاً من حيث الدلالة بين اسم الفاعل وصيغة المضارع، إلاّ من بعض التباين الوظيفي القائم على الرسوخ والتجدد.

واسم الفاعل صفة مشتقة من مصدر الفعل المتصرف، المبني للمعلوم حدوثاً مؤقتاً، وغير ثابت (دائم).

وقد لاحظ الصرفيون أنّ هناك شبهاً بين اسم الفاعل، والصفة المشبهة، في أنّ كلاً منها يدلّ على ذات موصوفة بحدث قامت به أو وقع عليها، وأنّ كلاً منهما وبمعية اسم المفعول، يؤنث ويثنى، وقد تكون علامات التأنيث، والتثنية، والجمع فيها واحدة.

ولذا فإنّ الصيغ التي تتضمن ثبوت الحدث وديمومته تصبح صفات مشبّهة: «دائم، خالد، مستقرّ...». والأكثر في اسم الفاعل أن يصاغ من الفعل المتعدي: هادم، قائل، واضع، وقد يأتي من فعل لازم: جالس، نائم، وهو قليل لأنّ الأصل في اسم الفاعل أن يصنع لما وقع الفعل منه على سواه، وهذا ما تكون عليه حالة التعدّي.

أما صيغة اللزوم، ولا سيّما «فَعُلَ- فعِلَ» فإنّها أكثر لصوقاً بالصفات الثابتة والغرائز، وهذه مادة الصفة المشبهة.

يجوز تحويل اسم الفاعل إلى معنى الصفة المشبّهة وذلك:

- عن طريق **السلوك الإضافي**: إذا كان اسم الفاعل مشتقاً من مصدر فعلٍ متعدٍ، فإنّ الإضافة تقع على مفعوله في التصور المعنوي:

الله خالق الأكوان.

الله مالك الحياة والآخرة.

أوعن طريق **إضافته إلى فاعله في التصور المعنوي**، وهو الأعم الأغلب:

«إنّ ربّك واسعُ المغفرةِ» (النجم/32). **أمّا إذا كان مشتقاً من مصدر فعل لازم، فإنّه يضاف إلى فاعله في التصور المعنوي:**

أنتَ راجحُ السِّيرةِ.

خالدُ حاضِرُ الخَيرِ.

أو ينصب على مثول التمييز:

اليتيم منكسرٌ قلباً

الجميلُ شامخٌ أنفاً.

أو الرفع بعده على الفاعلية:

الكريمُ ظاهرٌ لُطفُه.

الحليم عالٍ شأنُه.

أمّا صياغة اسم الفاعل فإنّها تأتي على ضربين:

– **الثلاثي المجرَّد**: ومنه يصنع على وزن «فاعل» والأكثر فيه أن يكون فعله «متعدياً»: عابد، شاكر، كاتب، قابض.. أو «لازماً»: سائح، قائم، تائب.

وهذه من باب (فَعَلَ $(R)^3$). ويصنع، أيضاً، إن كان الفعل من باب (فَعِلَ $(R)^3$) وبناؤه متعدٍ: حامِد، حافِظ، فاهِم... أو بناؤه لازم: سالم، يائس، طامع، وهو قليل الورود في مقياس أهل الصرف.*

والأمر إذ يستوي مع الأبنية الصحيحة على ما طُرح، فإنّ في العربيّة أفعالاً ذات عناصر صوتية ضعيفة، لا تقوى على مجابهة التغيّرات، مما تتسبب في توجيه بناء صيغة (اسم الفاعل)، وفق المنظورات المقطعية التالية:

باعَ ⟸ بائع $V + M = \frac{\phi}{A}\ V + O$

ونظراً لشيوع ظاهرة عدم الهمز وسط القبائل الحجازية وأهل مكّة والمدينة، لما لها من سلطان سياسي، وديني وسط القبائل العربية، أدّى إلى عدم استقرارها. وهذا مما نحا بهذا الصوت الحنجري الانفجاري الوقفي Glottal Stop إلى أن لا يكون للهمزة، في مواضع كثيرة من التراكيب وجود قيمي، لأن في إثباتها أو اسقاطها لا تطرأ على الوحدة اللغوية أية تغيّرات في مستوى الدلالة. ويكاد هذا الأمر بقتصر عليها دون بقية فونيمات اللغة العربيّة. فوظيفة الهمز، تباينية، وإنّ الذي يحقق وجودها أو يسلبها قيمها هو النبر ولذا يصحّ

(*) رجل عَدْل، دم كذِب، زمن غمٌّ ⟸ مصدر دل على معنى اسم الفاعل.
ماء دافق، عيشة راضية، ليلة ساهرة ⟸ اسم الفاعل دل على اسم المفعول.
عازب، شارع، شاعر، شاهد، حاجب ⟸ اسم الفاعل دل على اسم الذات.
وهذه كلّها من باب التبادل الصيغي الذي غذّى ظاهرة التقابل الدلالي Antonym:
ومنها ذعور بدلالة ذاعر ومذعور. وقد تأتي صيغة فعيل بدلالة فاعل مثل سميع وسامع، عليم وعالم، قدير وقادر.

لنا أن نقول، بعد أن نرى الصورة الثانية لاسم الفاعل على رأي الصرفيين:

باعَ. بايع $M + (V)2 = V + M = \frac{\phi}{A}$ V + O

وقد جاءت المعادلة المقطعية في كلا الصورتين واحدة، مما يدلل على صحة ما ذهبنا إليه. وليس كما صرّح أهل الصرف أن الأصل (بايع) وقد أبدلت ياؤه همزة لوقوعها بعد ألف اسم الفاعل الزائدة.

ومثله، مائل، سائر، دائن، سائح... فكلّها ذوات بناء مقطعي واحد، سواءً أكانت مع صوت الهمزة، أو مع الياء، وإنّها، بالإضافة إلى قيمة الهمزة التباينية، مظهر لهجي ينتشر على أفق الصيغ العربية. وهو مظهر سلبي لم تستطع اللغة العربية أن تتخلص منه، ولذا عدّ من مظاهر الابدال السماعي.

قالَ ⟸ قائِل $= V + M = \frac{\phi}{A} =$ V + O

قاول $(V)^2 + M =$

ومثلها، جائر، عائد...

ماتَ ⟸ مائت $V + M = \phi \frac{}{A} \Leftarrow$ V + O

مَيْت $= M + O$

$= M + V$

ويبدو أن تركيب الصيغة حدث عليه تغييران صوتيان الأول نقله من (V + M) إلى M + 2(V) وبما أن العربية لا تميل إلى المقاطع نوع (Z) لذا جاء الاختزال الذي سببه طول النفس الصوتي، بناء على قانون «نسب التسارع الصوتي) إلى:

ماتَ ⟸ مائت ⟸ مايت ⟸ مَيْتْ

س ع ع + س ع ع س = س ع س س

إذ اختزلت نواة المقطع الأوّل (المركز)، ونواة المقطع الثاني (المركز) إلى نواة واحدة، لأنّ المقطع الواحد لا يمكن أن يستوعب أكثر من نواة. ولذا جاء المقطع بصورته النهائية لـ (ميتْ) س ع س س بنواة واحدة.

أما (قاضٍ، ساعٍ، رامٍ، عاصٍ، ناهٍ ....) فإنّ بناءها المقطعي هو الذي يعلل هذا التحوّل، وليس كما ذهب الصرفيون إلى مسألة التقاء الساكنين، مما لا تميل إليه العربية.

قضى ⟸ قاضيٌ ⟸ قاضٍ

⟸ س ع ع + س ع ع + س ع س= س ع ع + س ع س

حيث جاءت (قاضيٌ) مؤلفة من ثلاثة مقاطع متوسطة، مما يتطلب جريانها جهداً قوياً، لذا وقع الاختزال على مقطعها الثاني، الذي يشكّل قمة الثقل الصوتي، مكتفية بمقطعين: الأول منها مفتوح، والثاني مغلق.

ويجري هذا الأمر مع: (داعٍ، سامٍ، قاسٍ...)

- **من غير الثلاثي**- يصنع اسم الفاعل على وزن الفعل المضارع المبني للمعلوم، مع تغيير صوت المضارع ميماً مضمومة، وكسر ما قبل آخره: «مُخرِج، مُساعِد...»

ويبدو أن صيغ الفاعل لا تجري كلّها على قانون تركيبي مطّرد. فقد جاء:

أيفع– يافع، أمحل– ماحل، أعشب– عاشب، وسُمع، مهمل، معشب.

وجاءت (فعيل) بمعنى (مُفْعِل): نذير، نبي، سميع، عجيب، وبمعنى (مُفاعل) جليس، رفيق، شريك، فريق، حليف، نديم، سمير.

وبمعنى (مُفْتعل): جميع، فقير، رفيع، شديد، وبمعنى (مُتفعِّل): سَمِيّ، وبمعنى (مُفعَّل): بشير.

وتُطلّ علينا من نافذة اسم الفاعل ظاهرة تتصل بالبناء الاسلوبي الذي جوهره اللغة. وقد سجّل القرآن الكريم هذا اللون من التبادل الوظيفي بين هذا المشتق واسم المفعول: قال تعالى:

﴿فلينظر الإنسان مِمَّ خُلِق، خلق من ماء دافق﴾ (الطارق/5-6، (مدفوق)

﴿لا عاصم اليوم من أمر الله إلاّ من رحم﴾ (هود/43)، (معصوم)

﴿فهو في عيشة راضية﴾ (الحاقة/21)، (مرضيّة)

حيث نهضت الدلالة بهذا الدور التبادلي الوظيفي. ولم يكن اسم المفعول لوحده من أطلّ، فهناك **المصدر**.

قال تعالى: ﴿ولا تزال تطَّلعُ على خائنة منهم إلاّ قليلاً﴾ (المائدة/13) (خيانة).

﴿أزِفت الآزفة، ليس لها من دون الله كاشفة﴾ (النجم/57-58) (كشْف)

﴿إنّا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار﴾ (ص/46) (الإخلاص).

﴿فأمّا ثمود فأهلكوا بالطاغية﴾ (الحاقة/5) (الطغيان)

﴿إذا وقعت الواقعة، ليس لوقعتها كاذبة﴾ (الواقعة/1-2) (كَذِب).

﴿لا تسمع فيها لاغية﴾ (الغاشية/11)، (اللغو).

﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً، إلاّ أن يشاء الله﴾(الكهف/23-24).

﴿الرجال قوّامون على النساء بما فضّل الله بعضَهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتاتٌ حافظاتٌ للغيب بما حفظ الله﴾ (النساء/34).

﴿يا صاحبي السجن أأرباب متفرّقون خير أم الله الواحد القهّار﴾ (يوسف/39).

﴿إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون﴾ (الحِجْر/9).

قد لا يفيد (اسم الفاعل) الدلالة على المبالغة الصريحة، لذلك يرى الصرفيون أنّه بالإمكان تحويل صيغة (فاعل) الدالة على (اسم الفاعل) إلى بناء آخر يدلّ على الكثرة والمبالغة الصريحة. وهي صفة فائدتها التكثير في حدث اسم الفاعل.

ولهذا اللون الصرفي الانتقالي أوزان عدة هي:

- **فَعّال** ⟸ شرّاب، وصّاف، قوّال، جرّاح، بيّاع.
- **فَعول** ⟸ غفور، صبور، نؤوم، بَغِي (بَغُوْيٌ).
- **مُفْعَال** ⟸ مقدام، معطاء، منحار، معوان.
- **فَعيل** ⟸ عليم، سميع، رحيم، عَصِيٌّ، ضنين، قدير.
- **فاعول** ⟸ فاروق، عاشور، صاروخ.
- **فيعول** ⟸ قيّوم، صيّوب، قيّدود.
- **مِفْعَل** ⟸ مِطعن، مِكرّ، مِفرّ.
- **مِفْعيل** ⟸ مسكين، معطير، منطيق.
- **فُعَلَة** ⟸ هُمَزَة، لُمَزة، لُعَبة.
- **فعّالة** ⟸ علاّمة، نسّابة، نوّاحة.

وبعضها قياسية وأخرى سماعية، وبعضها يستوي معها المذكر والمؤنّث، وهي تصاغ من الفعل الثلاثي المجرد والمزيد، المتعدي، واللازم منه.

2/2/4/2 اسم المفعول

اسم مشتق من الفعل المضارع، المبني للمجهول، للدلالة على مَنْ وقع عليه أثر الفعل حدوثاً لا ثبوتاً، وإذا أريد به الثبوت أصبح صفة مشبّهة.

يصاغ اسم المفعول من الثلاثي المجرّد على وزن «مفعول»:

مكتوب، مدروس، محفوظ، ميمون.

ومن الصيغ التي تتألف من عناصر صوتية غير مستقرة، نورد ما يأتي:

قرأ– يقرأ– مَقروءٌ.

غزا– يغزو– مَغزوٌّ.

دان– يدين– مَدينٌ.

خاف– يخاف– مَخوفٌ.

وقى– يقي– مَوْقِيٌّ.

طوى– يطوي– مَطويٌّ.

استعان– يستعين– مُسْتعان.

وهناك، بعض ما ورد عن الاستقراء الصرفي، صيغ اشتركت بين اسم الفاعل، واسم المفعول:

مُحْتَلّ- مُحْتَلِلٌ ⟸ اسم فاعل.
مُحْتَلّ- مُحْتَلَلٌ ⟸ اسم مفعول.
مختار- مُخْتَيِرٌ ⟸ اسم فاعل.
مختار- مُخْتَيَرٌ ⟸ اسم مفعول.
محتاج- مُحْتَوِجٌ ⟸ اسم فاعل.
محتاج- مُحْتَوَجٌ ⟸ اسم مفعول.

وهناك بعض الصيغ التي ظهرت في قائمة الاستقراء الصرفي بمعنى اسم المفعول:

- فَعيلٌ ⟸ قتيل، جريح، ذبيح، كحيل، أسير، حبيب.

⇓ ⇓ ⇓ ⇓ ⇓ ⇓

مقتول، مجروح، مذبوح، مكحول، مأسور، محبوب.

ومعها يستوي المذكر والمؤنّث.

- فِعْلٌ ⟸ ذِبْح، طِرْح، طِحْن

⇓ ⇓ ⇓

مذبوح، مطروح، مطحون.

- فَعَلَ ⟸ قَنَصٌ، عَدَدٌ، سَلَبٌ

⇓ ⇓ ⇓

مقنوص، معدود، مسلوب.

- فُعْلَةٌ ⟸ غُرْفَةٌ، طُعْمَةٌ، مُضْغَةٌ

⇓ ⇓ ⇓

مَغْروف، مَطْعومٌ، ممضوغ.

وقد ترد صيغة **اسم المفعول** في رداء المصدر دلالة:

كذبٌ ⟸مكذوبٌ ﴿وجاءوا على قميصه بدم كذب﴾ (يوسف/18).

ضَعفٌ ⟸ضعوفٌ «هذا رأي ضعفٌ».

عَقْدٌ ⟸ معقودٌ «خالد ليس له عَقْدٌ».

ذَرْعٌ ⟸ مذروعٌ «ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه» (الحاقة/32).

هُزْوٌ ⟸ مهزوءٌ «قالوا أتتخذنا هزواً» (البقرة/67).

خَلْقٌ ⟸ مخلوقٌ «هذا خلْقُ الله» (لقمان/11).

لَفْظٌ ⟸ ملفوظٌ «كلامنا لفظ مفيدٌ».

قَوْلٌ ⟸ مقولٌ «هذا قول حسن».

وقد يرد العكس المصدر برداء اسم المفعول دلالة:

مهجور ⟸ هَجْر «إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً» (الفرقان/30).

مَعقول ⟸ عَقْل (زيدُ ليس لإصراره معقولٌ).

مَعْنِيٌّ ⟸ مَعْنَى (هذا أمر ليس له مَعْنِيٌّ).

ولا بدّ أن نقف مع بعض الصيغ التي ترى اللسانيات الحديثة فيه توجّهاً من حيث التحليل البنائي يغاير ما نهض عليه المذهب الصرفي القديم.

فالفعل «قرأ– يقرأ– مقروءٌ».

وورد عن سيبويه «مقروٌّ»[15]

(15) الكتاب (بولاق) 547/3

وهنا نلاحظ سقوط الهمزة من البنية التركيبية، وهي مجازية. حيث تحوّل التوتر النبري من همزيّ إلى نبر تضعيفي، وهو ما يطلق عليه (النبر القصدي) Aimed Stress. وهناك النبر المدي (الطولي)، وهو ما أشار إليه سيبويه، باسقاط الهمز الوسطي.[16]

ويلاحظ أن كلا الصيغتين مقبول مقطعياً، ومتماثل في عدد العناصر الصوتية: ثلاثة مقاطع مغلقة، حيث يستشعر معها المُرسِل صعوبة، في بعض اللهجات، ولذا يستبدل مقطعها الثاني، بمقطع مماثل مفتوح.

أمّا (استعان) فيرى الصرفيون أن أصل اسم المفعول في بنائها «مُسْتَعْوَنْ» «مُسْتَعَوْنْ» حيث قلبت الواو ألفاً بعد نقل حركتها إلى صوت العين الساكن، ثم قلبت ألفاً.

اِسْتعانَ ⟸ مُسْتَعْوَنْ ⟸ مُسْتَعَوْنْ:

$$S + O + V + O \Rightarrow (M)^3 \Rightarrow (M)^2 + O$$

استعانَ ⟸ مُسْتعانْ $M + O + Z$ $\quad S + O + V + O = \dfrac{\phi}{B}$

وهي تركيبة مقطعية تتعارض والقوانين الصوتية التي تذهب إلى التجانس الصوتي واختزال الجهد، لأنّها مقطعياً مضطربة، ولا تصلح إلاّ للجدل الافتراضي غير المرغوب فيه. كما هو ملاحظ من الصورة الأُولى، التي توالت فيها ثلاثة مقاطع متوسطة مغلقة، ثم حوّلوها بعد أن وقفوا على

(16) المرجع نفسه 3/544-545

استحالة تحقيقها إلى (مقطعين متوسطين مع مقطع صغير، وحولّوها مرة ثالثة إلى ثلاثة مقاطع متغايرة (MOZ). وهي الصورة التي ارتضاها البناء المقطعي.

وكذلك الأمر في «محتاج» فقد قال الصرفيون إنّ أصلها «مُحْتَوَجْ» ومختار «مُخْتَيَرْ»:

احْتاج- مُحْتاج $\Leftarrow$ $S + V + O \frac{\phi}{B} = M + Z$

مُحْتَوَج $\Leftarrow$ $S + V + O \frac{\phi}{B} = M + O + M$

أمّا (محتلُّ) التي يذهب الصرفيون أنّ الأصل فيها (محتلل) فإنّه للسهولة واليسر، لأنّ الصوت المضعف يحتاج في نطقه لزمنين مما يحتاجه الصوت المفرد، وفي حالة الازدواج مع وجود التركيب الصفري، يتشكل ثقل صوتي كبير، وهذا يستدعي من القوانين الصوتية دخول عامل المخالفة الصوتية Dissimilation وهي كثيراً ما تحدث في غالبية اللغات مع الأصوات المتوسطة (ل، م، ن، ر) لتيسير جانب الدلالة.

وقد باعدت المخالفة بين هذين الصوتين المتماثلين، حينما قرّبت بينهما المماثلة Assimilation. ولعل الأصل (مُحْتال) فقلبت المخالفة صائت الألف الطويل إلى أقرب الأصوات إليه من حيث الجهر والقوة الاسماعية، لما يماثله من الأصوات المتوسطة وهو اللام، ليصبح (محتلل).

والحالة نفسها مع: متحابّ، مُشادّ، ممتد، مُعتد، محمر، مصفار (مصفّر).

2/2/4/3 الصفة المشبهة

اسم مشتق من الفعل اللازم للدلالة على استمرار الحدث عبر أزمنته.[17]

ولعلّ سبب نعتها بـ«المشبهة» اختصاراً من التشبيه باسم الفاعل، وبتوالي الاستعمال وكثرته حذفت نهاية المصطلح.

ويأتي هذا اللون من التشابه في مواضع خمسة:

١- التثنية والجمع.

٢- قبول الألف واللام.

٣- نصب المعرفة.

٤- الدلالة على الحدث ومَنْ قام به.

٥- التذكير والتأنيث.

وتختلف مع اسم الفاعل في مواضع هي:

١- أنّها تدلّ على صفة ثابتة لصاحبها.

٢- أنّها تدلّ على زمان معين، لأنّها ملازمة للثبوت، وهذا مما لا يحتاج إلى زمن، عكس الصفات العارضة.

ولكن إذا أريد بالصفة الحدوث، والتجدد، لا الثبوت، والاستمرار، قرنت بزمان، وهذا مما يساعد على بناء الدلالة وتوجيهها:

قال تعالى: ﴿فلعلّك تاركٌ ما يُوحى إليكَ وضائق به صدرك﴾ (هود/12)، حين تمّ العدول من «ضيّق» إلى «ضائق» للدلالة على الفرضية وعدم الثبوت. وبحسب هذا المعيار تتحول الصفات المشبهة إلى اسم الفاعل:

---

(17) شرح الشافية (147/1).

كريم- كارم، حَسَن- حاسن، طمع- طامعٌ، سيِّد- سائد.

ولكنّ القرآن الكريم، أبقى، في بعض الآيات على وزن هذه الصفة:

﴿إنَّك ميِّت وإنهم ميِّتون﴾ (الزمر/30).

﴿أفما نحن بميتين إلاّ موتتنا الأولى»﴾ (الصافات/59).

ذلك لأن هذه الصفات ارتبطت بالمستقبل، مما يعني اقترانها بزمن، وهذا مخالف لشروط تحقيقها، إضافة إلى أنّها لم تحقق الوصف حال الإخبار، بل ما سوف يكون، وعلى هذا فـ «مائت»، وهذا ما لم يقع، لبلاغة في النظم وحركة الدلالة الصوتي،ة والصرفية، والسياقية.

وقد يتحول اسم الفاعل إلى الصفة المشبهة، ويأتي عبر حالين:

١- إذا كانت الدلالة تذهب إلى الثبوت والدوام: عالم، عاقل.

٢- إذا تمت الإضافة إلى فاعله: جاحظ العينين، شامخ الأنف، وقد يتحوّل اسم المفعول إلى الصفة المشبهة، في حال محافظته على صيغته الأصلية، وفي هذه الحالة يضاف إلى نائب فاعله: مُبارَكُ اليدِ، مُحترَمُ الرأي.

وقد وجد الصرفيون أنفسهم أزاء أقيسة النظم في التركيب القواعدي، وما يمكن أن تسببه من حالات عدم التوازن الدلالي. الصفة المشبهة تشتق من فعل لازم، مما لا تنصب مفعولاً به، وفي هذه الحالة اعتبر المنصوب شبيهاً بالمفعول به.

أما في حالة إضافة اسم المفعول، لكي يتحول إلى صفة مشبهة، فذلك بغير التوجّه الدلالي للصفة المشبهة، الذي يذهب بالموصوف على سبيل الفاعلية، ولهذا سميت (صفة مشبهة). وفي هذا يمكن أن يؤول الأمر إلى

موصوف على سبيل المفعولية. وقد أعرب بعض الصرفيين المرفوع الذي يقع في التركيب فاعلاً، لا نائب فاعل: فلان محمود خلقُه، محوّل من: «محمودُ الخلقِ.

وهناك بعض الظواهر في دائرة السماع، حملت معنى الصفة المشبهة، وهي من الأسماء الجامدة. لكنها دلّت على ثبوت صفة في موصوفها:

هذا شرابٌ عَسَلٌ طعمُه، ابنتي قمرٌ وجهُها، تناولت شراباً عَسَلاً طعمُه.

تأتي الصفة المشبهة على أوزان عدّة، ذكرها سيبويه، والرضي الاسترابادي وسواهم.[18] ومعظم هذه الأوزان سماعية؛ ويصاغ من الفعل الثلاثي اللازم حسب المعايير التالية:

فَعِلَ (R)3

⟸ الدلالة على الفرح أو الحزن وما يماثلها:

فَرِحَ– فَرِحٌ– فَرِحَةٌ

ضَجِرَ– ضَجِرٌ– ضَجِرَةٌ.

⟸ الدلالة على الخلود والامتلاء:

عَطِشَ– عَطِشٌ– عَطْشى

ظمِئَ– ظَمْآن– ظَمْأى.

---

(18) شرح الشافية (143/1)، والكتاب (99/1).

شَبِعَ- شبعان- شَبْعَى.

رَوِيَ- ريَّان- رَيَّا.

⟸ الدلالة على لون أو عيب أو حلية:

حَمِرَ- أحْمَرٌ- حَمْراءٌ.

خَضِرَ- أخْضَرٌ- خَضْراءٌ.

عَوِرَ- أعْوَرُ- عوراءٌ.

عَمِيَ- أعْمَى- عَمْياءُ.

نَجِلَ- أنجلُ- نَجلاءُ.

ويلاحظ على الشواهد السابقة أنّها جاءت على وزن:

(فَعِلَ) للمذكر و(فَعِلَةٌ) للمؤنّث.

(فَعْلانٌ) للمذكر، (فَعْلى) للمؤنّث.

(أَفْعلُ) للمذكر، (فعلاءُ) للمؤنّث.

ولنا مع حالة التأنيث وقفة لا بّد من بيانها لما لها من أهمية في الدرس الصرفي.

العربية واحدة من اللغات السامية، التي احتفظت بعلامات خاصة للتأنيث،(19) وهذه العلامات:

- **(صوت التاء).**
- **(صائت الألف الطويل (الممدودة).**
- **(صائت الألف الطويل (المقصورة).**

---

(19) ينظر مبحث فصيلة الجنس (ثنائية التذكير والتأنيث 2/2/6 للتفصيل.

وتعتبر علامة (التاء) من أهم العلامات، وأكثرها ذيوعاً. ويحتمل أنّها كانت في اللغات السامية عنصراً إشارياً.

ومن شروط هذا الصوت أن يأتي ما قبله مفتوحاً:

كبيرَةٌ– صغيرَةٌ– رَقَبَةٌ–

وقد وردت في كلمات، جاء ما قبلها ساكناً:

بِنْت– أُخْت–

وقد ظن ابن جنّي أن علامتهما ليست علامة تأنيث لسكون ما قبلهما(20) لكنّ سيبويه أشار إلى أنهما علامتا تأنيث حتى ولو جاءتا ساكنتين.(21)

ويظهر، حَسْب ما أفاد الزمخشري، أن التاء في (أخْت– بِنْت) مبدلة من صائت الواو الطويل: (أخو– بَنو)، وفي هذا نظر. تقلب هذه التاء إلى صوت آخر حنجري هو (الهاء) حينما يوقف عليها: كبيره– صغيره– بقره– شعرَهْ، زوجَهْ.

وإنّا لا نذهب إلى حالات الفتح، والسكون قبل صوت التاء، إلاّ أن نفسره على وفق وجهة المقطع الصوتي:

أختْ، بنتْ ⟸ (س ع س س) في حالة الوقف.

⟸ (س ع س + س ع س) في حالة الوصل.

كبيرَةٌ ⟸ (س ع + س ع ع + س ع س) في حالة الوقف.

(س ع + س ع ع + س ع + س ع س) في حالة الوصل.

---

(20) سر صناعة الإعراب (165/1).

(21) الكتاب (13/2، 82).

وفي هذا لا موجب إلى إملاء شروط الفتح والسكون قبل صوت التاء. وكلّ ما في الأمر التحوّلي أن هيئة المقاطع تباينت في الكمية الصوتية، وكذلك في حالات الانفتاح والإغلاق.

لا يقوم حال التبادل الصوتي بين (صوت التاء)، في حالة الوصل، و(صوت الهاء) في حالة الوقف، على وشيجة تقاربية بين هذين الصوتين، إنّما سرّ الأمر يتوقف على طبيعة المقطع الصوتي ذاته. ولذا فإنّ الرسم الكتابي اعتمد المنطوق في الابتداء والوقف، وهو ما أفاده السيوطي قائلاً:

«القاعدة العربية أنّ اللفظ يكتب بحروف هجائية، مع مراعاة الابتداء والوقف عليه».[22]

وظهرت في بنية العربية حالات تساوي فيها الوصل مع الوقف. فقد ورد عن الفرّاء: «هذه طلحهْ قد أقبلت» وأنشد على هذه اللهجة قول الراجز:

لما رأى أن لا دَعَهْ ولا شِبَعْ

مال إلى أرطأة حقف فاضْطجَعْ[23].

ولعلّ أصالة هذه التاء تحققها حالات الإضافة:

بقرة خالدٍ، شجرة التفاح...

---

(22) الاتقان (166/2).

(23) معاني القرآن للفراء (388/1).

رأي البصريين أن الأصل هو التاء وأنّ الهاء في حالة الوقف. أما الكوفيون فيرون أن الأصل هو الهاء. وقد جاء عن سيبويه: «وأما الهاء فتكون بدلاًمن التاء التي يؤنث بها الاسم، في الوقف، كقولك: «هذه طلحهْ» الكتاب (313/2).

أمّا المبرّد فيقول: «وأمّا الهاء فتبدل من التاء الداخلة للتأنيث؛ نحو: «نخلة وتمره». إنّما الأصل التاء، والهاء بدل منها في الوقف» المقتضب (63/1).

وقد ذكرت مصنفات القدامى أن صوت التاء، إنّما هو لتمييز المذكر والمؤنث حين تدخل على الأسماء العربية. وهناك حالات أخرى تدخل فيها التاء الأسماء لغير التأنيث.

أما **العلامة الثانية** فهي (**الصائت الطويل الألف: الممدودة– Long-vowel**) حيث توجد في صيغة (فعلاء) مؤنث (أفْعَل).

أما **العلامة الثالثة** فهي (**الصائت الطويل الألف: المقصورة Long-vowel**) حيث توجد في صيغة (فَعْلَى) مؤنث (أفْعل). وهناك (فُعْلى) الدال على التفضيل (كبرى) مؤنث (أكبر). و(حُبْلى). وقد تباينت صور هذه العلامات في اللهجات، ويمكن أن نرى ذلك في:

صحراء– صحرا– صحره

وهو تطور صوتي يقوده قانونا اختزال الجهد، ونسب التسارع. بالإضافة إلى ما تقدّم، فإنّ الهمزة النبرية، مما يمكن أن يعدّ من الأصوات التي لا تؤثر في القيمة الدلالية سواءاً أثبتت في النص أم لم تثبت. وهذا واضح في الصفات التي جاءت على وزن (فعلاء). ولعلّ السرّ يكمن في التكوين المقطعي لها:

فعلاءْ ⟸ س ع س + س ع ع س

فعلا = س ع س + س ع ع

وصورة المقطع الثاني المفتوح هي أخف وأسهل في النطق من الصورة الأولى التي احتوت مقطعاً كبيراً مغلقاً.

فَعُلَ
(R)3

إذا جاء الفعل الثلاثي اللازم على هذا الوزن، كانت الصفة المشبهة منه على الأوزان التالية:

- **فَعيلٌ**- شريف، جميل، كريم.
- **فَعْلٌ**- صعب، شَهْم، سَمْح.
- **فَعَلٌ**- حَسَنٌ، بَطَلٌ.
- **فَعالٌ**- حَصَانٌ، رَزانٌ، جبانٌ.
- **فُعال**- فُرات، شجاع.

فَعَلَ
(R)3

إذا جاء الفعل الثلاثي اللازم على هذا الوزن، كانت الصفة المشبهة منه على وزن (فَيعَلٌ): جيِّد، ميِّت، سيِّد.

وهناك أوزان أخرى سماعية جاءت منها الصفة المشبهة على الوجه التالي:

فَعُلَ ⟸ **فُعْلٌ**- صَلُبَ- صُلْبٌ.
فَعِلَ ⟸ **فُعْلٌ**- حرَّ- حَرِرَ- حُرٌّ
فَعُلَ ⟸ **فِعْلٌ**- مَلُحَ- مِلْحٌ
⟸ **فَعْلٌ**- ضَخُمَ- ضَخْمٌ
⟸ **فَعيلٌ**- كَرُمَ- كريمٌ.
⟸ **فاعل**- طَهُرَ- طاهِرٌ، صَحِبَ- صاحِبٌ.

ومن غير الثلاثي: اشتدَّ، استقامَ، انطلقَ، اعتدلَ، ارتفعَ- من مصدر الفعل اللازم على صيغة اسم الفاعل، مضافاً إلى فاعله في التقدير الذهني:

مُشْتَدُّ العزيمةِ

مُستقيمُ الرأيِ

مُنطلقُ الذهنِ

معتدلُ القامةِ

مرتفعُ الهامةِ

ومن مصدر الفعل المتعدي على صيغة اسم المفعول؛ مضافاً إلى نائب فاعله في التقدير الذهني:

سَربَلَ، بَعْثَرَ، زَلزلَ، أكرَمَ، تجاهل، احتقرَ:

مُسَربلُ الرأيِ.

مبعثر التفكيرِ.

مزلزل النفسِ.

مُتجاهَلُ الحديثِ.

محتقرُ الهمّةِ.

وهناك صيغ سماعية للصفة المشبهة كثيرة منها:

طُوالُ وطوّال، كبُارٌ وكُبّارُ، صِنديد، بَيطار، أُملود، عفريت، دِعبِل، زَمهرير، قَمطرير، وسواس، سَرْمد، بَهلول، سَاذَج، صُعلوك، سَميدع، طُرطبَّة، طرمّاح، هِزَبْر، مولى.

2/2/4/4 اسم التفضيل (أفْعَلُ التفضيل)

اسم مشتق يذهب الدلالة معه إلى الاشتراك في الصفة بين شيئين، زاد أحدهما على الآخر في نسبة هذه الصفة: وقياسه أن يأتي على وزن «أفْعَلُ»: أطْولُ، أكْرَمُ، أصْدَقُ، أعْظَمُ؛ «أطولُ قامةً– أطولُ من خالد، أعمقُ إيماناً– أعمقُ من البحر، أصدقُ إخلاصاً– أصدقُ من الخِصْب. وهو ثلاثي مزيد الهمزة من أجل التفضيل.

ولا بد قبل الشروع ببيان الصياغة أن نسجّل ما يلي:

1– يدل اسم التفضيل على حالين اشتركا في صفة واحدة، نحو المنافق أخطر من العدو الظاهر.

2– قد يقع التفضيل في صفتين متضادتين دون اشتراك، نحو: الليل أشدّ ظلمة من النهار.

3– قد يقع التفضيل ويراد به البُعد (ابتعاد الفاضل عن المفضول) نحو: الظالم أبعدُ من أن ينصف.

4– قد يخرج التفضيل إلى معنى اسم الفاعل:

قال تعالى:﴿ربكم أعلم بكم﴾(الإسراء/54) – فدلالته (عليم) وهي دلالة اسم الفاعل.

5– قد يخرج التفضيل إلى معنى الصفة المشبهة:

﴿وهو الذي يَبْدأ الخَلْقَ ثُمَّ يُعيدُهُ وهو أهْوَنُ عليه﴾(الروم/27) أي هيّن عليه.

يصاغ اسم التفضيل على وزن «أفعل» والمؤنث «فُعْلَى» من مصدر الفعل الثلاثي المجرّد، المتصرّف، المبني للمعلوم القابل للتفاوت والزيادة، كالكرم

والبخل وسواها وليست صفته المشبهة على زنة (أفعل):

-لا يصاغ من الأفعال غير الثلاثية- دحرج، انطلق.

- لا يصاغ من فعل ناقص- نُعم، بئس.

- لا يصاغ من أفعال غير قابلة للمفاضلة- مات، فني، عمي.

- لا يصاغ من الفعل المنفي- ما ضرب.

- لا يصاغ غ من الصفة المشبهة على وزن (أفعل)، أحمر، أعرج.

- لا يصاغ من الفعل المبني للمجهول- ضُرِبَ، قُتِلَ.

وإذا حصل ذلك، فإنّ صياغته التفضيلية بواسطة مصدره منصوباً بعد «أشدّ» «أكثر» وسواها:

خالد أشدّ إيماناً.

الجدار أكثر حمرةً.

ويأتي ما بعده منصوباً على التمييز.

وقد وردت في القرآن الكريم، والأقوال العربية بعض الصيغ التفضيلية خلاف ما روي. نقيّدها إعماماً للفائدة:

1- ثلاثة ألفاظ وردت خارج البناء لتدلّ على التفضيل: **خير، شرّ، حَبٌّ.**

قال تعالى: ﴿ قال ما منعك ألاّ تسجد إذ أمرْتك قال أنا خيرٌ منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ (الأعراف/12).

﴿والقواعدُ من النِّساءِ اللاتي لا يَرْجُونَ نكاحاً فَليس عَلَيهِنَّ جُنَاحٌ أنْ يَضَعْنَ ثِيابَهُنَّ غَيْرَ مُتبرِّجاتٍ بزينةٍ وأن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ واللّهُ سميعٌ عَليمٌ﴾(النور/60).

﴿قالوا إنْ يَسرِق فقد سَرَقَ أخٌ لَهُ من قبلُ فأسرَّها يُوسُفُ في نَفْسه ولم يُبدِها لَهم قالَ أنتمُ شَرٌّ مكاناً واللّهُ أعْلَمُ بما تَصِفُون﴾(يوسف/77).

﴿ نَّ الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نارِ جهنَّم خالدينَ فيها أولئك هم شرُّ البرية﴾(البينة/6).

قال الشاعر:

مُنِعتَ شيئاً فأكثرتَ الولوع به   وحَبُّ شيءٍ إلى الإنسان ما مُنِعا

وهذه الألفاظ كلّها وردت دون تصدّر صوت الهمزة. ولكنّ غالبية النصوص المستقرأة وردت مقرونة بهذا الصوت الحنجري.

وهناك «ألفاظ» وردت مخالفة لضوابط أخرى في صياغة (أفعل التفضيل) نسجلها في الآتي:

- أشْغَلُ من ذات النحيين [مبني من شُغِلَ المبني للمجهول].
- أزهى من ديك [مبني من زُهِيَ المبني للمجهول].
- جوابك أخْصَرُ من سابقه [مبني من اختُصِرَ المبني للمجهول والزائد على ثلاثة أصوات].
- عُدْنا والعَوْدُ أحمدُ [مبني من حُمِدَ المبني للمجهول].
- زَيْدٌ أعْنى بحاجتك منه [مبني من عُنِيَ المبني للمجهول].
- محمّد أعطاهُم للزكاة [الصياغة من الفعل غير الثلاثي].

– هو أولاهم للمعروف [الصياغة من الفعل غير الثلاثي].

– هو أسود من حَلَك الغراب [اسم تفضيل ما دلّ على لون].

– هو أبيض من اللبن [اسم تفضيل مما دلّ على لون].

– ﴿وهو ألَدّ الخصام﴾(البقرة/204) [اسم تفضيل من فعل يدل على عيب].

وهناك صيغ وردت على وزن (أفعل) دون أن يراد بها «التفضيل» في مثل:

قال تعالى: ﴿ربّكم أعلم بما في نفوسكم﴾ (الإسراء/25)

﴿وهو أهون عليه﴾ (الروم/27).

«الناقص والأشج أعدلا بني مروان».

وقول الفرزدق:

إنّ الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعزُّ وأطولُ.

وقد مرّ التعليق على بعض هذه الشواهد.

وهكذا نجد أنّ توجّهات الدلالة اللغوية قد تخرج عن النظام المعياري، ولكنّ إذا أريد معها التفضيل يشترط وضوح الدلالة وأمن اللبس.

وأخيراً فإنّ بنية الظاهرة النظرية تنهض على حالات أربع:

١– أن يكون مجرّداً من أل والإضافة– وشرطه أن يلزم الإفراد والتذكير، ووقوع المفضل عليه مجروراً بمن:

قال تعالى: ﴿ليوسف وأخوه أحبُّ إلى أبينا منّا﴾(يوسف/8)

﴿وللآخرةُ خير لك من الأولى﴾(الضحى/4)

﴿ أصحاب الجنة يومئذ خيرٌ مستقراً وأحسنُ مقيلا﴾(الفرقان/24).

٢- أن يكون معرّفاً بأل- وفي هذه الحالة لا بدّ من وجوب المطابقة الجنسية، والعددية مع عدم جرّ المفضل عليه بـ«من».

قال تعالى: ﴿ وجعل كلمة الذين كفروا السفلى﴾ (التوبة/ 40).

﴿ولا تَهِنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعْلَوْنَ إنْ كنتم مؤمنين﴾ (آل عمرا139)

﴿وله المثل الأعلى في السموات والأرض﴾(الروم/ 27).

٣- أن يكون مضافاً إلى نكرة- وفي هذه الحالة لا بدّ من وجوب الإفراد، والتذكير مع عدم مجيء المفضل عليه مجروراً بمن:

قال تعالى: ﴿ولا تكونوا أوّل كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً وإيّاي فاتّقونِ﴾(البقرة/41).

وقيل للخنساء: «أنتِ أشعرُ ذاتِ تديين».

٤- أن يكون مضافاً إلى معرفة -وفي هذه الحالة يمكن له جواز المطابقة في الصفة الجنسية، والعدد، وقد يجوز لزوم الإفراد والتذكير:

قال تعالى: ﴿ وكذلك جعلنا في كلّ قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها﴾(الأنعام/123).

﴿ ولتجدنّهم أحرص الناس على حياة﴾ (البقرة/96) وفيه لزوم الإفراد والتذكير.

2/2/4/5 اسما الزمان والمكان

يمثل اسما الزمان والمكان تنوّعاً صرفياً خامساً، تنهض الدلالة فيه على واقع صرفي بيِّن الطالع. ويمثل كلّ واحد منهما جانباً من المشتقات التي تفيد الدلالة على وقوع الفعل في الزمان، أو المكان.

هذه الصفة الصرفية لا تناظر مما يصطلح عليه في التركيب النظمي (الظرف) أو اسم الزمان والمكان.

ولعلّ من المفيد أن ندوّن حالات التباين التالية:

1- اسما الزمان والمكان مشتقان في الميدان الصرفي، وجامدان في الميدان النحوي.

2- يحمل اسما الزمان والمكان صيغاً قياسية مطّردة في الميدان الصرفي، أمّا في الميدان النحوي فهما متعددا الوزن.

3- التنوع الصرفي (اسم الزمان أو المكان) لا يدل على الزمان والمكان بذاته إلاّ عندما يدخل في التركيب الذي يحدد وجهته الدلالية، ولا بدّ من قرينة:

قال تعالى: ﴿قال موعدكم يومُ الزينةِ وأن يُحشرَ الناسُ ضُحى﴾ (طه/59).

﴿ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده﴾ (هود/17).

ولذا فإن دلالة الظروف: صباح، مساء، فوق، تحت، تختلف عن هذه التنوعات الصرفية، ولدلالة سياق التركيب الأثر في ذلك.

أما طرق صياغتهما فتأتي على الأوجه التالية:

مَفْعَلٌ $(B)^2 + (R)$	يصاغ اسم الزمان أو المكان من الفعل الثلاثي المضارع المفتوح العين أو المضموم على زنة «مَفْعَلٌ»، ويركب الوجوه التالية:

كَتَبَ- يَكْتُبُ- مَكْتَبٌ.

نَصَرَ- يَنْصُرُ- مَنْصَرٌ.

طَلَعَ- يَطْلَعُ- مَطْلَعٌ.

لَجَأَ- يَلْجَأُ- مَلْجَأٌ.

لَعَبَ- يَلْعَبُ- مَلْعَبٌ.

ثوى- يَثوي- مَثْوَى.

لَهَا- يَلْهُو- مَلْهَى.

وقى- يَقي- مَوْقَى.

شتا- يَشْتُو- مَشْتَى.

طاف- يَطوفُ- مَطافٌ.

أوَى- يأوي- مأوَى.

زار- يَزورُ- مَزَارٌ.

قام- يَقومُ- مَقامٌ.

نام- يَنامُ- مَنَامٌ.

ردَّ- يَرُدُّ- مَرْدَدٌ (مَرَدٌّ).

حَلَّ- يَحُلُّ- مَحْلَلٌ (مَحَلٌّ).

هَبَّ- يَهُبُّ- مَهْبَبٌ (مَهَبٌّ)

مَفْعِلٌ $(B)_2 + (R)$	يصاغ اسم الزمان والمكان من الفعل الثلاثي المضارع المكسور العين على زنة (مَفْعِلٌ)، ويركب الوجوه التالية:

جَلَسَ- يَجْلِسُ- مَجْلِسٌ.

نَزَلَ- ينزِلُ- مَنْزِلٌ.

هَبَطَ- يَهْبِطُ- مَهْبِطٌ.

صَرَفَ- يَصْرِفُ- مَصْرِفٌ.

وَعَدَ- يَعِدُ- مَوْعِدٌ.

وَضَعَ- يَضَعُ- مَوْضِعٌ.

وَرَدَ- يَرِدُ- مَوْرِدٌ.

وَقَفَ- يَقِفُ- مَوْقِفٌ.

باعَ- يَبِيعُ- مَبِيعٌ.

صافَ- يَصِيفُ- مَصِيفٌ.

باتَ- يبيتُ- مَبِيتٌ.

سالَ- يسيلُ- مَسِيلٌ.

مُفْعَلٌ
$(B)^2 + (R)$

يصاغ اسم الزمان أو المكان من الفعل غير الثلاثي على وزن (مُفْعَلٌ)، وصورته حين يكون المضارع مبنياً للمجهول. ويركب الوجوه التالية:

اسْتشفى- يستشفي- مُسْتَشْفَى.
انتدى- يَنتدي- مُنْتَدَى.
اجتمع- يجتمع- مُجْتمع.
صَلَّى- يُصَلِّي- مُصَلَّى.
افترق- يَفْتَرِقُ- مُفْتَرَقٌ.
استودع- يَستودِعُ- مُسْتَودَعٌ.
اصطافَ- يَصطافُ- مُصْطافٌ.
التقى- يلتقي- مُلْتقى.

مَفْعَلَةٌ
$(B)^2 + (R)$

يختص هذا الوزن باسم المكان دون اسم الزمان. ويصاغ من الاسم الثلاثي الجامد؛ وتذهب الدلالة فيه إلى كثرة الشيء في المكان الموصوف. ومعه تظهر الصور التالية:

السّباعُ- مَسْبَعَةٌ.
الذئابُ- مَذْأَبَةٌ.
الأسود- مأسَدَةٌ.
السمك- مَسْمَكَةٌ.

التراب– مَتْرَبَةٌ.

التبر– مَتْبَرَةٌ.

الأفاعي– مَفْعَاةٌ.

الحيّات– مَحْيَاةٌ.

الحصى– مَحْصَاةٌ.

ولعلّه من المفيد أن ندوّن الآتي:

1– وردت بعض الوحدات اللغوية على وزن «مَفْعَلَةٌ» مأخوذة من الفعل الثلاثي، وهي اسم مكان:

دَرَسَ– يَدْرُسُ– مَدْرَسَةٌ.

زَرَعَ– يَزْرَعُ– مَزْرَعَةٌ.

طَبَعَ– يَطْبَعُ– مَطْبَعَةٌ.

2– ورد اسم الزمان والمكان من بعض الوحدات اللغوية مكسور العين من أفعال مضارعها مضموم العين على زنة «مَفْعِلٌ»:

شَرَقَ– يَشْرُقُ– مَشْرِقٌ.

نَبَتَ– يَنْبُتُ– مَنْبِتٌ.

سَجَدَ– يَسْجُدُ– مَسْجِدٌ.(*)

سَكَنَ– يَسْكُنُ– مَسْكَنٌ.

(*) جاء عن سيبويه : » وأمّا المسجد، فإنّه اسم للبيت، ولست تريد به موضع السجود، وموضع جبهتك، لو أردت ذلك لقلت : مَسْجَدٌ». الكتاب (90/4).

وعلى هذا فإنّ : سَجَدَ – يَسْجُدُ – مَسْجَدٌ – اسم مكان للسجود .

– مَسْجِدٌ – اسم البيت ، أي الجامع .

وقد اعتبرت هذه الأسماء أماكن أو أوعية مخصصة لوقوع الفعل.

٣- جاء في شرح الشافية، أنّ (المصدر الميمي)، و(اسم المفعول)، و(اسما الزمان والمكان) واحدة في غير الثلاثي، مشتركة في الوزن، ويميّز بينها بالقرائن.[24]

مُنْسَكَبٌ- اسم زمان، أي وقت الانسكاب.

مُرْتَقَى- اسم مكان، أي مكان الارتقاء.

مُنْتَظَرٌ- اسم مفعول، أي أنّ القوم ينتظرونه.

مُعْتَقَدٌ- مصدر ميمي، ويذهب إلى دلالة الاعتقاد.

وثمّة بعض الملاحظات الصوتية حول صيغة الفعل الثلاثي الأجوف.

فقد جاء اسم الزمان والمكان منه علي زنة «مَفْعَلٌ»،

قامَ- يَقومُ- مَقامٌ

قام- يقومُ- مَقْوَمٌ.

$$Qaama=\frac{(O + V + M)}{(M + O + M)}$$

زار - يزورُ - مَزارٌ

زار- يزورُ- مَزْوَرٌ

$$Zaara=\frac{(O + V + M)}{(M + O + M)}$$

بات- يَبيتُ- مَبيتٌ

بات - يبيتُ - مَبْيَتٌ

$$Baata=\frac{(O + V + M)}{(M + O + M)}$$

قال- يَقِيلُ- مَقْيلٌ

قال - يَقيلُ - مَقْيِلٌ

$$Qaala=\frac{(O + V + M)}{(M + O + M)}$$

سالَ- يسيلُ- مَسيلٌ

سال- يسيلُ- مَسْيَلٌ.

$$Saala=\frac{(O + V + M)}{(M + O + M)}$$

---

(24) شرح الشافية (188/2)

حيث نلاحظ أن اجراءات ترتيب العناصر الصوتية على وفق الوزن انحرفت عن مسارها القياسي، كما هو ملاحظ في الوحدات اللغويّة الجوفاء.

ويظهر من البناء المقطعي، في حالة الوصل، أن المقاطع التي وردت في (البسط) متماثلة من حيث البناء سواء توسط الفعل صائت الألف الطويل في (الزمن الماضي) أم الصائت الطويل (الواو) أو (الياء) في (الزمن المضارع)، حيث جاءت مقاطعها من النوع المفتوح Open Syllable (V). ولمّا تحوّلت وفق الوزن (مَفْعَلٌ) جاءت مقاطعها في حالة الوصل المنوّن وفق التنظير الصوتي التالي:

– تشكلت مقاطع الوحدات اللغوية التي يتوسطها صائت الألف والواو في المضارع من مقطعين متوسطين مغلقين Closed Syllable (M) مع مقطع قصير مفتوح (O). وجرياً مع قانون نسب التسارع الصوتي تحوّل أحدهما إلى مقطع مفتوح (V). وفي هذه الحالة كان لا بدّ من أن تتغير المواقع المقطعية.

– أما في حالة الوقف فإن مقاطعهما تسير وفق صورة البناء المقطعي التالي:

$$\text{Qaama} = \frac{(O) + (X)}{(M)^2}$$

حيث يلاحظ أن بناء البسط، وهو ما غايره صورة الوزن، تألّف من مقطعين أحدهما قصير، والآخر مقطع طويل (كبير) من نوع (X) وصفته (Z). في حين أنّ ما جاء على معيار الصيغة تألّف من مقطعين متوسطين مغلقين.

- أما في حالة الوصل غير المنوّن فإنّ مقاطعهما تسير وفق الصورة التالية:

$$\text{Baata}= \frac{(O)^2 + (V)}{(O)^2 + (M)}$$

حيث سجلت صورة (البسط) مقطعين قصيرين مفتوحين مع مقطع متوسط مفتوح آخر. بينما سجّلت صورة (المقام) مقطعين قصيرين مفتوحين مع مقطع متوسط مغلق.

ويأتي قانون نسب التسارع الصوتي ليسجل هذه المفارقة.

وحيث لا نرى ضرورة إلى حالات وصور (المقام) تجري أوزان الصيغة، ممن دخلت بناءها التركيبي صورة الصوائت الطويلة على وفق جريان حالات التسهيل الصوتي، وإن لم تخضع لمبادئ القياس المعياري، فإنّها من القلّة، بحيث تعتمد المقطع الصوتي أساساً في أبنيتها.

2/2/4/6 اسم الآلة

لا ينتظم اللغات عموماً مسلك معياري واحد في أبنيتها للوحدات اللغويّة. ويأتي هذا التباين من طبيعة نسج أصواتها، ومهماتها الوظيفية، وقدرتها على بيان محتويات الدلالة. ولكل منها طريقة خاصة، سواءً كانت عن طريق اللصق، أو الالحاق، أو التصريف.

واسم الآلة واحد من هذه المتطلبات الفكرية التي اضطلعت اللغة بوضع ألفاظ لها لكي تفي بحاجات الإنسان اليومية، وهو يمارس أنشطته مع المجموعة اللغوية Community- Linguistics.

والناظر في اللغة الانجليزية يقف على عدم خضوع اللغة الانجليزية لضوابط ونواميس في صوغ اسم الآلة، ونجد:

مسطرة:	ruler
غَسّالة:	washing-machine
شَوايّة:	roaster
قدّاحة:	Lighter
سيّارة:	car
حاسِبة:	calculator
ساطور:	Axe
مِكحلة:	Eye-Liner
مُنْخُل:	Sieve

مِزْمار:	Flute
مِقْوَد:	Steering wheel
مِرجل:	boiler
مِبراة:	Sharpener
مِكواة:	Iron
مِقلاة:	Pan
قاطرة:	Train-engine
فتّاحة:	can-opener
مبضع الجرّاح:	Lancet
مطرقة:	Hammer
مفتاح:	Key
ميزان:	Balance
مكنسة:	Broom
مِبرد:	file
مثقب:	Drill
منشار:	plough
مِضرب:	saw
مِصعد:	bat

ممحاة:	Eraser
مجداف:	Raw
مِلقط:	Tweezers
مِنجل:	Sickle
مِدفع:	Cannon
مِقص:	Scissors
مِفك:	Screw-driver

ويلاحظ أنها لا تنتظم تحت رؤية بنائية معيّنة. فَقسم منها يندرج تحت كلمة Tool والقسم الآخر تحت كلمة Instrument، والأولى هي الأداة التي تعين الإنسان في أداء بعض المهام اليومية، وغالباً ما يعتمد الإنسان قدراته الذاتية معها. أما الثانية فهي ما يعتمد الإنسان على طاقتها وقدرتها في الآداء.

واسم الآلة في العربية، اسم مشتق من مصدر الفعل الثلاثي المجرّد، المتصرف، المتعدّي، للدلالة على الآلة التي يجري معها حدث الفعل.

وللعربية معه سلوكان، أحدهما غير قياسي، لأنه لا يخضع لضوابط وقوانين معيارية، شأنه في ذلك، شأن بقية اللغات. والآخر يخضع لمعايير واضحة.

- **اسم الألة غير القياسي**: من خلال الاستقراء، استطعنا أن نضعه وفق الصور التالية:

فَعْلٌ $(M)^2$	فَأْسٌ، كَأْسٌ، قَوْسٌ، سَهْمٌ، سَيفٌ، سَوْطٌ، حَبْلٌ، دَلْوٌ، قَيْدٌ، فَخٌّ.
فَعَلٌ $(O)^2 + (M)$	قَلَمٌ، جَرَسٌ، شَرَكٌ، قَدَحٌ، عَصَا.
فُعْلٌ $(M)^2$	رُمْحٌ، تُرْسٌ، دُفٌّ.
فِعْلٌ $(M)^2$	مِشْطٌ، شِصٌّ، غِمْدٌ.

وهذا النوع هو اسم جامد وليس في نظر البعض من اسم الآلة، بل تذهب به الدلالة إليه، دون أن يكون لها أفعال معيّنة؛ ومنها: سكّين، قَدّوم، دَبّوس، إزميل، إقليد، هِرواة.

– **اسم الآلة القياسي**: اسم مشتق ينهض على أوزان منتظمة البناء والهيئة. وهو تنوّع صرفي يقوم على الصفة الصوتية التي تذهب الدلالة معها إلى الحدث وآلته. وقد جاء هذا اللون على أوزان سبعة، اشترك في وضع معاييرها الصرفيون القدماء والمحدثون، وهي:

1- **مِفْعالٌ**– مفتاح، منشار، مسمار، ميزان، محراث.

2- **مِفْعَلٌ**– مبرد، مقصّ، مشرط، ملقط، مدفع.

3- **مِفْعَلَةٌ**– مكنسة، مدخنة، ملعقة، مطبعة، مدفأة.

4-- **فعّالةٌ**- غسّالة، قدّاحة، سيّارة، شوّاية.

5-- **فِعالٌ**- زناد، إزار، رباط، سراج، لحاف.

6-- **فاعِلَةٌ**- رافعة، ناقلة، قاطرة، حاسبة.

7-- **فاعولٌ**- ناقوس، ماعون، كانون، شاروف، تابوت.

وهناك على أوزان أخرى وردت أسماء الآلة:

- **فاعولَةٌ**- طاحونة، نافورة.

- **فعّالٌ**- جرّار، برّاد.

- **مُفَعِّل**- محرِّك، مولِّد.

- **مُفَعِّلَةٌ**- مُسجِّلة، مكثِّفة.

-**فاعِلٌ**- هاتف، عازِق.

وقد سمعت أسماء كثيرة من مثل: مُنْخُلٌ، مَنْقَلٌ، منارَةٌ، مَرقاةٌ، مَطْهَرَةٌ، مَوْضَأَةٌ، غِربال، تلفاز، سِرْوالٌ، جِلْبابٌ.

2/2/5 المقصور والممدود والمنقوص

مُثلَّثٌ ظهر في بناء العربية اللغوي. اشترك في سمة الإعراب، واختلف في طبيعة التركيب.

فالأول- ينتهي بناؤه الصوتي بالصائت الطويل (الألف) Long-vowel.

والثاني- ينتهي بناؤه الصوتي بصوت الهمزة الحنجرية glottal-stop.

والثالث- ينتهي بناؤه الصوتي بالصائت الطويل (الياء) Long-vowel.

وتنهض تحت هذا المثلث البنائي في العربية أسماء كثيرة؛ وفي علاج محتوياتها، وامتحان توارد عناصرها الصوتية، لا بدّ من الوقوف على جوانب النظريّة الصوتية العربية القديمة، وهي تعالج مسائله وقضاياه، وتحاكم ضروبه التركيبيّة. ثم لا بدّ من استشراف النظرية الصوتية الحديثة في ميداني علم الأصوات النطقي Articulatory phonetics وعلم الأصوات الوظيفي Phonology وعلم الأصوات الأكوستكي Acoustic Phonetics لبيان صحة الاستنتاجات، وقواعد الأنظمة التي تلت منطوقاتها النظرية الصرفية العربيّة.

وهذه محاولة بكر في ميدن الدراسات الصرفية- الصوتية، وجدنا أنفسنا في مسار لا بدّ فيه من إعادة تقييم الرؤية، وتنظيم الأحكام، وقياسية المعايير، ومنطقية الاستدلال.

2/2/5/1 الاسم المقصور

قيل في بيانه الأوّل، اسم معرب آخره ألف لازمة.

هكذا وصفته مصنفات قدامى القوم، وزاد السيوطي في سبب التسمية قائلاً: «سمي به لأنه لا يُمدّ إلاّ بمقدار ما في ألفه من لين، ولأنّ ألفه تحذف لتنوين أو ساكن بعدها فيقصر» وأضاف: وقيل سمي المقصور لأنه حبس عن الإعراب.[25]

---

(25) همع الهوامع (173/2)

وقال أبو عبد الله بن خالويه : «إنّما سمي المقصور مقصوراً لأنّه قُصر عن المد والإعراب وحبس، وأخذ من قوله تعالى : «حور مقصورات في الخيام» الرحمن /72 – المقصور والممدود، أبو البركات الأنباري (م) .

ويذهب ابن عقيل في تعريفه إلى القول : «هو الاسم الذي حرف إعرابه ألف لازمة» بينما يذهب الاشموني إلى بيان هذه الألف فيقول : «هو الاسم المعرب الذي حرف إعرابه ألف لينة لازمة» المقصور والممدود ، أبو البركان الأنباري (ن) .

ويذهب الأنباري إلى القول في معرفة الأصل لبيان طريقة رسمه، فيقول : «ولمعرفة ذلك الأصل يمتحن الإسم بالتثنية والجمع، أو بالنظر إلى مؤنثه، أو رده إلى مصدره» المقصور والممدود (ن)

وفي تثنيه هذا الاسم، اعتمد الصرفيون الأصل الذي اعتبروه الأساس عند التثينه، نحو رحى – رحيان، عصا – عصوان. وهذا مع الأصل الثلاثي ؛ أما الرباعي فيثنى بالياء دون الحاجة للبحث عن الأصل .

أما جمع المذكر السالم، فإنه على مذهبهم، تحذف الألف وتبقى الفتحة التي قبلها على حالها، تقول : مصطفى – مصطفَون – مصطفَين .

أما جمع المؤنث السالم ، فإنه تضاف الألف والتاء دون تغيير : ليلى – لَيْلَيَات .

أما جمع التكسير فله أوزان عدة بيانها حين نعرض لألوان الجموع.

وتكلّم الصرفيون عن الوقف على الاسم المقصور ، فقالوا: يوقف عليه سواء كان منصرفاً أو غير منصرف بالألف بغير تنوين في جميع حالات الإعراب، نحو : هذه عصا، اشتريت عصا، وضربته بالعصا، كما تقول في غير المنصرف : هذه حبلى، رأيت حبلى ، ومررت بامرأة حبلى. وذهب ابن السّراج أنّ هذه الألف التي وقِفَ عليها يجب أن تكون عوضاً عن التنوين في النصب.

وبعض قبائل العرب مثل قيس وفزارة تقول في الوقف :
أفعى، حبلى، فاذا وصلت صيرتها ألفاً. وروي عن بعض طيء أنها تقول : أفْعَوْ – بالواو – وتراها أكثر بياناً في الياء.

وحكي عن الخليل أنّ بعض القبائل تهمز حين تقف، نحو : حُبْلَىءُ ، رأيتُ رَجُلا، فاذا وصلوا تركوا ذلك. (المقصور والممدود – أبو البركات الأنباري –ي).

أما ابن يعيش فيذهب إلى القول: «إمّا أن يكون من القصر، وهو الحبس من قوله عزّ وجل: «حُورٌ مقصوراتٌ في الخيام» أو يكون من النقص». ويرى أنّ الوجه الأصح هو ما تذهب الدلالة معه إلى «الحبس». يقول: «وذلك أنّ الاسم المقصور كأنّه حبس عما استحقّه من الإعراب، أو نقص عن الممدود الذي هو أزيد لفظاً».[26]

وهذا الاسم في منظور القياس اللغوي وجهان: الأول: قياسي يحكمه نظام ثابت في اللغة، والآخر: سماعي لا تضمّه قاعدة ثابتة، لأنّه محكوم عليه بالمغايرة.

والقياسي هو ما يندرج في حقيبة الوظيفة النحويّة. والسماعي ما تحتويه كنانة الوظيفة اللغويّة، التي يقوم مبدؤها على الجانب الاستقرائي. ومن هذا المتجّه انحدر التراث في الوحدات اللغوية التي ضمتها بنية المعاجم العربية منذ عهد الخليل حتى الزمن الحاضر.

وينهض مبدأ القياس فيه على مراعاة النظير، وحضوره أثناء وضع أبنيته. في حين أن السماعي منه ما فقد النظير، لأنّه جاء على غير نظام، وهو ما سمع اللغوي، وهو يجالس الأعراب في مضاربهم، ويدوّن سماعه عنهم.

وقبل أن ندخل في بنية هذا الاسم، ندرج الصور القياسية لهذا اللون من الأسماء.

1-- **فَعِلَ- فَعَل:**

رَدِي- رَدَىً، هَوِيَ- هَوَىً، جَوِيَ- جَوَىً، شَقِيَ- شَقَىً، عَمِيَ- عَمَىً، صَدِيَ- صَدَىً، حَوِيَ- حَوَىً. [المناظِرة- فَرِحَ- فَرَحاً].

---

(26) شرح المفصل (6/36-37) وشرح الشافية (2/326).

2- **فِعْلَةٌ- جمعُها- فِعَل:**

لِحيةٌ- لِحىً، حِلْيَةٌ- حِلى، فِريةٌ- فِرَىً، مِرْيَةٌ- مِرَىً، رِشْوَةٌ- رِشَىً

المناظِرة- [حِكْمَةٌ- حِكَمٌ].

3- **فُعْلَةٌ- جمعها- فُعَل:**

عُرْوَةٌ- عُرَىً، رُقْيَةٌ- رُقَىً، مُدْيَةٌ- مُدَىً، دُمْيَةٌ- دُمَىً، نُهْيَةٌ- نُهَىً.

[المناظرة- صُورَة- صُوَرٌ].

4- **اسم المفعول:**

مُعْطَى، مُقْتَنَى، مُلْغَى، مُرَبَّى، مُنْأَى، مُجْرَى، مُسْرَى، مُصْطَفَى، مُسْتَدْعَى. [المناظِرة- مُخْرَج]

5 - **الصفة المشبهة:**

عطشى، سَكْرَى، ضَمْأى.

6- **اسم التفضيل:**

أعلى، أدنى، الكبرى، الصغرى، القصوى.

7- **اسم الآلة:**

مِرْمى، مِهْدَى.

8- **اسم الجنس الجمعي:**

حَصَى، قَطَاً.

أمّا السماعية: الفتى، السنا، الثرى، الحجا، الضحى، النَّسا، اللظى، الرحى، القفا.

هذا ما أفادته النظرية الصرفية وعلّقت على أصل ألفه قائلةً:

أ- الألف زائدة- حيث تكون علامةً للتأنيث، ومعها يقع المقصور مرة اسماً:

بُشرى، عُتْبى، حُسْنَى، ذِكرى، لَيْلى، سَلْوى، شُورى، سَلْمَى.

وأخرى صفةً:

السفلى، العظْمى، العَطْشى، الجَوْعى، الحُبْلى.

وثالثة صفة ببنية جمع التكسير:

جَرْحى، قَتْلى، مَرْضَى، غَرْقَى.

ب- الألف منقلبة عن ياء في أصل الجذر:

العَصَا، القَفا، الصِّبا، الرِّبا، المَهَا، القَطا، العُلا.

2/2/5/2 الاسم الممدود

جاء عن السيوطي، الممدود: الاسم المعرب الذي آخره همزة مسبوقة بألف زائدة.(27)

وذهب إلى أنّ السرّ في تسميته، لامتداده، نظراً لوقوع الألف قبل همز، كما تمدّ حروف المد المتصلة بها، ولا تحذف لفه بحال.(28)

وهذا يعني أنّ الصوت يستطيل معه حين النطق بصوت الألف المرافقه.

وقبل أن نخلص إلى طبيعة ألفه، كما حدّها الصرفيون، نودّ أن نشير إلى أنّ الاسم الممدود لا بدّ وأن يخضع لنظام معياري، يدير «القياس» دفّته، إلى جانب الممدود السماعي من الأسماء.

وهذه الأوزان، وإن انتشرت في كتب الصرفيين، فإننا نستطيع أن نرصد منها:

إفعال– اعطاء، اعلاء، إغناء.

فَعّال– بنّاء، مشّاء، وشّاء، فرّاء، عدّاء.

---

(27) همع الهوامع (173/2).

(28) وفي تثنيه الإسم الممدود، قال الصرفيون إن كانت همزته أصلية تركت على حالها في التثنية، نحو : قُرّاء – قُرّاءان، وإنّ كانت مبدلة، تترك على حالها، نحو : كِساء – كساءان، كساوان.

وإن كانت الهمزة للتأنيث تقلب واواً، نحو : صفراء – صفراوان.

وإنْ كانت لغير التأنيث، فالغالبية تجريها مجرى همزة التأنيث، وتبدلها واواً، نحو : علْباوان – عِلباوان.

وفي الجمع صور عدّة تعرض حين الكلام على أبنية الجموع. أمّا في الوقف، فإنه يوقف عليه بالسكون، ويعامل معاملة الإسم الصحيح. (المقصوروالممدود– ابو البركات الأنباري(با)).

فِعال– فَعال– كساء، رداء، دواء.

افتعال– ارتماء، انتهاء، انحناء، انقضاء، اهتداء، احتواء.

افعلال– ارعواء، اقتواء.

استفعال– استدعاء، استقصاء، استرضاء .

افْعَنْلى– اسلنقاء، احربناء.

وذهب الرضي في شرح الشافية، إلى أنّ (سرّاء) على زنة (فعّال) وما وقع على أمثالها من المصادر، وكذلك الصفات (حمراء) هي من الأسماء الممدودة قياساً، وإن لم تتوافر لها نظائر في الأسماء الصحيحة.[29]

وتعرف بعض الأسماء من طريقة نسجها الصوتي، ولكنها لا تخضع لنظام معياري ثابت، لأنّها سمعت هكذا من العرب، ومن أمثلتها؛ سناء، حذاء، فتاء، ثراء.

وهناك بعض جوانب البيان، ندونها في أدناه:

1– يصاغ الاسم الممدود قياساً من كلّ اسم معتّلٍ له نظير من الصحيح الآخر، ملتزم بزيادة صوت الألف في آخره.

ونظائر الصور القياسيّة السالفة: انطلاق، اقتدار، استخراج، إكرام، سلاح وأسلحة في كساء وأكسية، ورداء وأردية، والصراخ للرغاء والثغاء.

2– ترد بعض الأسماء بصورتين– مقصورة وممدودة– البكا– والبكاء، صنعا– صنعاء، وفا– وفاء، وهذه غالباً ما ترافق الضرائر الشعرية.[30] أو بعض

---

(29) شرح الشافية (325/2).

(30) هندسة المقاطع الصوتية – الانزياح وضرورات الاستدعاء .

الحالات التي تستدعي السرعة في النطق، مما يؤدي الأمر إلى سقوط صوت الهمز.

ولكن، في أحيان، تظهر بعض الحالات البنائية المتغايرة، حين يتم التبادل بين الأسماء المقصورة، والممدودة، مثل:

البلاء– البلى.

سواء– سوى.

القلاء– القِلى.

البناء– البُنى.

النعماء– النُعمى.

وقد تؤدي بعض حالات التبادل إلى تداخل الدلالة:

الغنى– الغِناء، كما جاء في قول الشاعر:

سَيُغنيني الذي أغناك عَنّي فلا فُقْرٌ يدوم ولا غِناءُ

وهو من شواهد الكوفيين، ويذكر الأشموني أنّ ممن وافق عليه ابن ولاد وآخرون.[31]

وقد وقف البصريون أزاء ذلك حفاظاً على مجرى الدلالة وقدّروا أن (الغناء) مصدرٌ لـ (غانيتُ) وليس مصدراً لـ (غنيت).[32]

أما مقام همزة الاسم الممدود، فللصرفيين معها شأن، كما كان لهم مع المقصور، نسجله في التالي:

---

(31) شرح الأشموني (659/3)

(32) أوضح المسالك (244/3).

1- **الاسم الممدود الذي همزته زائدة.**

2- **الاسم الممدود الذي همزته أصليّة.**

3- **الاسم الممدود الذي همزته منقلبة عن واو.**

4- **الاسم الممدود الذي همزته منقلبة عن ياء.**

هذا تقييد قدامى القوم لنهايات الأسماء الممدودة، ونحن إذ نستمر في بيان القول، مما أفادوه عن هذه المرتكزات الأربعة، ثم نتلوها بالحديث عن الاسم المنقوص.

وقبل أن نختتم السرد البياني، نقف مع حدود اللسانيات الحديثة وهي تحاور متّجه القوم في زوايا المثلث الاسمي.

قالوا، وهم يذهبون مع **النوع الأوّل**، إنّ مثل هذا يقع مع ذات الأصول غير المنتهية بهمزة، في مثل:

- **الاسماء**- صحراء، بيداء، أربعاء، عاشوراء.

- **الصفات**- حوراء، نجلاء، عرجاء، عمياء، صفراء، بيضاء.

- **الجموع**- أنبياء، أغنياء، أصدقاء، أخلاّء، [أَفْعِلاء].- ظرفاء، شعراء، فقهاء، شُهداء، [فُعلاء].

- **المصادر**- ضَرَّاء، سَرَّاء، كِبرياء، خُيلاء.

وقالوا، وهم يحاورون **النوع الثاني**، إنّ مثل هذا يقع في الجذور التي تنتهي بهمزة، ولهذا عُدّت همزته أصلية، في مثل:

- **الاسماء**- هُراء، هِراء، خِباء، وُضّاء [المفرد].

أجزاء، أنباء، أخطاء، أنواء، قِثّاء، قُرّاء [الجمع].

- **المصادر**– إنباء، إنشاء، إيماء، امْتلاء، انْطفاء، استْهزاء.

- **الصفات**– خَطّاء، رَفّاء، ولاّء، كمّاء.(*)

وجاءت على غير صور: كأكاء، قُرّاء.

وقالوا في **النوع الثالث**، حين تقلب الواو همزة في حال وقوعها متطرفة بعد ألف زائدة:

صَفاء، دُعاء، نجاء، جَلاء، عَفاء، غَلاء، رُغاء، نِداء، أعداء، آباء، أبناء، إماء، شتاء.

وقالوا في **النوع الرابع**، ما رجع الأصل فيه إلى جذور لاماتها ياء، في مثل:

وفاء، ثواء، قضاء، حياء، فناء، بقاء، بِناء، مِراء، إباء، لقاء، عُواء، بُكاء، رعاء، أصداء.

(*) الولاّء – الذي يصنع اللؤلؤ أو يبيعه
الكمّاء – الذي يعمل في الكمأه .
الكأكاء – الانسان الجبان .

2/2/5/3 الاسم المنقوص

اسم معرب آخره ياء مكسور ما قبلها.

هكذا ورد عند النحاة والصرفيين[33]. **وتثبت** هذه الياء، إذا كان:

- **منصوباً**: رأيتُ القاضيَ في دار العدل.
- **مع أل**: يُريدُ الدّاعي أن يصلَ غايته.
- **مضافاً**: جاء محامي الدفاع.

وتحذف إذا لم يكن مع النقاط الثلاثة السالفة، في مثل:

- هذا قاضٍ عدلٌ.
- لا تكن كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاح.
- هذا حكَمٌ سامٍ.

وخرج من كلّ هذا، الاسماء المبنية، كالذي، والتي، وهذي، وكذلك الأفعال المعتلة الياء، يقضي، يرمي، وكذلك الاسماء التي آخرها حرف علّة ساكناً ما قبله، مثل: ظَبّي، هَدْي، سَعْي، جَرْي، فَرْي، وكذلك عَلَيٍّ، أُخَيٍّ، نَبيٍّ(*)، ذلك لأنّ الياء فيه مشدّدة، وقبلها حرف ساكنْ.[34]

هذا ما أفاد قدامى القوم من الصرفيين، وأطلقوا عليه «الاسم شبه الصحيح الآخر»، وقد سمّي بذلك لقبوله حركات الاعراب الثلاثة ظهوراً واضحاً على نهايته.

---

(33) حاشية الصبّان (4/106).

(*) وكذلك أخي ، صديقي لأن الياء طارئة على الاسم كونها ياء المتكلّم .

(34) شرح المفصل (6/37).

أمّا عِلّة تسمية المنقوص، فقد ذكر صاحب شرح قطر الندى، أنه بسبب ما يحدث له من النقص الحاصل عند إعرابه، في حالتي الرفع، والجر. وهذا مما اعتادت العرب أن تطلقه على الوحدات اللغوية التي يجري على أواخرها الحذف، أو الإسقاط.(35)

أما (ياء) هذا الاسم المنقوص، فهي، كما ذهب الجمهور من الصرفيين والنحاة، على ضربين:

أ- **ياء أصلية وردت في جذر الكلمة**، نحو:

الهادي، القاضي، المحامي- وهذه تولّدت عن الأصول: هَدَيَ، قَضَيَ، حَمَيَ.

ب- **ياء منقلبة عن واو في أصل الجذر، لأنّها** وقعت في آخر الكلمة، وقد كُسر ما قبلها، نحو:

الغازي، الراضي، البادي، الداعي، المتعدّي. وهذه ترجع إلى الأصول:

غَزَوَ، رَضَوَ، بَدَوَ، دَعَوَ، عَدَوَ. والأصل فيها على بناء المنقوص:

الغازِوْ، الراضِوْ، البادِوْ، الداعِوْ، المتعدِّوْ.

هذا ما صَرَّحت به النظرية الصرفية العربية، وقد أثبتناه بمصطلحه ورؤيته التعليلية. ولنا مع كل ذلك نظر لساني محدث ينهض على رؤية الإفادة من معطيات علم الأصوات الوظيفي والنطقي.

---

(35) شرح قطر الندى (62/1)
لا تظهر على آخره إلاّ الفتحة، أما الضّم والكسر فتقدران على آخره نظراً للثقل الصوتي الحاصل عند إرداة تحقيقها .

وقبل أن أبحر مع جوانب الاستئناس الصوتي في تعليل ظواهر أبنية المقصور والممدود والمنقوص، أودّ أن أذكّر بأنّ الصوائت الثلاثة: الفتحة والكسرة، والضمّة تتحرك وظيفياً، وتمارس حركاتها داخل مواقع الوحدات اللغويّة، لأغراض التباين الدلالي، وفق التصوّر التالي:

1- يمثّل زمن إنتاج هذه الصوائت القصيرة نصف زمن الصوائت الطويلة (الألف، الواو، الياء- المديتين).

2- الفتحة تناظر نصف زمن الألف.

الكسرة تناظر نصف زمن الياء.

الضمة تناظر نصف زمن الواو.

3- الفتحة والألف، أكثر الأصوات الصائتة جهراً.

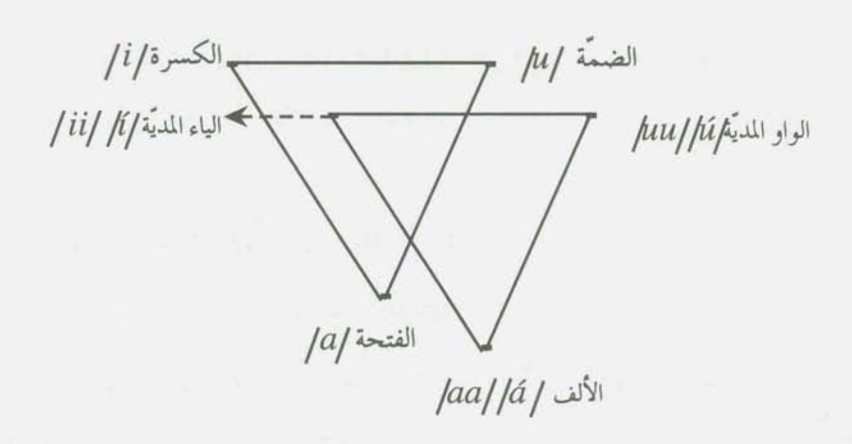
4- الكسرة والضمّة، أقل الأصوات الصائتة جهراً، ولكنها أكثر إسماعاً من الصوامت.

5- الفتحة أخفُّ الصوائت نطقاً تأتي بعدها الكسرة ثم الضمّة.

6- تؤدّي كلّ من الصوائت القصيرة، والطويلة وظيفة مستقلة داخل البنى اللغوية؛ ومعنى هذا أنّ كلّ واحدة فيها تمثّل فونيماً مستقلاً.

7- تمتلك هذه الصوائت خاصيّة التبادل الموقعي داخل الوحدات اللغويّة.

8- تكمن الفوارق بين الحركات القصيرة والطويلة، كما أسلفنا في (1، 2)، في حالة الانعزال التام، في مركزية الكمّية الإنتاجية، والكيفية التكوينية، ذلك لأنّ موقع اللسان مع كلٍّ منهما يتغيَّر بنسبة معيّنة عن موقعه في الإنتاج الحركي الآخر. ويمكننا تمثيل ذلك في المخطط التالي:



والفوارق تكمن في الكمية Quantity أو الطول Length duration والكيفية Qualitative Feature، والنطقية Articulation.

9–الصوائت بشكل عام أكثر صعوبة في جوانب التحقيق النطقي من الصوامت.

10– الفتحة حركة أمامية متسعة. والكسرة حركة أمامية ضيّقة. والضمة حركة خلفية ضيّقة.

11– الواو والياء غير المدّيتين، صوتان انتقاليّان Semi-vowels نصف علّة إذا أُلحقا بالصوائت، ويوصفان بنصف الصامت Semi-Consonant إذا أُلحقا بالصوامت. إذن فالوظيفة مشتركة، وإن تباينت في المنظور الدلالي.

12– تتشكل في العربية نوعان من العلل:

– العلل البسيطة– Monophthongs، وهي ما تلتزم موقعاً ثابتاً في الوحدات اللغويّة، وهذا ما يؤشّر في النسبة الغالبة من الصوائت العربية.

– العلل المركبة– Complex-vowels وهي التي تتميز، حين دخولها التركيب، بجملة من الانتقالات التكيفية، من أجل البناء القيمي لها. وهي على نوعين:

– ثنائية البنية التركيبيّة Diphthongs

– ثلاثية البنية التركيبيّة Striphtongs

ولا تحوي بنية العربية من هذين النوعين إلاّ الثنائية، أمّا الثلاثية فإنها تقتصر على بعض اللغات الأوروبية.

والعلل الثنائية في العربيّة هي:

– صوت الياء الساكن والمفتوح ما قبله، وبناؤها:

َ + يْ ⟸ ay أيْ، كما في كَيْف، أين، حَيْف...

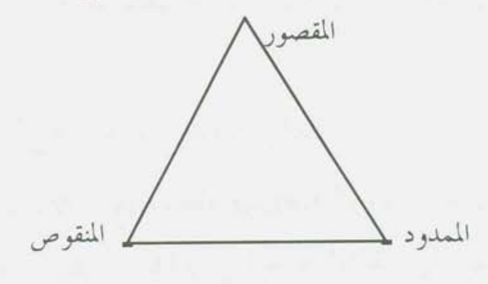
– صوت الواو الساكن والمفتوح ما قبله، وبناؤها:

َ + وْ ⟸ aw أيْ، كما في: نَوْم، عَوْم...

وهذه العلل يكثر استعمالها في الأسماء، نحو:

لَوْن، كَوْن، بَيْت، حَيْف، سَيْف، عَوْن.

وعلى ضوء هذا المسار سوف نرى ثبوت الرؤية في مثلث الاسماء:



قالوا إنّ الألف في **الاسم المقصور**- هي علامة التأنيث(*)، وهذا جانب وظيفي نهض به هذا الصائت الطويل. ولكنّهم أضافوا أنها زائدة. ولعلّ زيادتها في نظرهم تقوم على نهوضها بوظيفة التأنيث، وقد وردت في الصور التالية:

الأولى- مجيئها بعد صوت صامت: ذِكْرى..

الثانية- مجيئها بعد صوت انتقالي: سَلْوى، أو صوت مركب بعده صوت صامت: ليلى.

الثالثة- مجيئها بعد صائت طويل بعده صامت: شورى.

إنّ هذا الصوت يعتبر عنصراً رئيساً من عناصر التركيب الصوتي، لأنّه جزء منه، وكما لا يحقّ لنا أن نتصرف بالفصل لأيّ عنصر صوتي آخر في هذا الاسم، فكذلك يجب أن يكون الحال مع هذا الصائت الطويل، لأنّه ينهض بجوانب التمييز النطقي، المؤدي إلى التمييز الدلالي.

في الأولى جاء صوت الألف بعد صوت صامت، حركته من جنسه (الفتحة) التي تتميز بالخفّة في النطق، والاتساع، ولذا فإنّ وجود هذه الألف ضروري للتناظر، والتجانس الصوتي. ألا يُرى أنّه إذا قلنا (ذكرانا)، خلصت ألفاً بكميتها الإنتاجية 600 .cps ؟

ويأتي بناؤها المقطعي: (M + V) وهو بناء صوتي متوازن يتألف من مقطعين متوسطين الأول مغلق، والآخر مفتوح. أما أن تنعت بالزيادة لأسباب لا تخدم التركيب، طارئة عليه من خارج البنية الصوتية، فهذا أمر لا تقرّه القوانين الصوتية.

(*) سنعالج أمر التأنيث وعلاماته في 2/2/6 - فصيلة الجنس (ثنائية التذكير والتأنيث).

أمّا الثانية فقد جاءت بعد صوت انتقالي، ويصدق عليها ما كان مع ذكرى. لأنّ الصوت الانتقالي له القدرة على تبادلية المواقع الصوتية مع الصوامت، ألا ترى أنّ، سلوى- سلمى يتبادل فيهما صوتا (الواو، والميم) المواقع مع هذين الاسمين؟ ومع كلّ الاسماء التي وردت، نلاحظ أنهّا تتألف من مقطعين، الأول متوسط مغلق، والثاني متوسط مفتوح، إلاّ مع (شورى) فإنها تتألف من مقطعين مفتوحين.

فلماذا نفترض هذه الزيادة، حتى لو كانت الألف تحمل وظيفة التأنيث ومعناه، فإنّه لا مبرر للإقرار بزيادتها، ولو كانت في غير أصل الجذر فهي صوت له وظيفة. أمّا أن تكون هذه الألف منقلبة عن صوت الياء لأنّها أصل الجذر، فهذا مسار آخر، وللمقطع الصوتي رؤية معه.

يتألف البناء المقطعي مع الوحدة اللغوية: الهوى، الفتى، الندى، من نسيج مقطعي يختلف عن ذلك في الافتراض على أساس الأصل:

(O) + (V) < > (O) + (M)

وبما أنّ قانون نسب التسارع الصوتي يميل إلى قبول المقطع نوع (V) أكثر منه نوع (M)، فتبقى ألفه عنصراً صوتياً رئيساً في بناء المقطع، دون حاجة إلى حالة إقحام تبادل على أساس الأصول، والفروع، حتى لو ورد بعضها في البناء الشعري. وكذا الأمر مع، العصا، الصبّا، ممن قالوا فيها أن الألف منقلبة عن واو، فإنّهم لم يفكروا إلاّ بالبناء الشكلي، دون النظر إلى التجانس الصوتي، وائتلاف عناصر المقاطع، وهو أمر تمليه الضرورة الصوتية، وتفرض وجوده قوانينها.

ولذا فإنّ من المستحيل أن يتحقق الانسجام الصوتي مع وجود (الواو)، لأنّ في هذا انتقال صوتي ثقيل من الحركة الأمامية المتسعة، إلى الحركة الخلفية الضيّقة في آن واحد. ولهذا لا حاجة لهذا الانقلاب الذي يورّثنا ثقلاً صوتياً ويولّد مقطعاً مغلقاً، مما لا تنزع إليه النفس، عندما يقع آخراً، إلاّ في حالات الوجوب الصوتي المقرون بتيار آخر من المقاطع.

ولعلّ وراء مشكلة التأنيث ما يلقي بعض الضوء الصوتي على هذه الألف المقصورة من حيث الزيادة والبناء الشكلي.

فكما أسلفنا أنّ (الألف) علامة من علامات التأنيث. وينعتها المفضل بن سلمة بقوله: «اعلم أنّ الفرق بين المذكر والمؤنث ثلاث علامات تكون في المؤنّث... والياء التي تكون في حبلى وسكرى»[36] ولما كان الأصل في الاسم، كما يرى ابن يعيش: «أن يكون مذكّراً، والتأنيث فرع عن التذكير، ولكون التذكير هو الأصل، استغنى الاسم المذكر عن علامة تدلّ على التذكير...»[37] ولما كانت (الألف) علامة، فهي قبل كلّ ذلك عنصر صوتي له دور وظيفي داخل البنى، والتراكيب. وإن كان طارئاً من أجل تحقيق هذه الوظيفة، إلاّ أنّه لا تجيز القوانين الصوتية صفة الزيادة فيه، وإلاّ فبالامكان الاستغناء عنه، إذ رَفعنا سمة التأنيث كظاهرة لازمة في الواقع اللغوي، وهذا مما لا يمكن تحقيقه.

هذه الألف حملت في كينونتها الوظيفية، تطوراً صوتياً لتاء التأنيث، التي تحوّلت إلى هاء، ثم طرأ على هذا الصوت تحوّل إلى صائت الفتح، ثم استطال

(36) مختصر المذكر والمؤنث (43).
(37) شرح المفصل (88/5).

من أجل التناسق الصوتي، ليتحول إلى صائت طويل. كا في اللغة العبريّة:

إلى جانب (Saaray) שׂרי

at ⟹ ah ⟹ a ⟹ aa

وفي العربية أنسجة من هذا اللون، كما جاءَ بها الفرّاء:

Khunfusu ➔ khunfusatu ➔ khunfusaa' ➔ khunfusaa

Ḥawṣalatu ➔ Ḥawṣalaa' ➔ Ḥawṣalaa[38]

ولكن هذه الألوان لم تكن وحدها تحمل السمات التطورية، بل مثلّ الصائت المركب (ay) سلفاً آخر لهذا الصائت الطويل الذي حكموا عليه بالزيادة، كما في الشواهد التالية:

Ḥublayun ➔ Ḥublay ➔ Ḥubliyay ➔ Ḥublaa

ويتضح من هذه الصور أنّ صوت الألف مرّ بمرحلتين تطوريتين مثّلت فيها التاء المرحلة الأولى، والياء المركبة الثانية، وربما تداخلت المرحلتان.

وفي نصّ للفرّاء وهو يعرض علامات التأنيث، إشارة إلى (الياء) التي تكون في «حبلى» و«سكرى».[39]

---

(38) المذكر والمؤنث (47/12).

(39) المرجع نفسه
ذكر بعض النحاة أن (الياء) من علمات التأنيث في مثل (اضْربي، تضربين، فقد عدّ سيبيويه صوت الياء فيهما ضمير الفاعل، وهو مما يفيد التأنيث، كما أنّ الواو في اضربوا ويضربونْ ضمير الفاعل وتفيد التذكير . والأُخفش يعدّها حرف دال على التأنيث، بمنزلة التاء في قامتْ.
شرح المفصل (91/5) .
أما المبّرد فقد ذكر أن الصائت القصير (الكسرة) مما يؤنث، وهي علامة المؤنّث المخاطب (أنتَ – أنتِ) بل أن بعض النحاة ذهب إلى الياء في هذي هي علامة التأنيث – المقتضب (270/1).
حاشية الملوي (208).

أمّا **الاسم الممدود**، فقد ذكر الصرفيون أنّ سبب تسميته هو استطالة الصوت حين النطق بالألف. وفي رأي آخر أنّ الهمزة فيه كانت في الأصل صوت الألف. وعندهم أن يجتمع «ألفان» أمر غير جائز لأن العربية لا يلتقي فيها حرفان ساكنان فجيء بالهمزة بدل الألف الثانية. هكذا بكل بساطة يفترضون القلب والإبدال. وفي كلّ هذا وذاك رؤية وموقف لساني.

المقطع في رؤيته البنائية يرفض مثل هذا التعليل لأنّ عملية تحقيقه في هذا الأصل المزعوم غير جائزة:

Nida Nidaa + aa

= (O) + (V) +4

وبما أنّ (4) معادلة لصائت طويل، فإنه لا يوجد مقطع في العربية يتألف من نواة أو مركز لوحدة، إذا لم يحيط به غلاف خارجي يسمى (حدّ المقطع)، ولا يوجد كذلك مقطع يتألف من مقطعين، أولها قصير، وثانيها مقطع طويل، مفتوح، تتوالى فيه أربع حركات.

ولعلّ صوت الهمزة في الاسم الممدود قد جيء به لغرض التسهيل وإراحة النفس، لأن البناء فيه يتألف في الآخر من مقطع مفتوح، ولذا لا بدّ من الإتيان بصوت تتوافر فيه ميّزة النبر ويؤدي إلى إغلاق المقطع المفتوح، وفي الوقت نفسه لا يعد من حروف المباني، ويستطيع الناطق إقامته وقت ما يشاء، فكان صوت الهمزة الذي حوّل البنية المقطعية:

(R) + (T) (R) + (M)

صنعاء– صنعا، نداء– ندا، حمراء– حمرا.

ولعلّ قدامى القوم وسموا نهاية الاسم المقصور (ياءً) والممدود ألفاً للتفريق، خطّاً، بينهما.

ويرى فريق من اللغويين أن الهمزة في الاسم الممدود هي علامة التأنيث. ونحن لا نذهب إلى ذلك، لأنها غير مستقرة في النطق، وربما تؤدي السرعة إلى إسقاطها، دون أن تتأثر معالم الدلالة، وفي هذه الحال لا بد أن نسأل: مَنْ هو الصوت البديل للقيام بوظيفة التأنيث؟

ولعلّ ابن جني في افتراضه أن الهمزة هي دالة التأنيث، قد أحسّ بعدم جدوى هذا الافتراض، مما دعاه إلى إعادة النظر والقول بأن صوت الألف والهمزة هما دالة التأنيث. وهو مما وافق فيه سيبويه، وعللا الأمر، أن الهمزة لا تنفك مصاحبة للألف، غير مفارقة في الاسم الممدود.[40]

وقيّد القدماء مذهباً آخراً، في أن الألف الممدودة، هي في أصلها الألف المقصورة، وأن الرسم الخطّي هو الذي يفرّق بينهما. وفي النماذج النطقية التالية تصوّر لحالة الألف المقصورة وتطورها إلى ألف ممدودة:

Laylatun → layla ⟹ laylaa → laylaa'

وعند أهل اللغة أنّ المدّ الزائد هو علامة التأنيث.

وفي حالات همزة الممدود، عرض الصرفيون حالات أربع، معللين صورها بافتراضات لا يحسن رفقتها المنظور الحديث، لأنّ نهايات شواهدها حين الوقف تنتهي بمقطع كبير مغلق: (Z). أمّا أن يعود الجذر إلى صورة مع (الواو) أو (الياء)، فهذا لا يعني حالة تلزم الوقوف عندها، لأنّها مما يذكي جذوة التعقيد، فتتداخل الصور، وتذهب ريح الأمر سدى.

---

(40) المنصف (154/1).

أما الاسم المنقوص، فقد ذهب القوم إلى أن قسماً من ياءاته منقلبة عن (واو)، وراحوا يطرحون المعادلة التركيبية التالية:

دَعَوَ ⟸ داعِوْ ⟸ داعي

رَضَوَ ⟸ راضِوْ ⟸ راضي

وهذه الصورة المبينة على هيئة الأصل، وإن جاءت وفق بناء العربية المقطعي:

(T) + (M)

إلاّ أنّها مع المقطع الثاني، نطقاً؛ تسبب حالة من الشد الصوتي، الذي يتطلب جهداً عند تحقيقه. لأنّ صائت الكسر الواقع على الصوت ما قبل الآخر في هيئة الأصل، هو صوت أمامي ضيِّق، والصوت الانتقالي (و) الذي يأتي بعده يحمل سمتين صوتيتين، الأولى قريبة من الصوامت، والأخرى من الصوائت، مما يشكّل الانتقال إلى تحقيقها ثقلاً صوتياً، وهي تؤلف المقطع الثاني المغلق. ولكي يتخلص الناطق من هذا المقطع المغلق يصار إلى الصائت الطويل ،عن طريق تضعيف إنتاج صوت الكسرة، لكي تنتج الياء، ويتحوّل معها المقطع، في حالة الاغلاق، إلى حالة الفتح، تسهيلاً وتيسيراً. ويصبح التركيب وفق الآتي:

(T) + (V)

إن وصف قدامى القوم للألف في الرسم المقصور، والألف الممدودة على أنّها علامات تأنيث لهذه الأسماء، إنّما هو رأي مردود تشهد له الكثير من الوحدات اللغوية التي وردت في مصنفاتهم مع هذه الألف للدلالة على المذكّر، نقرأ:

رجلٌ جَمَزى– سريع الوثب.

رجلٌ دَلَظَى– شديد الدفع.

ونحو: مرضى، جرحى، بردى، صدى، هوى، جوى... وكذلك مع الممدود: يوم ثلاثاء، وأربعاء، رداء، هباء، فناء، غباء، شتاء، مساء، وغيرها من الألفاظ التي امتدّت على ساحة المنظور اللغوي العربي، وتبقى هذه الحال متباينة بين الاطراد وعدَمه.

2/2/6 فصيلة الجنس (ثنائية التذكير والتأنيث)

المذكر والمؤنث صفتان جنسيّتان، كان لا بدّ من الوقوف على أبعادهما، واستكناه جوانب حدودهما، لما في ذلك من أهمية تنهض عليها مباحث علوم اللغة العربية، النظم، والصرف والبلاغة، والأدب، وسائر الفنون الأخرى.

وتؤكّد معاجم اللغة على أنّ التذكير خلاف التأنيث، والجمع منه ذُكُورٌ، ذُكورَةٌ، ذِكارٌ، ذِكارةٌ، ذِكْرانٌ، ذِكَرَةٌ. وقد ورد في القرآن قوله تعالى: ﴿فَلمّا وَضَعَتْها قَالَتْ رَبِّ إنّي وضعْتُهاأُنْثَى، واللّه أعْلَمُ بِما وَضَعْتْ، ولَيْسَ الذّكرُ كالأنثى وإنّي سَمَّيْتُها مَريمَ﴾(آل عمران/36)

﴿لّه مُلكُ السموات والأرضِ يَخْلُقُ ما يَشاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إناثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكورَ أو يُزَوِّجُهُمْ ذُكْراناً وإناثاً ويجعَلُ من يشاءُ عقيماً إنّه عليمٌ قديرٌ﴾(الشورى/49-50).

وتجمع الأنثى على إناثٌ، أُنُثٌ. وتنهض التسمية على أساس الليونة، وإنّما سميت المرأة أنثى، لأنّها ألين من الرجل. وأصل هذا من الأنيث أي اللّين.

والذّكر في اللغة، الإباء والشجاعة، ومنه سمّي السيف مذكّراً.

وعلى هذا الأساس جعلوا المذكّر أصل الأشياء. جاء عن ابن يعيش: «أنّ أصل الاسم مذكراً، والتأنيث فرع من التذكير، ولكون التذكير هو الأصل، استغنى الاسم المذكر عن علامة تدلّ على التذكير...»[41]

---

(41) شرح المفصل (88/5) .

ه البنية اللغويّة في اللهجة الباهليّة (85).

ويبدو أنّه من تمام فصاحة المرء، وزينته، ومروءته، ونباهته، كما يذهب إلى ذلك متقدمو اللغويين، معرفة التذكير في الأسماء، والأفعال، والنعت، قياساً، وحكايةً. بل يذهبون إلى أبعد من ذلك مبالغة في أنّ معرفة هذا الباب ألزم من معرفة الإعراب.(*)

إن مسألة الجنس في أي لغة «ما زالت غامضة، ذلك أنّ تحديد الجنس في اللغة لا يقوم على شيء من العقل، وإنّما على أفكار موغلة في القدم، لا يستطيع علم اللغة تحديدها، بله، مناقشتها، إذ يعتمد في كثير من الأحيان، على عقائد وانطباعات غير محددة»[42]

وإني لأنزع إلى موافقة هذا الرأي، فالمذكر، والمؤنث من المسائل اللغوية التي شغلت قسطاً غير يسير من اهتمام علماء الدراسات اللغوية، والنحوية. ولذا نراهم يفردون مصنفات كاملة في هذا الميدان، علماً منهم أنّ اللغة في تطوّرها عبر العصور كانت بحاجة ماسة إلى معرفة الفروق التمييزية بين المذكّر والمؤنّث.

وذهب د. رمضان عبد التواب إلى القول: «إنّه تدلّ مقارنة اللغات السامية مثلاً، على أنّ الساميين القدماء كانوا يفرّقون بين المذكر، والمؤنث في اللغة لا بوسيلة نحويّة، ولكن بكلمة للمذكر، وكلمة أخرى، من أصل آخر، للمؤنّث».[43]

تظهر صورة المذكر والمؤنّث في اللغة الانجليزية في صور شتّى، فهي تارة بكلمة للمؤنّث ، وأخرى للمذكر، نحو (boy) (girl) وأخرى بتباينات متعددة:

---

(42) لهجة تميم (275).

(43) مقدمة رسالة المذكر والمؤنث للحامض (242)

في العربية كلمة «حمار – للمذكر» و«أتان – للمؤنث» و«غلام – للمذكر» ، و«جارية» للمؤنث.

Son - ابن ⟹ daughter ابنة

brother - أخ ⟹ sister أخت

male- nurse - ممرّض ⟹ nurse ممرضة

Monk - راهب ⟹ nun راهبة

Camel ⟹ she - camel

goat ⟹ she - goat

tiger ⟹ tigress

Lion ⟹ Lioness

prince ⟹ princess

باستخدام اللواحق (she) أو (ess)

ينهض الجنس، في الانجليزية (Gender) على أربعة أقسام:

المذكر – Masculine مثل: boys, kings, father (الحقيقي)

المؤنث– Female مثل : wife, daughter , queen (الحقيقي)

ما يستوي فيه المذكر والمؤنث (Common)

teach, doctor , grocer

tree, bed, house , baby ما لا جنس معين

والشمس (sun) والقمر (moon) تذكر وتؤنث على أساس قوة الأشعاع الحراري لها. فللشمس (He) ، وللقمر (She) .

ويبدو أنّ المذكّر، والمؤنث مادة غير محددة في اللغات الساميّة. ولذا فإنّ افتراضاً آخر يساورني، مفاده إنّ دوالّ التأنيث وردت متأخرة في تأريخ اللغة، وإنّه يعلوها بعض الخلط، والاضطراب، وعدم الإحكام، إضافة إلى أنّها لم تخضع برمّتها إلى منابع القياس، وإنّ كثيراً من الكلمات السماعية، تأرجحت بين حالين، خلوّ البعض منها من علامات التأنيث، وقد روي فيها التذكير، وتلك التي جاءت مع علامات التأنيث، وردت مذكرة.[44]

ولعلّ الأصل أن يوضع لكلّ مؤنث لفظ مقابل للمذكّر، ولكنّ هذا سيؤدي إلي تصاعد كميّ في وحدات اللغة، مما اضطر القوم إلى عوامل الاختزال، والوضع في أنْ جعلوا للمؤنث علامات تدلّ عليه.

أما بروكلمان فإنه يذهب إلى القول: «لا يوجد في اللغات البدائية نوعان فحسب من الجنس، كما في اللغات السامية، ولا ثلاثة أنواع كا في اللغات الهندو أوربية، ويجد فيها غالباً أنواع كثيرة تفترق عن بعضها نحوياً، وتتوزع فيها كلّ أشياء العالم المحسوس».[45]

إنّ صورة المؤنث مرّت بمرحلة تطورية، اكتسبت صورتها النهائية شكلاً اتسم بالتذييل بعلامة دالة تمييزية، وحدث هذا حين تطورت هذه اللغات عبر

---

(44) انظر مبحث المقصور والممدود أو المنقوص .
جاء في الغريب المصنف : « أهل تهامة يقولون : العُضُدُ والعُضْدُ، والعُجُزُ ، العُجْزُ ، ويؤنثونها، وتميم تقول : العَجُز والعَضُد ويذكرون» 361/2 عن المدخل إلى علم اللغة د. رمضان عبد التواب (255).
يعامل المؤنث السماعي كاللسان، معاملة المونّث – البنية اللغوية في اللهجة الباهلية (86).
(45) مقدمة رسالة المذكر والمؤنث للحامض (242) .
لعلّ وجود أشياء لا صلة لها بالجنس الحقيقي، كالحجر، والجبل، والعدل، والكرم، التي لا تقترب من التذكير، أو التأنيث، وراء تقسيم الاسم إلى مذكر ومؤنث ومحايد (Neuteral) كما تصفه اللغات الهندو – أوربية .

عصور سحيقة تطوراً اقتضى حالة التحديد لكثير من المسائل والظواهر اللغويّة. ويبدو أنّ الجنس، بشقيه المذكر، والمؤنث، لم يكن واضحاً تمام الوضوح.

والكشكشة، هذه الظاهرة اللهجيّة، التي انتشرت بين قبائل تميم، وأسد، وبكر بن وائل، العربية، التي يبدل فيها الكاف، إرادة التأنيث صوتاً مزدوجاً يشبه الصوت الانجليز (ch) للتفريق بين المذكر، والمؤنّث بحرف أقوى من أن يفصلوا بحركة، خير دليل على عدم استقرار هذه الظاهرة، أعني التذكير، والتأنيث، في ظروفها التاريخية القديمة، قبل حالة التوحّد عند مجيء الإسلام، والتخلص من ظاهرة اللغات المتعددة.(*)

وعلى الرغم من أنّ قدامى القوم قد ذكروا علامات التأنيث: الهاء، الألف المقصورة والألف الممدودة، وأنّ قولهم «الهاء» إنّها العلامة الأولى في التأنيث، تصبح «تاءً» في الكلمة الواقعة في جملة في غير الوقف، هي، واقعاً، ليست ذات أصالة في التأنيث، لأنّها موجودة في أسماء مذكّرة، كالرواية والعلاّمة، وفي طائفة من أبنية جموع التكسير نحو: الملائكة، والأساتذة، وغيرها. ويذهب الدكتور السامرائي إلى القول: «إنّ التأنيث بالعلامة طارىء في العربية من الناحية التأريخية، وفي غير العربية من أخواتها الساميات».(46)

ولعلّ من الطريف أن نعرض لرأي أحد الباحثين المحدثين، وهو يناقش مسألة القوة في التذكير، والليونة في التأنيث. يقول: «فتأنيث العربي لبعض الألفاظ، حسب هذا الفهم، بعيد كلّ البعد عن القوى الغيبية، والسحر والغموض،

(*) يتكون صوت (ch)- tf من عنصرين صوتيين، الأول ينتمي إلى الأصوات الشديدة، وهو ما يشبه التاء، والثاني إلى الأصوات الرخوة، وهو ما يشبه الشين. (الدلالة الصوتية والصرفية في لهجة الاقليم الشمالي) (52).

(46) التذكير والتأنيث – السجستاني (المقدمة).

والخرافة، والدونية، المتمثلة بالطبقة الأقلّ قيمة -الأدنى... بل هو وضع للأمور في نصابها... وإلاّ فكيف توصّل إلى تشبيه الأرض المنبتة بالمرأة... فسمّاها «الأنيث» إذا لم تكن منهجية الإخصاب، والإنبات، والتطوّر هي التي حكمت تفكيره منذ القدم؟ ألا نستطيع ربط هذه اللواحق (التاء المربوطة، الألف الممدودة، والألف المقصورة، والكسرة الطويلة) بالزيادات التي كانت المرأة تحققها في المجتمع عن طريق الإخصاب والتكاثر؟ ألا تشبه هذه اللواحق أولاد المرأة يلحقون بها أينما ذهبت وكيفما اتجهت؟... اليس (هذا) نوع من تعظيمهنّ وتبجيلهن، والخوف منهنّ؟ والتوق إليهنّ؟ وهل نستطيع أن نعتبر تأنيث العربي لأسماء آلهته، قبل الإسلام... حطّاً من قيمتها... أم أنه أنّثها لعظمتها؟... وهل نستطيع أن نعتبر تأنيث العربي لأسماء القبائل العربية حطّاً من قيمتها أم أنه أنّثها لعظمتها ولإيمانه بقدرتها»[47].

والاسم المؤنّث باعتبار معلوله، نوعان:

أ- **المؤنّث الحقيقي**- وهو ما دلّ على إنسان أو حيوان، مما يلد أو يتناسل. وعلامة تأنيثه عند اللغويين- ظاهرة، نحو: امرأة، حُبلى، نداء. أو مقدّرة، نحو: زينب.

ب- **المؤنّث المجازي**- هو ما دلّ على مؤنّث، لا يلد، ولا يتناسل، سواءً كان الاسم منتهياً بعلامة التأنيث الظاهرة، نحو: منضدة، طائرة، سفينة، بُشرى، صحراء، أم مقدّرة، نحو: عين، شمس، نار. ويرون في الضمير العائد عليه وجوب أو جواز التأنيث: طلعت- طلع-الشمس.

---

(47) المصطلح الصرفي (148-149).
قال تعالى: ﴿أفرأيتمُ اللاّتَ والعُزّى ومَناة الثالثةَ الأُخْرى ألَكُمُ الذكَرُ وله الأنثى تلك إذن قسمةٌ ضِيزى إنْ هي إلاّ أسْماءٌ سَميتموها أنتّم وآباؤكُم ما أنزلَ اللّهُ بها من سلطان﴾ النجم 19-32/

والاسم المؤنّث، باعتبار **حصول التأنيث بالعلامة أو عدمها**، أنواع ثلاثة:

أ- **المؤنث لفظاً**- ما اشتمل على العلامة، وهو في أصل وصفه للمذكّر، نحو: معاوية، طلحة، حمزة، زكرياء.

ب- **المؤنث معنىً**- ما لم يشتمل على العلامة، وهو في أصل وصفه للمؤنث، حقيقة أو مجاز، نحو: سعاد، زينب، أم كلثوم.

وتسري عليه أحكام تأنيث فعله، وضميره، ونعته، والإشارة إليه.

جـ- **المؤنث لفظاً ومعنىً**- ما اشتمل على العلامة، وهو في أصل وصفه مؤنّث حقيقي، نحو: فاطمة، سلمى، نجلاء. وأحكامه كما وردت في الفقرة (ب) أعلاه.

وقد أورد الصرفيون أوزاناً أربعة، خلت صيغها من العلامة (التاء)، وهي تصلح لكلا الجنسين:

1- **فَعولٌ ⟸ بدلالة فاعِلٌ**

رجلٌ صَبورٌ، امرأةٌ صبور- بدلالة صابر. شكورٌ، نَفورٌ، بدلالة: شاكِرٌ، نافِرٌ.

⟸ بدلالة مَفْعولٌ

ناقةٌ ركوبٌ- بدلالة مَركوبةٌ.

قطار رَكوبٌ- بدلالة مَركوبٌ.

ومن الشواهد التي تعسَّفَ في صيغتها الصرفيون، قوله تعالى:

﴿يا أُخْتَ هارونَ ما كان أبوك أمرأ سَوْءٍ وما كانت أمّك بغيّاً﴾(مريم/28) من **باب فعول بدلالة فاعل**، حيث افترضوا أصلاً واوياً، وذهبوا معه إلى القلب، والإبدال حتى يرغموه على ركوب الصيغة، قالوا:

«أصله بغوياً- اجتمع الواو والياء، وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت الواو ياء وأدغمت في الياء، ثم قلبت ضمة الغين كسرة لتناسب الياء».

حكاية يدحضها علم الصوت الوظيفي، ويقيم أركانها بناء المقطع:

بَغْوَيا ⟸ س ع س + س ع + س ع ع ⟸ M + O + V

بَغيّا ⟸ س ع + س ع س + س ع ع ⟸ O + M + V

حيث نلاحظ أن ترتيب المقاطع قد اختلف موقعياً، ويأتي هذا الاختلاف بين المقطعين الأول، والثاني، ومع الأصل المزعوم يتوسط المقطع القصير الذي يشكل ثقلاً صوتياً بين مقطع مغلق وآخر مفتوح، في حين مع الثاني يأتي في الترتيب في حالة تناسق صوتي: المقطع القصير المفتوح ثم المتوسط المغلق ثمّ المتوسط المفتوح.

2- **مِفْعالٌ** ⟸ مهذار، معطار.

3- **مِفْعيلٌ** ⟸ مِعطير، مِنْطيق.

4- **مِفْعَلٌ** ⟸ مِغْشَم- الشجاع للرجل والمرآة.

وبعد استيفائنا الكلام عن أحوال الاسم المؤنث، وكنّا في مبحث المقصور والممدود قد أتينا على علاماته: الألف المقصورة، والألف الممدودة، نودّ -هنا- أن نعرض للعلامة الثالثة من علامات التأنيث وهي صوت «التاء». فما هي، وما حقيقتها؟

أوّل ما صافحت عيوننا القرآن الكريم ونحن نقرأ قوله تعالى:

﴿الذين يرجونَ رَحْمتَ اللّهِ واللّهُ غفورٌ رحيم﴾(البقرة/218)

﴿إنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قريبٌ من المُحسنين﴾(الأعراف/56)

﴿قالوا أتعجبين أمر اللّهِ رَحَمْتُ اللّهِ وبركاتُه عليكم أهْلَ البيت إنّه حَميدٌ مَجيدٌ﴾.(هود/73)

﴿ذِكْرُ رحَمَتِ ربِّك عَبْدَهُ زكريّا﴾(مريم/2)

﴿أولئك عليهم صلواتٌ من ربِّهم ورَحْمَةٌ وأولئك هم المهتدون﴾ (البقرة/157).

﴿ربَّنا لا تُزِغ قُلوبَنا بَعْدَ إذْ هَديْتَنا وهَبْ لنا من لَدُنْكَ رَحْمَةً إنَّك أنْتَ الوهَّابُ﴾ (آل عمران/8).

﴿درجاتٍ منه ومَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وكان اللّه غفوراً رحيما﴾(النساء/96)

﴿فأنجيناهُ والذين مَعهُ برَحْمَةٍ منّا وقَطَعْنَا دابرَ الذينَ كذَّبوا بآياتِنا وما كانوا مؤْمنينَ﴾ (الأعراف/72).

وتصادفنا «رحمة» مرّة بالتاء (غير المقيَّدة)، وأخرى بالتاء (المقيَّدة)، ومثلها «نعمة». والأولى وردت (79) مرّة مع كلا الرسمين. ونعمة (34) مرّة مع كلا الرسمين.

هل ما ورد في القرآن الكريم من حيث الرسم لهذه (التاء) يؤشّر حكماً نظمياً معيناً، يمكن أن يوجه الرؤية في أمر هذا الرمز؟

وقبل أن نلج في حوار هذا الملحظ، أودّ أن أشير إلى أنّ (التاء) وردت في صورتين -كما أشرنا إلى ذلك- فعلى أيّ متجه يذهب البصريون في إقامة حدود الظاهرة، وكيف يراها الكوفيون؟

يذهب البصريون إلى أنّ الأصل هو (التاء) وأنّ الهاء حين يوقف عليها؛ والهاء في هذه الحالة بدلاً من التاء التي يعلّم بها الاسم تأنيثاً، مقصورة على الوقف، نحو: نخل- نخلة، تمر- تمرة.

أما الكوفيون فإنّ الهاء حين الوقف عليها وفي الخطّ، أمّا في درج الكلام فإنّها (تاء).

هذا الخلاف، الذي تصدّى له أبو بكر الأنباري في كتابه المذكر والمؤنث، ظهر في رسم النصّ القرآني.

ولعلّ في رؤية الدكتور رمضان عبد التواب، تفسيراً لذلك، يقول: إنّ هذه التاء وردت في الإملاء العربي على هيئة «الهاء»، لأنّ (التاء) تقلب (هاءً) في الوقف، ولأنّ الكلمة في الخط العربي تجري كتابتها وفق ما تنطق به في الوقف والابتداء، إذ الأصل في رسم اللفظ أن يكتب بحروف تلفظ مع تقدير الابتداء بها والوقف عليها.[48]

هذه (الهاء) التي يوقف عليها هي ما سمّاه قدامى القوم (هاء السكت).

ولعلّ فيما قدّمنا أن هذا الصوت، أعني (الهاء)، هو سرّ الأمر. الهاء، صوت حنجري إحتكاكي مهموس مرقق، وهذا الصوت يجمع حين ينتج بين صفتي الصوامت، باعتبار موضع الإنتاج Point of articulation والصوائت، لأنّ كمية الهواء هي صوت النفس الخالص الذي يلقى اعتراضاً تامّاً عند إخراجه، إلاّ من بعض الحفيف الذي لولاه لصارت (الهاء) أقرب إلى أصوات اللين. بل إنّه يمكن أن يعدّ من الصوائت المهموسة.

---

(48) البلغة في الفرق بين المذكّر والمؤنث (43).

هذه الظاهرة الصوتية (للهاء) هي أساس تلك الظاهرة التي سمّوها (هاء الاستراحة– أو السكت) وهي التي سمّاها سيبويه «الهاء التي تلزم طلحة في أكثر كلامهم في النداء إذا وقفت». [49]

وواقع الأمر، صوتي بَحْتٌ، وفي استكناه مواصفه سرّ الحكاية. الأصل فيها «طَلْحَةٌ» بصوت التاء. وجرت العمليات الإخراجية له وفق التحوّل الصوتي التالي:

Ṭalḥatu ⟹ Ṭalḥa ⟹ Ṭalḥaa

ويمثّل الصوت الأخير زيادة الكمية الصوتية للفتحة، حيث انتقلت من 300 cps إلى 600 cps مقاسة على جهاز Spectrograph . هذا الامتداد الصوتي الانتقالي الطويل، يقترب في صفاته الصوتية من هذه (الهاء) المهموسة، وحين وقف عليه تناظرت الصفات بينه وبين (الهاء) فظنّه قدامى القوم صوت الهاء، وسموها هاء السكت، أو كما ينعت القدماء هذا الامتداد بـ «ألف المد».

وهذه الظاهرة نفسها التي شاعت في الأسماء المونثة المفردة التي تنتهي بهذه (التاء المقيّدة). وكلّ ما في الأمر أنّه يوقف عليها بحذف (التاء)، والبقاء على صورة الامتداد الصوتي للفتحة المقدّر بـ 300 cps .

وقد سمعت عند قبيلة طي العربية التي كانت تؤثر (الهاء) حين تتوقف عند نهايات جمع المؤنث السالم. وقد سمع عنها: «دفن البناه من المكرماه» في «البنات، والمكرمات». وقد أورد ابن جني بعض ظواهر هذه اللهجة؛

(49) الكتاب (280/2).

(كيف البنون والبناه)، بل إن تأثير هذه اللهجة سرى إلى قبيلة عربية[50] أخرى هي (عقيل) التي كانت تقول في (الفرات) (الفراه) وصلاً، ووقفاً.

أما ما سُمع من شواذ الوقف على صوت (التاء) المقيّدة في مثل قول الحميرين: «يا أهل سورة البَقَرتْ». فليس إلاّ دليلاً للارتكاز الصوتي، والنبر الوقفي، الذي يؤكد أصل الظاهرة. وما روى لنا الخليل بن أحمد عن أبي النجم العجلي قوله:

اللّه نجّاكَ بكفّي مَسْلَمَتْ
مِنْ بَعْدِمَا وبَعْدِما وبَعْدِمَتْ
صارتْ نُفوسُ القَوم عِند الغَلْصَمَتْ
وَكادَت الحُرَّةُ أنْ تُدعى أمَتْ[51]

أما ما ورد في سورة الحاقّة /19-33، فما هو إلاّ تأكيد للنطق الحجازي الذي يمدّ الفتح على الياء المتطرّفة وبعضها للمتكلّم: ﴿فأمّا مَنْ أُوتي كتابَه بيَمينه فَيقولُ هاؤُمُ اقرأوا كتابَيْه إنّي ظَننتُ أنّي مُلاقٍ حِسابَيْه فهوَ في عيشةٍ راضيَةٍ في جنَّةٍ عاليَةٍ قطوفُها دانيَةٌ كُلوا واشربوا هَنيئاً بما أسْلفتُمْ في الأيّام الخاليَةِ وأمّا مَنْ أوتي كتابَه بِشماله فيقولُ يا ليتني لم أُوتَ كتابَيَهْ ولم أدرِ ما حسابيَهْ يا ليتها كانتْ القاضيَةَ ما أغنى عنّي ما ليَه هلك عنّي سلطانيَهْ خذوه فَغلُّوهُ ثُمَّ الجحيمَ صَلُّوهُ ثُمّ في سِلْسِلَةٍ ذَرْعُها سبعون ذِراعاً فاسلكوه إنّه كانَ لا يؤمِنُ باللّهِ العظيم﴾.

(50) المحتسب في تبيين شواذ القراءات (129-130).
(51) الجمل في النحو (272) والكلمات على التوالي : مسلمة، غلصمة، أمة.
وهؤلاء هم الطائيون، وأهل حمير، وبعض نفر من قبيلة بني أسد .
ويشير بروكلمان في فقه اللغات السامية (96) أنّ هذه التاء تبقى في الاشورية والحبشية في حالتي الوصل والوقف .
ولا زال الوقف على الهاء عند أهل جنوب العراق وبعض من أهالي النجف.

أما التاء غير المقيّدة فهي التي تلحق بعض الأسماء، حيث تكون حركة الصامت الواقع قبلها «السكون»، في نحو: أُخْت، بِنْت، كِلْتا، هَنْت، مَنْت، ذَاتْ، ثِنْتان، وكلُّها للتأنيث أمّا تاء جمع المؤنث السالم، فإنّها مسبوقة بالصائت الطويل الألف الذي يجري وفق نظرية الخليل الصوتية– العروضية محرّكاً بالسكون.(*)

ويبقى اليقين بأنّ دراسات قدامى القوم كانت تدور حول النصّ المكتوب، أو اللغة المكتوبة وليست المنطوقة، ولذا نرى هذا الاضطراب في تفسير كثير من الظواهر اللغويّة.

ويبقى صوت (التاء) دالاً تمييزياً للتأنيث، وتلعب القوانين الصوتية دوراً بارزاً في توجيه مستوياته، حسب درجات النبر، وطريقة الأداء الصوتي للهجات، وكذلك الأدوار الوظيفية للصوائت وتأثّرها وتأثيرها في أثناء جريان عملية النسج التركيبي للعناصر الصوتية.(**)

(*) الهنث – الشِيء
المنِت – تأنيث من الاستفهامية
إنّ مسألة تحريك الألف، والواو، والياء بالسكون وفق نظرية الخليل العروضية، التي تقوم على المتحرك، والساكن، أمر فيه نظر، وهو ما يخالف النظرية الصوتية الحديثة، إذ أنّ الألف حركة طويلة، فكيف تجري الحركة مع السكون؟ وعلى هذا يخرج جمع المؤنث السالم من ضروب هذه القاعدة، وفق المستوى الصوتي الحديث .
هندسة المقاطع الصوتية (المقدمة).
(**) يعبر عن التأنيث بالمورفيمات الصرفيّة، وهي لواحق (Suffixes)، وقد دلّ النسيج التركيبي للعناصر الصوتية، أنّ هذه المورفيمات تؤلف ثمانية أنواع لأسماء المؤنثة :
– هاء الوقف المتحوّلة عن التاء المقيدة في الوصل (قائمة) .
– التاء غير المقيدة (أخت).
–الألف المقصورة.
– الألف الممدودة .
– الصائت القصير (الكسرة) (أنتِ ، عليكِ ، بلِ) اللاحق للضمائر.
– الياء (ذي ، تي).
– صوت الألف والتاء (مسلِمات)
– صوت النون المزدوج (هن ، بيتهن).

2/2/7 فصيلة العدد اللغوي

تنهض فصيلة العدد اللغوي، وهي أحدى فصائل النظام القواعدي Grammatical Categories، على تراكيب صوتية ثلاثة:

– المفرد	Noun - Singular
– المثنى	Noun - Dual
– الجمع	Noun - plural

أما الاسم المفرد فهو ما دلّ علي واحد، أو واحدة من الأشياء المحيطة بنا في هذا الكون المترامي الأطراف. أو هو ما ليس مثنى، ولا مجموعاً، ولا ملحقاً بهما، ولا من الأسماء الستّة.

وقبل أن نلج غمار البحث في جوانب التركيب الثنائي، (المثنى)، نسجّل ما ذهب إليه الدكتور تمام حسان من أنّ العدد في منظومة الحساب لا يتطابق مع العدد في منظومة اللغة الصوتية.[52]

إنّ ما طرحه من مبررات هذا التباين، لا تقف بصلابة أمام منطق الأشياء، وأنظمتها التي تسير وفق الترتيب التصاعدي، حين المثول أمام صيرورة الأمور.

إنّ النسبيّة أمر واقع في كلّ مسارات الفكر، واللغة هي أداته، وكانّ لا بدّ لهذا التباين، ولكنّ حدّ هذه النسبية ضئيل جداً، إذا قيس بمنظورات التطابق. أما أن تكون بعض الوحدات اللغوية في محلّ وظيفي آخر، ليس من حقّها الشرعي، وفق هذا النظام، فَلِعلّةٍ تتطلبها حركة الشيء داخل خلية المجموعة اللغويّة.

---

(52) مناهج البحث في اللغة (220).

فاستعمال الجمع بدلالة المفرد، أمر مجازي مقصور على بعض الأساليب التركيبية في حياتنا العملية، وهي مما يتطلبه سياق الحال Context of Situation: نحن أمير كذا، نحن رئيس كذا... أو غيرها مما يجنح إليه الأفراد -أحياناً- ليس غريباً على ما جاء به النصّ القرآني. قال تعالى:

﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبلٍ لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية اللّه﴾(الحشر/21)

﴿ إنّا سخّرنا الجبال معه يُسَبِّحْنَ بالعشي والإشراق﴾(ص/18)

﴿إنّا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأَبَيْنَ أنْ يَحْمِلْنَها وأشْفَقْنَ منها وحَمَلَها الإنسان إنّه كانَ ظَلوماً جَهولاً﴾(الاحزاب/72).

﴿وما آتيناهم من كُتُبٍ يَدرسونَها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير﴾(سبأ/44)

﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ﴾ (المائدة/38)(*)

2/2/7/1 **المفرد** – أصل المثنى والجمع، ذهب إلى ذلك المبرّد، وابن الأنباري، وابن يعيش، والسيوطي وآخرون غيرهم، جرياً وراء أصلية الأنظمة النحويّه وفروعيتها[53].

وهذا أمر بديهي، لأنّ الواحد في الحساب أصل الأرقام الكبيرة وحدّها في منطق التصوّر.

---

* تقوم نظرية قدامى القوم على أصلية الأبواب وفرعيتها. فالنكرة أصل، والمعرفة فرع، والمذكر أصل، والمؤنث فرع، المصدر والفعل – أحدهما أصل والآخر فرع عليه، وسواها مما هو مبثوث في مصنيفات القوم.

(53) المقتضب (103/2) واسرار العربية (48) شرح المفصل (51/1) وهمع الهوامع (22/ 1).

ولعلّ في عبارة ابن الشجري، ما يؤكد هذا المنحى. يقول: «قد يعبر عن المثنى بتكرار اللفظ كما في أعطيتك ألفاً ألفا، وقد صفحت لك عن جرم وجرم».[54]

وإشارته، هنا، إلى عطف المتماثلين، أو تكرار لفظهما، وهو دليل التوالي. وأني لأرى أنّ ذلك من أساليب اللغة العربية، ولها وظائف دلالية تعجز صيغ المثنى أن تنهض بها. وقد ورد ذلك في القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿كلاّ إذا دُكَّتِ الأرضُ دكّاً دَكّاً وجاء ربُّكَ والمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾(الفجر/22/21)

ولاتساع دائرة التعبير الثنائي، وردت في اللغة ألفاظ في أصل بنائها (مثناة) دون أن يكون لها مفرد من لفظها، نحو (الملوان)– الليل والنهار، (العصران– الغداة والعشي)، (الأبيضان– اللبن والماء)؛ وغير ذلك كثير، مما أورده السيوطي في همع الهوامع وقد فصّله في أبواب متعددة .

وقد تجنح اللغة –أحياناً– إلى التعبير بالمثنى عن الجمع والمفرد. جاء في القرآن الكريم:

﴿ثُمَّ ارجع البصرَ كرّتين ينقلب إليك البصَرُ خاسئاً وهو حَسيرٌ﴾ (الملك/67)

﴿ إنّما المؤمنون إخْوةٌ فأصْلحوا بين أخويكم واتقوا اللّه لعلّكم تُرْحمونَ﴾ (الحجرات/10) والمراد: كرّات، إخوتكم.

﴿ألْقيا في جَهنَّمَ كُلَّ كفّارٍ عَنيد منّاعٍ للخير مُعْتَدٍ مُريبٍ﴾(ق/23-24).

والمراد مالك خازن جهنّم.

---

(54) الأمالي الشجرية 11/1.

﴿ هذان خَصْمانِ اخْتصَموا في ربِّهم فالذين كفروا قُطِّعت لَهُمُ ثيابٌ من نارٍ يُصَبُّ من فوقِ رُؤوسِهِمُ الحَميمُ﴾ (الحج/19)

﴿ وإنْ طائفتان من المؤمنينَ اقْتَتَلوا فأَصْلِحوا بينهُما فإنْ بَغَتْ إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تَبغي حَتّى تَفيءِ إلى أمرِ اللّهِ فإنْ فاءَتْ فأصلحوا بَينهُما بالعَدْلِ واقْسطوا إنّ اللّهَ يُحبُّ المُقْسطين﴾(الحُجُرات/9)

وفي هذا الأسلوب القرآني يتحرك الضمير العائد باختلاف صور تحمل دلالات وظيفية عالية البيان والنسج.

2/2/7/2 ظاهرة التثنية

المثنى ما تتميز به اللغة العربية، دقّة في البيان، وجلاء في وضوح الدلالة. وقد أشار فندريس إلى اختلاف اللغات في ذلك، قائلاً: «فمن اللغات ما كان فيها أو ما يزال فيها مثنى. والهندية الأوربيّة كان فيها مثنى أبقى عليه الزمن التاريخي فترة طويلة أو قصيرة على حساب اللغات، ثم أبعد عنها جميعاً تقريباً شيئاً فشيئاً... ولا يوجد منه أثر في اللغة الفهلوية ولا في الأرمنية ولا في اللاتينية منذ أقدم العصور».[55]

إنّ سرّ احتفاظ اللغة العربية باسلوب التثنية هو القرآن الكريم الذي استخدمه ومنحه القوة، والحياة، والديمومة على مرّ العصور.

المثنى– أحد الدلالات الصرفية التي تنهض على بناء اللواحق Suffixes.

وهو اسم معرب لفظاً ومعنىً، يدل على اثنين، أو اثنتين، بواسطة عناصر صوتية مضافة إلى أصل البناء.

---

(55) اللغة – فندريس (133).

وخرج من هذا الألفاظ الدالة على معنى التثنية، نحو: كلا وكلتا، زوج وشفع، لخلوهما من العناصر الصوتية المضافة وغيرها من الملحقات بالمثنى وهي:

اِثنان، اِثنتان، مِذروان، ثنايان، الكلبتان، أصدران، الأبوان، الأخوان، القمران، اللسانان، كلا، كلتا، هذان، هاتان، اللذان، اللتان، اللّذيان، اللّتيان.

وهذه الملحقات تعرب بعلاماته، دون أن تحصل على شروط بنائه، لأنها لا مفرد لها.

يقوم بناء الاسم المثنى على أساس إضافة لواحق إلى نهاية الاسم المفرد المراد تثنيته. وهذه اللواحق، مورفيمات، تحمل دلالات، وقيم وظيفية توجّه البنى وتساعد على استيعاب حالات التباين اللغوي.

وهذه اللواحق هي:

aan– **الصائت الطويل (الألف) + صوت النون– اللثوي الأنفي المجهور**

ذي القوة الإسماعية العالية والقدرة التصويتية البيّنة.

ayn– **الصوت الانتقالي المركب (الياء) + صوت النون**

واللاحقة الأولى لحالة الرفع، والثانية لحالتي النّصب والجر. واللاحقة الثانية مشتركة بين المثنى والجمع ما عدا أن (الياء) في حالة الجمع هي صوت صائت طويل (iin) .

ويبدو من خلال استقراء الشواهد أنّ الإعراب وصل إلينا صورة بيّنة الدّقة، واضحة المعالم، مهيبة البناء. هذه الدرجة من النضج والكمال مرّت بمراحل حتى استوت على عودها. وما حالة إلزام المثنى رفعاً بالألف، ونصباً وجراً بالياء، إلاّ مرحلة متقدّمة إنتقالية. وكان هناك من العرب من يلزم المثنى

الألف رفعاً، ونصباً وجراً بحركات مقدّرة. وهي على ما يبدو مرحلة قديمة تميل إلى العموم والشمول. أما حالة التخصيص والتقنين القواعدي فهي ما عليه حال المثنى السالف رفعاً بلاحقة، ونصباً وجراً بلاحقة أخرى.(56)

هذه اللواحق لها أحكام وظيفية. فاللاحقة (ann)(*) عندما تلتصق بالاسم المراد تثنيته، نحو:

Kitaab + aan ⟹ Kitaabaan

ويرى فريق النحاة أن هذه اللاحقة يتبعها صائت الفتح على جزئها الثاني (النون) لتكون:

Kitaabaana ⟹ $(R)^2 + (T)$

ويجري هذا على أساس قانون التماثل الصوتي Assimilation، أي أنّ صوت الألف يتماثل مع صوت (الفتحة) لأنّها بعض منه، ممّا يشكّل، في الواقع، صعوبة بالغة، وثقلاً متأتٍ من استمرارية المدّ الصوتي، ولا بدّ من تدخل القوة السالبة في الميدان اللغوي وهي المخالفة Dissimilation التي تسعى إلى تخفيض حدّة الخلافات بين الأصوات، لكي تسهّل جريان النطق من أجل بنية الدلالة، ولذا كان لا بدّ من تضييق المجال الصوتي لحركة الفتح عن طريق علمية الاستبدال النوعي إلى الكسر (i).

أما شروط التثنية فقد أجمع النحاة على ما يلي:

---

(56) التنوعات اللغوية (200-203)
وهنالك أمثلة من أبواب أخرى : الاستثناء ، لغة أكلوني البراغيث، والاسماء الخمسة وغيرها .
(*) تظهر اللاحقة (aan) في بعض الضروب اللغوية لتدلّ على التعهّد والحفظ، ولعلّها من تأثير الفارسية بالعربية. وقد لحقت بعض الأسماء في مدينة البصرة مثل : عويسيان، مهيجران، حمْدان، تاجريان، حمريان. بسبب الجوار البصري، لأننا نفتقدها في المدن الأخرى.

أ- أن يكون الاسم مفرداً وصالحاً للتثنية.

ب- أن يكون معرباً لا مبنياً، نحو: من، كيف، متى، كم.

جـ- أن يدل على اثنين متفقين لفظاً ومعنىً.

وغيرها مما أفاد به النحاة وذهبوا به مذاهب شتّى.

هكذا سارت العربية في سبل تثنيتها للأسماء، أما الانجليزية فسبلها مختلفة تماماً ، حيث تأتي بلفظ يدل على الاثنين قبل الاسم المراد تثنيته:

Two Pens

Both tables

Couple of ladies.

2/2/7/3 تنوعات الجمع

النوع الثالث في فصيلة العدد اللغوي، أعني المفرد والمثنى. وكما ألمعنا إلى أنّ العدد من الفصائل النحوية Grammatical Categories وهذا متجه الدرس الصوتي الحديث، الذي يقسم التنوعات اللغوية إلى فصائل، كالتعريف والزمن وغيرها.

ولعلّ هذا المتجه، هو ما نادت به النظرية العربية القديمة، ورأت أن هذه التنوعات تخضع لمبدأ الأصلية والفرعية، وعلى هذا الأساس كان مدار محور دراساتهم.

وبناء على هذا، فإنّ المفرد هو أصل المثنى والجمع. ولعلّ متّجه القدماء الاستدلالي في هذا الأمر، أنّ حركات الإعراب في الوحدة اللغوية المفردة هي أساس هذا التصوّر، لأنّها مع المثنى والجمع نتيجة مضاعفة الفترة الزمنية للإنتاج الصوتي:

a + a ⟹ aa

i + i ⟹ ii

u + u ⟹ uu

وبذا تكون هذه الصوائت القصيرة التي يعرب بها المفرد هي الأساس، وحين تضعّف تصبح صوائت إعراب ولكن من جنس آخر.

واللغة العربية لها طرائق في نسج جموعها، وتسير وفق أنظمة قياسية ثابتة، إلاّ ما جاء به السماع، وورد مروياً عن العرب، حيث كانت لهجات بعض القبائل تتداول استعماله.

والجمع، هو الركن الآخر في فصيلة العدد، يقوم بناؤه على متجهين:

1- متّجه الإلصاق.

2- متّجه الصيغة وتحوّلاتها الداخلية.

أما الأول فلأنّ مفرده يبقى محافظاً على بنائه الصوتي، إذ لا يدخل عليه إلاّ نوع من اللواحق تسمى (Suffixes) وهي: aat, iin, uun, هذه اللواحق الثلاث تتبع -على التوالي- جمع المؤنث السالم، وجمع المذكر السالم في حالاته الإعرابية الثلاث. أما جمع المؤنث السالم فإنه يعرب وفق نظام ثنائي، يأتي بيانه في حينه.

أما الثاني فإنّ العناصر الصوتية تتخذ في صيغته بناءً تركيبيّاً مخالفاً للمفرد. وقد اطلقوا عليه (جمع التكسير). ولعلّ صفة «السالم» و«التكسير» جاءت من هذا التغاير في عملية البناء الصوتي، وهي مقابلة تقوم، أساساً، على المفرد لا على الجمع.

وقبل أن ندخل في بيان ماهية هذه الجموع، أودّ أن ألقي بعض الضوء على الجمع في اللغة الإنجليزية.

تتبع اللغة الإنجليزية نظاماً في الجمع يقوم على الإلحاق والتغيير، وإن انتابت بعض الصيغ حالات من عدم الخضوع لضوابط قياسيّة معيّنة. وهذا ما يلاحظ في الشواهد التالية:

Dogs ⟹ Dog + s ⟹ (نطقاً) Dogz

Oranges ⟹ Oranges + s ⟹ (نطقاً) Orangez

وفي هذه الحالة يتحول الفونيم الجمعي بإضافة صوت (S) كتابة، ولفظاً إلى صوت (Z). وقد يصلح مثل هذا التناوب مع .Pens,legs

Men ⟹ Man

Women ⟹ Woman

Feet ⟹ Foot

geese ⟹ goose

teeth ⟹ tooth

حيث تغيرت صورة الاسم المفرد البنائية عن طريق الاستبدال الصوتي (المفرد) أو المزدوج لـ (حرف العلّة).

وفي صور أخرى نقرأ:

Church ⟹ Churches

Judge ⟹ Judges

Push ⟹ Pushes

Child ⟹ Children

Ox. ⟹ Oxen

Fish ⟹ Fish

Dish ⟹ Dishes

Speech ⟹ speeches

box ⟹ boxes

Fox ⟹ foxes

glass ⟹ glasses

cross ⟹ crosses

والملاحظ على صيغ الجمع، بالإضافة إلى ما سلف، الأمور التالية:

* اختلاف الصور النطقية وان احتوت الصيغ (S) الجمع، حيث يلاحظ أنها تنطق بتنوعات خلافية بين الوفونات متباينة كما يلاحظ في الأمثلة، وأساسه التنوع بين الأصوات المهموسة والمجهورة (voiced and voiceless phonemes).

ويظهر الجمع هنا، مع نهايات الأصوات (ch, sh, x, ss) حيث يضاف لها اللاحقة (es) .

* اختلاف العناصر الصوتية للمفرد والجمع.

* مجيء بعض الألفاظ في صيغتي المفرد والجمع بنفس التركيب الصوتي.

وتجمع الألفاظ المنتهية بـ (Y) مثل :

baby ⇛ babies

body ⇛ bodies

باضافة (es) وقلب الـ (Y) إلى (i) (حرف علّة) .

وتضطرب الصورة أكثر، ونحن نطالع :

Loaf ⇛ Loaves

Knife ⇛ Knives

Leaf ⇛ Leaves

Wife ⇛ Wives

حيث تحوّلت الـ(F) إلى (V) مع بعض التغيرات الأخرى

ونقرأ:

roof ⇛ roofs

Cliff ⇛ Cliffs

ومرة أخرى

Half ⇛ Halves

Dwarf ⇛ Dwarfs

وهي حالة غير قياسية عموماً.

وبعض الألفاظ تسير على خط واحد في حالتي المفرد والجمع:

Sheep ⇛ Sheep

Deer ⟹ Deer

Swine ⟹ Swine

ويبدو أنّ الأسماء المنتهية بـ (O) مستعارة من اللغة الإيطالية، وتجمع بإضافة (S) على نهاياتها :

radio ⟹ radios

Potato ⟹ Potatoes

Folio ⟹ Folios

وهناك في اللغة الانجليزية ما يسمى بـ (اسم الجمع) Collective - noun وهو من حيث التركيب الصوتي مفرد، ولكن الدلالة فيه تذهب إلى الجمع، وتفضّل الانجليزية معاملته كالمفرد :

Cattle ⟹ قطيع من البقر

Team ⟹ فريق لعب

Crew ⟹ مجموع ملاحي السفن

Staff ⟹ هيئة موظفين

Herd ⟹ قطيع من الغنم

وفي اللغة الإنجليزية يذكر العدد ثم المعدود، كما هو الحال في اللغة العربية:

Seven boys

Seven girls

Three women

Three men

ولكن مع هذه اللغات لا يتأثر العدد عندما يدخل دائرة ثنائية التذكير والتأنيث. أما في العربية فإنّه يتلوّن تبعاً لذلك:

تقول:

سبعة أولاد

سبع فتيات

ثلاث نساء

ثلاثة رجال

هذا الجمع، الذي لا تتغير صورة المفرد معه، سمّاه قدامى القوم «الجمع السالم» وجاء بيانه واستخدامه على ضربين:

الأول– جمع المذكّر السالم.

الثاني– جمع المؤنّث السالم.

وثالث هذه الجموع، جمع التكسير، وهو ما تتغير معه صورة المفرد.

وفي الآتي بيان لحدود وماهية كلّ لون.

2/2/7/3/1 جمع المذكّر السالم

الجَمْعُ، من أصل الصيغة (جَمَعَ) جَمْعاً، ضَمَّ بعضه إلى بعض، وهو جامعٌ، ومِجْمَعٌ، جَمّاعٌ، والمفعول مَجْموعٌ، وجَميعٌ. وفي التنزيل العزيز:

﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ، الذي جَمَعَ مالاً وَعَدَّدَهُ﴾ الهمزة/2

﴿ إنَّ عَلَيْنا جَمْعَه وَقُرْآنَهُ فإذا قَرأناه فاتْبعْ قُرْآنَهُ﴾ القيامة/17-18

﴿يوم يَجْمَعُكُمْ لِيومِ الجَمْعِ ذلك يَومُ التَّغابُنِ﴾ التغابن/9

وجمع المذكر السالم ما دلّ على أكثر من اثنين، بزيادة صوتية تلحق بمفرده وهي:

في حالة الرفع – unn

في حالتي النصب والجر– iin

وهاتان اللاحقتان، مورفيما الجمع، لهما دلالات صرفية: **الدلالة على التذكير، والدلالة على الجمع، والدلالة على نسبية الكمية العددية.**

–جاء المهندسونَ– رأيت المهندسينَ– مررت بالمهندسينَ.

وصورة هذا الجمع مع الاسم المنقوص تسير وفق المنظور التالي:

قاضي ← قاضي ← قاضون Qaadhuun ⟸ Qaadhiyuun

⟸ قاضيين ← قاضين Qaadhiin ⟸ Qaadhiyiin

داعي ← داعيون ← داعون Daᶜaiin ⟸ Daᶜaiyuun

⟸ داعيين ← داعين Daᶜaiin ⟸ Daᶜaiyiin

قال الصرفيون: تحذف الياء وتلحق ضمة بالحرف الذي قبل الواو، وكسرة بالحرف الذي قبل الياء. وهذا ما ظهر في الصيغ أعلاه. وقد عللوا هذا الحذف بقولهم: التقى الساكنان، حيث يجري الأصل (قاضيون) بضمة على الياء، و(قاضيين) بكسرة على الياء الأولى. ولما كانت (الياء) ساكنة إذا كانت مضمومة، أو مكسورة، فقد التقى الساكنان: (الياء– بعد التسكين، والواو أو الياء) فوجب الحذف على الياء الأصلية، وبقيت الواو، أو الياء، حيث تم التخلص من إلتقاء الساكنين.

أما علم الأصوات الوظيفي فينظر إلى هذه المسألة من زاوية الفونيمات فوق التركيبة -أعني المقطع- ويجري التعليل وفق التالي:

س ع ع + س ع ع ⟸ س ع + س ع + س ع ع + س ع ع + س ع

⟸ س ع + س ع ع + س ع

ويمكن تمثيل ذلك بالدوال الرمزية التالية:

$$\frac{T^3 + (R)}{(T)^2 + (R)} = \{+ T\}$$

هذا المقطع المتوسط القيمة الصوتية المفتوح، هو سبب هذا التنازع، إذ يشكّل في البناء توالي ثلاثة مقاطع مفتوحة، يسبب نطقها ثقلاً بارزاً، ولذا كان لا بد من التخلّص منه عن طريق ظاهرة المخالفة الكميّة Quantity dissimilation حيث أدت إلى تخفيض الكمية المقطعية من أجل بيان الدلالة، والتجانس الصوتي.

وهناك حالة أخرى لعامل المخالفة الصوتية، فكما تتأثر الصوامت بهذه الظاهرة، كذلك تتأثر الصوامت وتجرب وفق قوانينها. ولعلّ الغاية من ذلك تحقيق التسير النطقي في أقصى درجاته حين الابتعاد عن النطق المتوالي لحركات متّحدة الصيغة البنائية.

ولعلّ التزام اللاحقتين (uun) و (iin) بفتحة على نهايتها بدلاً من الحركة الأخرى المماثلة، هو عامل المخالفة، إذ بتأثيرها غيّرت الحركات متجهها من الاستعلاء إلى الاستواء (التوسط) ومن الاستفال إلى الاستواء.

أمّا مع الاسم المقصور في مثل: (مصطفى) فإن الأمر يجري وفق التالي:

مُصْطَفى ⟸ مُصطَفَوْنَ (رفعاً) Muṣtafawna

⟸ مُصْطَفَيْنَ (نصباً وجراً) Muṣtafayna

وقالوا إنّ بناءه لجمع الذكور يتطلب حذف الألف المقصورة وإبقاء الفتحة دالة عليها.

وحقيقة الأمر- كما تظهرها صور المقطع، تجري على وفق التالي:

مُصْطَفى ⟸ س ع س + س ع + س ع ع + ع ع س

ولما كانت هذه الصور المقطعية لا يمكن تحقيها في العربية، لاضطراب صورة المقطع الرابع فيها، لأنه من غير نسيج المقاطع العربية، كان لا بد للصورة أن تتخذ الشكل التالي:

س ع س + س ع + س ع س + س ع (في حالة الوصل)

س ع س + س ع + س ع س س (في حالة الوقف)

وهنا، كان دور المخالفة الكميّة Quantity dissmilation لإعادة توازن الوحدة اللغوية أثناء مسيرتها في التيار الكلامي، وتسمى هذه الحالة بـ «التكيفية التوازنية».

ويتحدث عنها (Beston) مؤشراً سمتها التي تقضي بتخفيض الكمية في الصوائت التي تقع في تراكيب بعض المقاطع الصوتية.

ولما كان المقطع الرابع يتألف من (نواة مضعّفة، ابتداءً، متلوة بصامت، ومسبوقة بمقطع متوسط مفتوح، أدى ذلك إلى توالي (صائتين طويلين) وحقيقتهما (أربع) صوائت قصيرة، وكان لا بدّ من اجراء تخفيض في

كميتها الصوتية. وقد جرى التحول وفق التالي:

aa + uu + na ⟹ aw + na

حيث تحولت الصوائت القصيرة الأربع إلى صوت مركب واحد هو (aw) تيسيراً للنطق.

أما الاسم الممدود، مثل (ضياء)، فإن الجمع يجري على وفق التالي:

ضياء ⟸ ضياءون

وفي هذه الحالة تتوافق الصورتان القديمة، والحديثة من حيث حركة البناء.

وهناك ألفاظ جاءت على غير هذه الصور، وهي أسماء تعرب وفقاً لإعرابه، بالواو رفعاً، وبالياء نصباً وجراً، ولكنها خالفت هيئته البنائية، لعدم استيفائها الشروط التي تمنحها أن تكون في مجموعته، وتسمى بـ (الملحقات).

- **ألفاظ العقود (عشرون- تسعون)** لأن ليس لها مفرد، ولدلالتها على عدد محدد، ولذا فإنّ دلالتها عرفية، وليست صرفية.

- **أولو**- ومفردها (ذو) وهذه ليست من جنس تركيبها الصوتي.

قال تعالى: «وإذا حضر القسمة أولو القربى» النساء/٨

- **عالمون**- وغيرها من صفات اللّه، فإنّها تدل على واحد وليس جماعة، لاقتصارها على عدم التعدد. ومثلها بعض الاستخدامات المعاصرة («مادون يد العون» «متابعون» «عارفون») لأ المخاطب فيها واحد.

- **أرَضون، سنون، مِئون، عزون،** لأنها أسماء ليست مذكرة ولا تدل على عاقل، ومفردها: أرض، سنة، مئة. و«أهلون».

قال تعالى: ﴿ شَغَلَتْنَا أموالُنا وأهلونا﴾ الفتح/11

و(سنون)– وهو كل اسم ثلاثي حذفت لامه وعوض عنها هاء التأنيث ولم يكسر. ومثلها ما ذكر أعلاه.

– ما حمل على جمع المذكر مثل: **بنون– ابن، أبون– أب، أخون– أخ**– فأصول هذه الكلمات أَبَوٌ، أَخَوٌ، بَنَوٌ.

بقي أن نشير إلى أن جمع المذكر السالم لم يكن بناؤه مقتصراً على العقلاء، لورود نصوص من القرآن الكريم لغير العقلاء. قال تعالى:

﴿والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾ يوسف/4

﴿ ثم استوى إلى السماء وهي دُخانٌ فقال لها وللأرض اِئْتيا طَوْعاً أو كُرْهاً قالتا أتينا طائعينَ﴾ فصّلت/11

﴿وتفقّدَ الطير فقَال مالي لا أرى الهُدهُدَ أم كان من الغائبين﴾ النمل/20

﴿قال سننظرُ أصَدَقَتْ أم كُنْتَ من الكاذبينَ﴾ النمل/27

2/2/7/3/2 جمع المؤنث السالم

جمع المؤنث السالم، النوع الآخر المختص بجماعة الإناث، وقد عرّفه السلف بأنّه ما جمع بألف وتاء.

الحقُّ– إن هذه اللاحقة (aat) المكونة من الصائت الطويل (الألف) وصوت التاء غير المقيّدة، تفيد عدة أمور دلالية: الجمع، الإناث، العدد.

فأما دلالتها على الجمع والإناث، فهو أمر لا يختلف فيه اثنان. وأما دلالتها العددية، فهو محلّ نظر.

أفاد ابن الأنباري، أنّ هذه اللاحقة تدلّ على القلّة، وربّما الكثرة، وأشار نحاة آخرون إلى أنّ كلا اللاحقتين (aat- uun) مشتركة بين القليل والكثير.

جاء في القرآن الكريم قوله تعالى:

﴿واذْكروا اللّهَ في أيّامٍ مَعْدوداتٍ فمن تَعَجَّلَ في يومينِ فلا إثْمَ عليه ومَنْ تأخَّرَ فلا إثمَ عليه﴾ البقرة/ 203

﴿أيّاماً معدوداتٍ فمن كان منكم مريضاً أو على سفرٍ فَعِدَّةٌ من أيّام أُخَرَ﴾ البقرة/184

﴿ذلك بأنّهم قالوا لَنْ تَمَسَّنا النارُ إلاّ أيّاماً معدوداتٍ وغَرَّهم في دِينهم ما كانوا يَفْتَرونَ﴾ آل عمران/24

حيث وردت كلمة (معدودات) ثلاث مرات في القرآن الكريم، وتناوبت الدلالة فيها بين القلّةِ والكثرة.

وقد وردت صيغة جمع الإناث في القرآن الكريم في (1065) مرّة بين دلالة القلة والكثرة.

وليس جمع الذكور، إلاّ هو الآخر لمطلق الجمع، وقد تكررت صيغته في القرآن الكريم (2230) مرة بين دلالة القلة والكثرة.

وسياق النصّ هو الذي يقود محتوى الدلالة لبيان نوع العدد.

تأتي صيغ هذا اللون من الجموع في الشواهد التالية:

حُبلى– حُبليات، سُعدى– سُعديات، هُدى– هديات، ثُريّا– ثُريّات، سَكرى– سَكارى، سُكرى، حرباء– حرباوات، عذراء– عذراوات، فضلى– فضليات، تلفزيون– تلفزيونات (مع كل اسم أعجمي)، ابن آوى– بنات آوى، ذي القعدة– ذوات القعدة، (سموات، سجلات، أمهات، رجالات، دورات– سماعي غير مقيس)، كوثر– كوثرات، سحر– سحرات، حمزة– حمزات، حذيفة– حُذيفات، ذو الحجة– ذوات الحجّة، منسوجات، معجزات، قمر– قميرات، شويرع– شويرعات، دَوْلات، صيحات.

وقد شذَّ – امْرأةٌ– نِساءٌ، أَمَةٌ– إماء، أُمّة– أُمَمٌ.

وهناك ألفاظ ألحقت به مثل: أولات، مفردها «ذات، وبعض الأعلام المفرغَّة الدلالة على العدد الجمعي: عرفات، أذرعات، عنايات، بركات.

2/2/7/3/3 جمع التكسير

أحد ألوان الجموع– وهو ما دلّ على أكثر من اثنين مع تغيّر تركيب المفرد الصوتي عند الجمع. (رجل– رجال، كتاب– كتب).

وأضرب هذا التباين ثلاثة:

– **زيادة صوتية على أصل المفرد**– سَهْمٌ– سِهامٌ، قَلَمٌ– أَقْلامٌ، قَلْبٌ– قُلوبٌ.

– نقصان عناصره صوتية عن الأصل المفرد– رَسولٌ– رُسُلٌ، فِكْرَةٌ– فِكَرٌ، زُمْرَةٌ– زُمَرٌ، صحيفة– صُحُفٌ.

- **تغيّر في الصوائت القصيرة**- أَسَدٌ- أُسُدٌ.

وأكثر أبنية هذا اللون من الجموع سماعي، لأنّ طبيعة نسجها تتطلب السماع، وإن ذهب نحاة آخرون إلى أنها أوزان قياسية.

تقع أوزان جمع التكسير بين دفّتي (القلّة والكثرة). وسوف نعالج هذين اللونين وفق أوزانهما وشواهدهما وفق البيان التالي:

أ - **جمع القلّة**: وهو ما دلّ على عدد مبهم، غير محدد، وقد يقع ما بين (3-10) إلاّ إذا جاء في أصل التركيب ما يؤشّر الكثرة.

1- **فَعْلٌ- أفْعُلٌ**.

كَفٌ- أكُف، بَحْرٌ- أبْحُر، فَلْسٌ- أفْلُس، نَهْرٌ- أنْهُرٌ، دَلو- أدْلٍ، ظبي- أظْبٍ، وَجْه- أوْجُه.

[ذِراع- أذْرُع، عقاب- أعْقُبٌ، جَبَلٌ- أجْبُل، ضِلَع- أضْلُع، نعمة- أنعُم، ذئب، أذْؤُب]

2- **فَعْلٌ- أفْعالٌ**

حول- أحوال، صوت- أصوات، يوم- أيّام، سيف- أسياف، ثوب- أثواب، وقت- أوقات، وصف- أوصاف، جد- أجداد، عم- أعمام، رب- أرباب، بر- أبرار، فذ- أفذاذ، نَهْر- أنهار، فرخ- أفراخ.

[قَلَمٌ- أقلام، زمَنٌ- أزمان، عَلَم- أعلام، باب- أبواب، مال- أموال، ناب- أنياب].

[حِلْف- أحلاف، حزب- أحزاب، صُلْب- أصلاب، عُنُق- أعناق، عُجُز- أعجاز، أصيل- آصال، يمين- أيمان].

[عدو– أعداء، جِلْف– أجلاف، حر– أحرار، ميت– أموات]

وهذه من الصفات، لأن جمع التكسير عند العرب خاص بالأسماء، إلاّ إذا خرجت الصفات إلى معنى الاسمية، وحينئذ تعامل معاملة الأسماء وليست الصفات.

3- فِعال– أفْعِلَة

حِمار– أحْمِرة، فؤاد– أفئدة، سنان– أسِنَّة، رغيف– أرغفة، نَدِي– أندية، حزام– أحزِمة، زمان– أزمنة، بناء– أبنية، قناع– أقنعة.

[إمام– أئمة، عزيز– أعزة، ذليل– أذلة، حبيب– أحبة، وادٍ– أودية، لسان– ألسنة].

4- فَعَلْ– فِعْلَة

ولد– وِلْدَة، فتى– فتية، غلام– غِلْمَة، جار– جيرة، قاع– قيعة، أخ– إخوة.

وعلى هذه الأقيسة تأتي صيغ جموع القلّة التكسيرية. ويلاحظ أنها جاءت على هيئة المقاطع التالية:

* س ع + س ع س ⟸ مقطع قصير + مقطع متوسط مغلق (M) + (O) (الوقف)

* س ع س + س ع س... مقطعان متوسطان مغلقان 2(M) (الوقف)

* س ع س + س ع ع س ⟸ مقطع متوسط مغلق وآخر كبير مغلق (M) +(X) (الوقف)

* س ع س + س ع + س ع س ⟸ ثلاثة مقاطع– اثنان متوسطان مغلقان وآخر قصير (O) + 2(M)(الوقف)

* س ع + س ع س + س ع ⟸ ثلاثة مقاطع- اثنان قصيران وآخر متوسط مغلق (M) + 2(O) (الوقف)

2- جمع الكثرة: وهو ما دلّ على عدد يتعدّى العشرة:

1- أَفْعَلْ- فُعْلٌ.

أعزل- عُزْل، أسود- سود، أخضر- خضراء- خُضر، أعرج- عرجاء- عُرْج، أحور- حوراء- حُوْر، أبيض- بيضاء- بيض، أشيب- شيباء- شيب.

[أَدْهَمْ- أداهم، أسود- أساود].

2- فَعول- فُعُلٌ- فُعَلٌ

غفور- غُفُر، صبور- صبُّر، فخور- فُخُر، غيور- غُيُر، رسول- رُسُل، زبور- زبُر، سبيل- سبُل، سرير- سُرُر، قضيب- قُضُب، قلوص- قُلُص.

[نجيبة- نُجب، سفينة- سُفن، نذير- نُذُر]

[لُجّة- لُجج، كُلية- كلى، صورة- صُور، مدية- مُدى، مُدة- مُدد، زلفة- زُلف]

[حُبلى- حُبَل، رؤيا- رؤى]

[نوبة- نُوب، تُهمَة- تُهَمْ، تُخَمَةٌ- تُخَم، جُمعَة- جُمع].

3- فِعْلَة- فِعَلٌ

ديمة- ديم، لِبدة- لِبد، بيعة- بيع، ذكرى- ذِكر، معدة- معد، ضيعة- ضيع.

4- فاعل- فُعَلَةٌ

قاضٍ- قُضاة، رامٍ- رُماةٌ، غازٍ- غُزاةٌ، هادٍ- هُداةٌ، [كمي- كُماة، سرى- سُراة، باز- بُزاة، هادر- هَدَرَة].

وحكى الصرفيون أنّ هذا الوزن يأتي في كل مذكر عاقل على وزن فاعل معتل اللام. وأصل (غزاة) غُزَوَةٌ، تحرّكت الواو وماقبلها مفتوح فتحة أصلية، فقلبت ألفاً.

وما ورد في هذه الصيغ من غير العاقل، حملاً على الاسمية وليس الوصفية. أما الوجه الصوتي فيها فيجري على وفق الآتي:

غزا ⟸ س ع + س ع ع

غُزَوَةٌ ⟸ س ع + س ع + س ع + س ع س

غُزاةٌ ⟸ س ع + س ع ع + س ع س

والأمر يجري على قانون المخالفة الصوتية، ويسمّى هذا النوع بالمخالفة الكميّة Quantity dissimilation التي غالباً ما تقع بين المقاطع الصوتية، حيث تؤدي إلى تخفيض كمياتها الصوتية، وبالتالي المقطعية.

والحذف الصوتي، يجري على المقطعين القصيرين (الثاني والثالث)، إذْ أدى انصهارهما معاً إلى تولد مقطع متوسط مفتوح واحد، بواسطة اندماج الصائتين (الفتح). وباندماجهما يتولد صوت الألف الطويلة: (غُزاوْةٌ) ولما كان هذا المقطع لا يقع إلاّ أخيراً وفي حالة الوقف، قصّر، حيث وقع على الشكل التالي:

غُزَوَةٌ ⟸ غُزاوْةٌ ⟸ س ع + س ع ع س + س ع س

⟸ غُزاةٌ ⟸ س ع + س ع ع + س ع س

5- فاعل- فَعَلَةٌ

ويجري الجمع معه في كلّ وصف لمذكر عاقل، صحيح اللام، على وزن فاعل: قاتل- قَتَلَةٌ، صائغ- صاغة، بار- بررة، كامل- كملَةٌ، سافر من سفر الكتاب أي كتبه- سَفَرَةٌ.

6- فُعْلٌ- فِعَلَةٌ

وهو جمع لكل اسم صحيح اللام على وزن فُعْل: دُبّ- دِبَبة، قُرْط- قِرَطة، قِرد- قِرَدَةٌ.

7- فُعْلى

صيغة يجمع عليها قياساً ما كان على وزن (فعيل) بمعنى:

- فاعل: مريض- مرضى

مفعول: صريع- صرعى

أو ما جاء على وزن (فاعل) هالك- هلكى. أو علي وزن (فيعل) ميّت- موتى، أو على وزن (أفعل) أحمق- حمقى، أو على وزن (فعلان) سكران- سكرى.

8- فُعَّلٌ

ويجمع عليها ما كان على وزن (فاعل) أو (فاعلة)، ومعها يجب أن يجري الأمر مع الوصف الصحيح اللام.

ساجد- سُجَّدٌ، راكع- ركّع، عائد- عُوّد، عاذل- عذّل، صائم- صوّم، نائم- نُوّم، ومثلها ساجدة، راكعة».

9- فُعّال

ومعها يجري الجمع على ما كان وصفاً على (فاعل) صحيح اللام:

آلِفٌ- أُلّافٌ، حاكم- حكّام، كاتب- كُتّاب، قاريء- قُرّاء.

10- فِعال

من أكثر صيغ التكسير ذيوعاً. وأشهر مراصدها مايلي:

فَعْلٌ- فَعْلَةٌ، نَعْل- نعال، نَعْجَة- نعاج، خيمة- خيام، قينة، قيان، ضيعة- ضياع.

فَعَلٌ- فَعَلَةٌ: جَمَلَ- جمال، جبل- جبال، ثمر- ثمار.

فِعْلٌ- فُعْلٌ: رمح- رماح، ذئب- ذئاب.

فعيل ومؤنثه فعيلة (بمعنى فاعل): حريص- حراص، سمينة- سِمان، قال تعالى: «إني أرى سبع بقرات سمان»يوسف/٤٣ طويل- طوال.

فَعْلان- فعلانة- فَعْلى: غضبان- غضبانة- غضبى- غِضاب. ندمان- ندمانة- نِدام.

فعلان- جواد- جياد، راعي- رعاء. قال تعالى: «حتّى يصدر الرعاءُ» القصص/23، قائم- قيام.

11- **فُعول**: وهو جمع للأسماء على وزن فَعِل:

نَمْر- نمور، عَصْر- عصور، عِلْم- علوم، بُرْد- برود، أسد- أسود، ضرس-ضروس، جند- جنود، شجن- شجون، بطن- بطون، صدر- صدور، خطب- خطوب، أمر- أمور، كعب- كعوب، شاهد- شهود.

12- فِعْلان:

ويقع مع الأسماء على وزن:

فُعال: غراب– غربان

شجاع– شجعان

فُعْل: حوت– حيتان، عود– عيدان

فُعَل: صُرَدْ– صردان، جرذ– جرذان

فَعَل: نار– نيران، قاع– قيعان، جار– جيران [غزال– غزلان، أخ– إخوان، شيخ– شِيخان]

13- فُعلان:

ويقع في ما جاء من الأسماء على وزن (فَعْل– فَعَل– فعيل)

ظَهْر– ظُهران، ذكر، ذُكران، بلد– بلدان، رغيف– رغفان، كثيب– كثبان [راهب– رهبان، فارس– فرسان، راكب– ركبان، أعمى– عميان، أسود– سودان].

14- فُعَلاء:

ويأتي الجمع على هذه الصيغة في مواقع الأوزان (فعيل– فاعل): شريك– شركاء، شفيع– شفعاء، سميع– سمعاء، أليم– ألماء، جليس– جلساء، خليط– خلطاء، عاقل– عقلاء، شاعر– شعراء، ظريف– ظرفاء، صالح– صلحاء.

15- أفْعِلاء:

ما جاء على وزن (فعيل) بمعنى (فاعل):

طبيب– أطبّاء، وصي– أوصياء، صديق– أصدقاء.

2/2/7/3/4 **صيغة منتهى الجموع**

يؤكد المنظور الصوتي على أن المقصود بها هو كلّ جمع تكسير جاء بعد صائته الطويل (الألف) صوتان أو ثلاثة أصوات بحيث يكون مجموع أصوات الصيغة ما بين (6-5)، والصوت الأوّل منها إمّا أن يكون مع الصائت القصير (الفتح) أو (الضم).

وأشهر أوزانها سبعة:

1- **فواعل**: كاذبة- كواذب، ناصية- نواصٍ، جوهر- جواهر، خاتم- خواتم، طالق- طوالق، شاهق- شواهق، حاجب- حواجب، غائب- غوائب، باسل- بواسل، هالك- هوالك، كوكب- كواكب، زورق- زوارق، حوصلة- حواصل، كوثر- كواثر، زوبعة- زوابع.

2- **فعائل**: عجوز- عجائز، صفيحة- صفائح، سحابة- سحائب، رسالة- رسائل، حريق- حرائق، ضرّة- ضرائر، حرة- حرائر.

3- **فعالي**: صحراء: صحاري- صحارٍ، عذراء- عذاري- عذارٍ ، فتوى- فتاوٍ، حُبْلى- حبالٍ.

4- **فعالى**: عذراء- عذارى، صحراء- صحارى، عطشان- عطشى- عطاش، كسلان- كسلى- كسالى، قديم- قدامى.

5- **فَعاليّ**: كرسيّ- كراسي، قمري- قماريّ، كُركي- كراكي، مهري- مهاريّ.

6- **فعالل**: جمجمة- جماجم، جعفر- جعافر، بُرثن- براثن، زَبرج- زبارج، سفرجل- سفارج، فرزدق- فرازد، متدحرج- دحارج، عنكبوت- عناكب، عندليب- عنادل.

[وملحقاتها: مسجد- مساجد، صَيْرَف- صيارف، سُلَّم- سلالم، مئزر- مآزر، مقدار- مقادير، أنملة- نامل، أرملة- أرامل، رهط- أراهط، أنبوب- أنابيب].

2/2/7/3/5 اسم الجمع

يذهب الدلالة فيه على الجمع، ولكنه يبنى من صيغة صوتية مغايرة لما ألفناه من الصيغ السابقة.

إبل، خَيْل، قَوْم، رَكْب، صَحْب، شرب، وفد، ومفرداتها على التوالي: جمل، فرس، رجل، راكب، صاحب، شارب، وافد.

وهناك أسماء أخرى أوردتها العرب مثل:

فئة، رهط، فريق، شعب، نفر، ملأ، حزب، نسوة، أولو بمعنى (أصحاب)، الألى (الذين)، أولاء- اسم إشارة، غنم.

2/2/7/3/6 اسم الجنس الجمعي

وهذا اللون تجتمع فيه الدلالة على معنى المفرد، والمثنى، والجمع، والسبب في ذلك لذهاب الأدلة معه على كينونة المسمى أو ماهيته. مثل: نخل، تمر، عرب، انجليز، ألمان، فرنسيون. دجاج، تفاح، بعوض، زنج، روم، جند.

وبعد هذا الاستعراض لا بدّ أن نسجّل الملاحظات الصوتية، التالية:

تردّ أوزان جموع التكسير من حيث الزيادة في المادة الصوتية أو النقص إلى أنواع ثلاثة:

أ- الأوزان التي لا يضاف إليها إلاّ الصوائت والصوامت.

ب- الأوزان التي تحذف بعض عناصرها الصوتية.

وهذه التغيرات تكمن في المواضع التالية:

1- التغيّر في الصوائت.

2- التغيّر في الصوائت والصوامت.

3- الزيادة في الصوامت.

أما المورفيمات فإنّها تشمل:

1-مورفيم الهمزة- سابقة Prefix

2- مورفيم التاء- لاحقة Suffix

3- مورفيم النون- لاحقة Suffix

4- مورفيم (الألف والهمزة)- لاحقة Suffix

5- مورفيم الهمزة- لاحقة Suffix

6- مورفيم الألف- لاحقة Suffix

أما المقاطع الصوتية لتلك الأوزان فتجري على وفق التالي:

M + O + M -1

M + V + M -2

M + O + O + M -3

M + M -4

O + O + M -5

O + O + O + M -6

M + V -7

O + O + V + M -8

M + O +V + M -9

M + V -10

O + V + O + M -11

O + V + V + M -12

O + V + O + O + M -13

O + V + M + M -14

O + V + M -15

O + Z + M -16

وهذه الدوال قد يطرأ عليها بعض التغيير لتأرجح أوزان التكسير بين السماعي والقياسي.

وهناك أسماء وردت عن العرب، سماعية المنحى، وهي في أصلها جمع. وقد وردت مجموعة مرتين، مثل: بيوتات، رجالات، أفاضِلون، صواحبات، أيامنون، وهذا هو (جمع الجمع).

2/2/8 التَّصغير

تغيّر لغوي يختص بالأسماء دون الأفعال والحروف[57]. وتظهر صورته في البنية والهيئة.

تنحصر أوزانه العربية في أنواع ثلاثة، هي:

أ- فُعَيْلٌ ب- فُعَيْعِلٌ جـ- فُعَيْعيلٌ.

ويختص كلّ وزن بعدد عناصر الاسم الصوتية. فالأوّل لتصغير الاسم الثلاثي المجرّد؛ والثاني لتصغير الاسم الرباعي المجرّد، والثلاثي المزيد؛ والثالث لتصغير الاسم الخماسي الأصوات، ولكلّ أحكامه.

أ- **فُعَيْل**- جَبَلٌ-جُبَيْلٌ، بزٌّ- بُزَيزٌ.

ب - وزن فُعَيْعِلٌ: جَعْفَر- جُعَيْفِر، مِبْرَد- مُبَيرِد، مَجْلِس- مُجَيْلِس، مَضْرب- مضيرب، سفرجل- سفيرج، فرزدق- فُريزد، غُضَنْفَر-غُضَيْفِر، مُبرّح- مُبيرح، مستدرك- مُديرك، قلنسوة- قليسية.

جـ- وزن فُعَيْعيلٌ- قِنْديل- قُنَيْديل، عصفور- عُصَيْفير، مِصباحٌ- مُصَيبيحٌ، مفتاح- مُفَيْتيحٌ، سلطان- سُلَيْطين.

- أحكام تصغير الأسماء ذات العناصر الصوتية المتداخلة (الصوامت + الصوائت):

---

(57) سمع عن العرب تصغير فعلين من أفعال التعجب: ما أملح، ما أحسن. قال الشاعر:

يا ما أُميلح غزلاناً شدنّ بنا   من هؤلياء بين الضال والسَّلَمِ

وسمع عنهم كذلك: أحيد عشر، بعيلبك، ذيًّا، تيّا، هؤلياء، اللّذيا، اللّتيا، تصغير: أحد عشر، بعلبك، ذا، تا، هؤلاء، الذي، التي. .

	O + M + V + M
ميزان– مويزينٌ	O + M + M
ناب– نُيَيْبٌ	O + M + M
بيت– بُيَيْتٌ	O + M + M
شيخ– شُيَيْخٌ	O + M + M
باب– بُويبٌ	O + M + M
مال– مُوَيْلٌ	O + M + O + M
قيمة– قُوَيمةٌ	O + M + O + M
شاعر– شويعرٌ	O + M + O + M
كاتب– كويتبٌ	O + M + O + M
عالم– عُوَيلمٌ	O + M + O + M
عصا– عُصَيَّةٌ	O + M + O + M
دعوة– دُعَيَّةٌ	O + M + O + M
جميل– جُمَيِّلٌ	O + M + O + M
عظيم– عظيِّمٌ	O + M + V + M
منشار– مُنيشيرٌ	O + M + V + O + M
أرجوحة– أريجيحةٌ	O + M + M
ملهى– مُلَيْهٌ	

	O + M + M
دم– دُمَيٌّ	O + M + O + M
يَد– يُدَيَّةٌ	O + M + O + M
مئة مُوَيَّةٌ	O + M + O + M
شَفَة– شُفَيْهَةٌ	O + M + O + M
عِدة– وُعَيْدَةٌ	O + M + O + M
زِنَة– وُزَيْنَةٌ	O + M + O + M
مِقَة– وُمَيْقَةٌ	O + M + M
ماء– مُوَيْهٌ	O + M + M
قضاء– قُضَيٌّ	O + M + M
علاء– عُلَيٌّ	O + M + O
أبو بكر– أُبَي بكر	O + M + O
حضرموت– حُضَيْرموت	O + M + O + O
أم سعيد– أُمَيْمةُ سعيد	O + M + O
معد يكرب– مُعَيْد يكرب	O + M + O + O
سبعة عشر– سُبيعةُ عشر	O + M + O + O
أم الولد– أُمُّ الوليِّد	O + M + O + M
عين– عُيَيْنةٌ	O + M + O + M

أذن– أُذَيْنَةٌ	O + M + O + M

دار– دويرةٌ	O + M + O + M

نار– نويرةٌ	O + M + O + M

سن– سُنَيْنَةٌ	O + M + O + M

سماء– سُمَيَّةٌ	O + M + O + M

صفاء– صُفَيَّةٌ	O + M + O + M

هناء– هُنَيَّةٌ	O + M + M

جَرْوٌ– جُرَيٌّ	O + M + M

دَلْو– دُلَيٌّ	O + M + O + M

عروة– عُرَيَّةٌ	O + M + O + M

عجوز– عُجَيِّزٌ	O + M + O + M

أسد– أسيِّدٌ	O + M + O + M

أسود– أسيودٌ	O + M + V + M

أصحاب– أصيحابٌ	O + M + O + O + M

أعمدة– أُعَيْمِدَةٌ	O + M + V + M

أعلام– أُعَيْلامٌ	O + M + V + M

أقلام أُقَيْلامٌ	O + M + O + M

صبية– صُبَيَّةٌ

O + M + O + M

فتية– فُتَيَّةٌ O + M + O + V + O

شعراء– شويعرون O + M + O + V + O

خُطباء– خويطبون O + M + V + O

رجال– رُجيلون O + M + O + V + M

قصائد– قُصيِّدات O + M + O + M

ليلة– لُيَيْلَةٌ O + M + M

رجل– رُجَيْلٌ O + M + O + M

درهم– دُرَيْهِمٌ

– تصغير الترخيم: O + M + M

شاعر– شُعَيْرٌ O + M + M

حامد– حُمَيْدٌ O + M + M

كريم– كرَيْمٌ O + M + O + M

حوراء– حويرَةٌ O + M + O + M

عصفور– عصيفِرٌ O + M + O + M

قنديل– قنيدِلٌ

مصغرات أخرى: O + M + V

أحوى– أُحَيّا

فأس- فؤيسةٌ	O + M + O + M
شكاوى- شكّيات	O + M + V + M
امرأة- مُرَيأةٌ	O + M + V + M
ابن- بُنَيٌّ	O + M + M

في الاسماء السابقة تكمن كلّ أحكام التصغير، التي سأورد هيئاتها على وفق التصوّر الفونولوجي.

١- التصغير يردّ الأصول المحذوفة والمنقلبة.

٢- التصغير يلحق بالاسم معنى الوصف (قمير- نعني قمراً صغيراً) ولهذا كانت (التاء) لازمة، لأنها تلحق بآخر الصفات المؤنثة.

٣- التصغير- تغيير يدخل على الصيغة الاسميّة، أي أنه يختص بـ (الدواخل) Infixes.

٤- التصغير- ليس من (السوابق) Prefixes

- ليس من (اللواحق) Suffixes

٥- تجري البنية المقطعية لأوزان الاسم المصغر على وفق التالي:

فُعَيْلٌ ⟸ O + M + M

فُعَيْعِلٌ ⟸ O + M + O + M

فُعَيْعيلٌ ⟸ O + M + V + M

ويلاحظ أنّ المقطع الثاني معها يأتي متوسطاً مغلقاً، وذلك لدخول الحركة المركبة (Diphthong) (Ay).

كما يلاحظ أنّ المقطع الأول فيها قصير، والثاني متوسط مغلق. أن الصيغ الأولى ثلاثية المقاطع، بينما الصيغتان الثانية، والثالثة رباعية المقاطع، مع اختلاف واحد في نوع المقطع الثالث، حيث جاء متوسطاً مغلقاً في الوزن الثاني، ومغلقاً مفتوحاً في الوزن الثالث.

٦- تجري التغيّرات في بعض الشواهد السابقة على وفق التالي:

كاتب ⟸ كايْتِبٌ.. س ع ع س + س ع + س ع س

وبما أن المقطع الأول لا يرد في العربية إلاّ في حالة الوقف، لذا فإنّ الابتداء به لا تميل إليه العربيّة، لما يتميز به من الثقل الصوتي. وهنا تجي المخالفة الكميّة Quantity Dissimilation لتغيّر البناء المقطعي. وبما أنّ التصغير يتطلب (صوت الياء) في حالة بنائه، فإنّ المخالفة الصوتية تنهض على تقصير الصائت الطويل (الألف) إلى نصف كميته الإنتاجية، لتصبح الكلمة (كَيْتَبٌ) س ع س + س ع + س ع س ومعها يتحقق وجود الحركة المركبة (ay). وبما أنّ وزن الصيغة يتطلب الصائت القصير (الضمة) على المقطع الأول، كان لا بدّ من إجراء تغيير في ترتيب المقاطع، بما يتلائم وحركة هذا الصائت القصير، حيث زاد البناء مقطعاً قصيراً، لأنّ وزن الصيغة يقوم عليه، وهذا يكون ملائماً لحركة الضم، والصائت الطويل بعدها، لأنّه من جنسها:

كُوَيْتِبٌ ⟸ س ع + س ع س + س ع + س ع س.

ويبدو أنّ الصيغة الأولى لا زالت مستخدمة في بعض اللهجات الحديثة، ويراد بها التهكّم والسخرية.

أما في تصغير -عصا- فتجري المقاطع على وفق التالي:

عَصا ⟸ عَصَوَ ⟸ عُصَيْوَةٌ ⟸ عُصَيَّةٌ

هكذا قال الصرفيون. ولكن للمقاطع الصوتية معها مجرى آخر. فإن قالت العرب إنّ أصل (عصا) (عصو) فالتصغير على (عُصَيْوَةٌ) ومقاطعها:

س ع + س ع س + س ع + س ع س

وإن قالوا، وفق قواعد إعلالهم، إنّ (الواو) تقلب (ياء)، لتصبح (عُصيَّة) فإنّ مقاطعها:

س ع + س ع س + س ع + س ع س

وهي نفس مقاطع الأولى، فلماذا كان هذا القلب الصوتي؟

يبدو أنّ الياء الأولى (ياء التصغير)، التي اندمجت مع حركة صائت الفتح لتؤلف منه الصوت المركب (ay) بقيت محتفظة بجانب من تماثلها مع الصوائت لأنّها، كما نعلم، شبه صائت (Semi- Vowel) ولذا فإنها تميل إلى المجانسة الصوتية مع الصوت الذي يليها، ولما كان صوت الواو -وهو صوت (شبه صائت) أيضاً - انتقالي، تغيّر من أجل المجانسة والتماثل Similarity إلى صوت (الياء) الانتقالي ليشكل مع الحركة المركبة حركة أخرى ليكون (ayy)، وهي حركة مزدوجة القيمة الصوتية.

وفي صيغة (علاء) يبدو أنّ الهمزة ذات وظيفة تباينية- نبريّة، لذا فإن إقامتها من البناء، حين يصار إلى التصغير، لا يغير من القيمة التمييزية. وتجري مقاطعها حين تصغّر على وفق التالي:

علاء ⟸ علاو ⟸ علو ⟸ عُلَيْوٌ ⟸ عُلَيٌّ

س ع + س ع س + س ع س (عِليوّ)

س ع + س ع س + س ع س (عُلَيّ)

وهنا، يجري الانتقال الصوتي من أجل التجانس، إذ أن الياء حركة أمامية ضيقة، والانتقال من موضعها إلى موضع (الواو) الحركة الخلفية الضيّقة، أمر يكتنفه الثقل، مما استلزم جريان المد الصوتي، مع انسيابية حركة الياء. وكلاهما صوت انتقالي، يتميز بنفس الخصائص الصوتية للآخر، ما عدا مواقعهما المختلفة.

وفي تصغير (دابّة) ذات البناء المقطعي:

س ع ع س + س ع + س ع س

المؤلَّف من مقطع كبير مغلق، وهو أمر لم تألفه العربية، لكنها أبقته لندرة وقوعه في صيغها.

وعند التصغير يجري الآتي:

دا ⟸ دُ ⟸ دو

بّة ⟸ يَبّة

⟸ دُوَيْبّة

⟸ س ع + س ع س + س ع + س ع س

وهي مقاطع متجانسة، تجري حركتها النطقية بسهولة ويُسر.

أمّا سبب التغير من الصائت الطويل (الألف) إلى الصائت الطويل (الياء) فهو للمجانسة الصوتيةمن أجل الضمة التي عَلَتْ صوت الدال، وهو ما يتطلبه وزن الصيغة.

أما (فأس– فؤيسة)، فيلاحظ الآتي:

– إن طريقة رسمها اتخذت الصورة (فؤيسةٌ) بدلاً من (فُئَيْسَةٌ)، لأن الهمزة صوت تبايني، يمكن أن يحذف من أصل الصيغة، كم يجري في (فأس– فاس) وهذا مسلك أهل مكة والمدنية. ولذا فإنّ مجيء (الواو) استبدالاً صوتياً، تتطلبه حالة النطق المزدوج، فمن شاء نطقها (فويسة) بدون همز، ومن شاء حقق فيها الجانب النبري، وهو ما نسميه (النبر القصدي) Aimed Stress.

– أما سرّ انقلابها إلى (الواو) فهو بفعل الضمة على الصوت الأول، وهذا هو مجرى وزن الصيغة المصغرة. لأن الضمة هي بعض الواو– وهما بهذا الحال حركتان متجانستان، مما يسهّل جريان النطق الصوتي.

٧– يلاحظ أن أبنية المقاطع في الأسماء المصغرة تنحصر في الصور التالية:

أ– مقاطع ثلاثية التكوين الصوتي:

O + M + O

O + M + M

O + M + V

ب– مقاطع رباعية التكوين الصوتي:

O + M + O + M

O + M + V + M

O + M + O + O

O + M + V + M

جـ- مقاطع خماسية التكوين الصوتي:

O + M + V + O + M

O + M + O + O + M

O + M + O + V + O

O + M + O + V + M

2/2/9 ظواهر التحولات اللغوية

عالجت النظريّة الصرفية العربية ضروباً من الظواهر اللغوية في أبواب متفرقة، ظهرت في مصنفات قدامى القوم. وقد وقفنا عند بعضها في المباحث السابقة، حيث كان للنحاة والصرفيين رؤية في بنائها ومسلكها الوظيفي، داخل التراكيب اللغويّة، وكان للدرس اللساني الحديث معها طريقة في التفسير تنهض على معطيات علم الأصوات الوظيفي.

وثمّة ظواهر لغوية أخرى شقّت طريقها للبنية العربية، وهي تنهض في أساسها على مبدأ النظرية الصرفية، في الرؤية والمعالجة. هذا المبدأ، الذي نهض على تصوّر يشوبه بعض الخلط والاضطراب، وهو يعالج العناصر الصوتية للوحدة اللغوية، مما تسبب في ضعف النتائج أثناء جريان عمليات التحوّلات اللغويّة.

ولعلّ مردّ الأمر في ذلك، إلى اعتمادهم الكتابة أساساً، دون النظر إلى المنطوق، من جهة، ومن أخرى فإنّ نظريتهم الصوتية وضعت مبدأ القوة، والضعف، حين عالجت الحرف العربي. وهذه نظرة ماديّة بحتة. فالحرف هو الجانب المادي من الصوت، وكان يجب ألاّ يهمل هذا الجانب، لما له من الأهمية في وضوح كثير من النتائج التحوّلية في الوحدة اللغويّة.

إضافة إلى ما تقدّم، فإنّ اعتماد مبدأ الملاحظة الذاتية، أخفق في الوصول إلى حقيقة كثير من العناصر الصوتية، وعلى وجه الخصوص (الألف، والواو، والياء، والهمزة) وكذلك الصوائت القصيرة (الفتحة، والكسرة، والضمّة) باعتبارها توابع للحروف، وأن الحرف كالمحلّ لها، وأنها لا توجد إلاّ بوجوده.

وقد سرت تصورات نظرية الخليل الصوتية إلى علوم العربية، وفسّرت على ضوء تصورها ظواهر اللغة المتعددة. ولعلّ إقامة ميزان الشعر العربي، على المتحرّك، والساكن، ومساواة الصوامت المشكّلة بالسكون، مع الصوائت الطويلة (وهي حركات) بتشكيلها -هي الأخرى- بالسكون، من نواتج هذه النظرية.(*)

ولعلّ أهمية الأمر تكمن فيما سمّاه قدامى القوم بـ(حروف العلّة) وهي لألف، والواو والياء، وأنها أحرف معلولة يعتورها الضعف، وتتقاذفها أمواج التغيّر، دون النظر إلى حقيقة هذه الأصوات الثلاثة، التي تشكّل مثلث الصوائت الطويلة، وأنّها لا تقلّ أهمية من الصوامت، وتمتلك من النشاط الصوتي أكثر من بعض الصوامت. ويمكن أن ندوّن ذلك في النقاط التالية:

أ- تتميز الصوائت بالنطق المفتوح Open articulation وهذا يمنحها الارتفاع في درجة الصوت والعلو الإسماعي.

ب- تحمل بصورة مطلقة خاصية الجهر الصوتي، لأنّ وظيفتها داخل البنى اللغوية لا يمكن لها أن تظهر إلاّ أن تكون مجهورة.

جـ- تمتلك درجة عالية من النشاط الوظيفي. فهي حركة قصيرة، عن طريق تخفيض كميتها الإنتاجية، وحركة طويلة، بتضعيف الكميّة الإنتاجية. وقد تكون صوتاً انتقالياً، وهي مع جزئها الآخر، تشكل ما يطلق عليه بالحركات المركبة (Diphthong) في اللغة العربية.

(*) هندسة المقاطع الصوتية وموسيقى الشعر العربي (المقدمة).

وإذا كانت سمة التحوّل، والتغيّر تلازمها، فليس معنى ذلك أنّها معلولة. وإلاّ كيف لها أن تؤدي كلّ تلك الأنشطة، إذا كانت معتلّة؟

ولعلّ الخطأ في تصوّر ماهية هذه المنطوقات Articules ، وإلباسها مصطلح (حروف العلّة) وراء تفسير كثير من الظواهر اللغوية.

إذن ما هي حقيقة العلّة في المنظور اللغوي والاصطلاحي؟

وردت مادة (عَلَلَ) في اللغة بمعان مختلفة:

عَلَّهُ، يَعُلُّهُ، إذا سقي السقية الثانية من الماء، يقال: عَلَلٌ بعد نَهْل. والعَلُّ، مضاعفة العطاء. وفي حديث الإمام علي (رضي) «من جزيل عطاءك المعلول». والعلُّ، الإطعام. و التعليل، تبين عِلّة الشيء عند أهل المناظرة. والعَلَّةُ: الضرّة، والجمع (علاّت). وبنو العلاّت، بنو رجل واحد من أمّهات شتّى، ويقابلهم بنو الأخياف، وهو بنو الأم الواحدة من آباء شتّى. والعِلَّةُ، المرض الشاغل. وعند أهل العروض، التغيُّر اللاحق بالأسباب والأوتاد في الأعاريض، والضروب خاصّة، لازماً لها. والجمع (عِلاّتٌ) و(عِلَلٌ). وعلة الكلمة، في اصطلاح الصرفيين، ذكر وجهها من الإعلال.

والإعلال اصطلاحاً: تغير حرف (العلّة).

والعلة في المنظور اللساني: التكيف الصوتي لكمية الهواء المندفعة من الرئتين دون أي إغلاق أو احتكاك أو اتصال من أعضاء النطق.

إذن كيف نظر قدامى القوم لهذا المثلث الصوتي؟

قال الرضي: «اعلم أنّ لفظ الإعلال في اصطلاحهم مختصّ بتغيير حرف العلّة، وتسمى الثلاثة، حروف العلّة، لأنّها تتغير ولاتبقى على حال، كالعليل المنحرف المزاج المتغيّر حالاً بحال، وتتغيّر هذه الحروف لطلب الخفّة

ليس لغاية ثقلها، بل لغاية خفّتها، بحيث لا تتحمل أدنى ثقل، وأيضاً لكثرتها في الكلام، لأنّه إن خلت كلمة من أحدها فخلوها من أبعاضها، أعني الحركات محال، وكلّ كثير مستثقل إن خَفَّ»(58)

إذن «الخفة» في نظر القوم هي سبب التغيّر، مضافاً إليها: «كلُّ كثير مستثقل وإن خَفَّ» وهي نظرة تقوم على بعد الرؤية المادية للأشياء، وليس إلى حقيقة وضعها في المنظور الصوتي.

أما ابن يعيش فيقول: «وسميت هذه الحروف حروف عِلّة لكثرة تغيّرها».(59)

ولم يتجاوز قدامى القوم هذين المفهومين، واعتمدوها قطب الرحى التي دارت عليها دراساتهم للوحدات اللغوية.

اكتسبت هذه الحروف أهمية بالغة، نظراً لانتشارها الواسع بين صفوف الأسماء، والأفعال، والحروف: مالٌ، كتابٌ، حجابٌ، قالَ، مالَ، ما، لا، على. حوض، جوهر، سوط، حاولَ، قاولَ، لو، أو. بيت، بيض، حيف، بايع، باين، كي، أي، وغيرها زاد كثير.

وسنفصّل القول في حقيقة هذه الظواهر الأربعة، أعني الاعلال، القلب، الابدال، العوض، ورؤية الدرس اللساني الحديث في حقيقتها وتفسير ظاهرتها.

سمّى قدامى القوم هذه الصوائت (حروف العلّة) وهي في واقعها ليست حروفاً بل صوائت طويلة Long-vowel ، والعلة فيها هذه الجوانب

(58) شرح الشافية (68/3).

(59) شرح المفصل (54/10).

التحوليّة، التي يجري جانب منها على أقيسة والآخر على ضروب سماعية.

هذه الصوائت (حروف العلة) لم تكن من الضعف، كما نعتوها، بحيث أنها لا تقوى على مقاومة تيارات التغير، بل لطبيعة صناعة اللغة، وما تقتضيه سياقاتها التركيبية، وما تفرضه عليها قوانين أبنيتها الصوتية وعلاقاتها الوظيفية.

تتميز هذه الصوائت الثلاثة بنشاط واضح داخل الوحدات اللغوية بناءً على طبيعة تكوينها التركيبي. فالصوائت الطويلة (الألف، والواو، والياء) تتميز بقوة وضوحها السمعي، وأنها مجهورة، ثم أنّ صوتي (الواو) و(الياء) يتقاسمان البناء التركيبي بين الصوامت والصوائت؛ فهما مرةً (شبه صائت - (حركة) Semi-vowel) وأخرى (شبه صامت- (صوت) Semi-consonant) وعلى هذا البناء، وما تقوم به من نشاط وظيفي، لا يمكن أن تُعَدَّ معلولة على مذهب القدماء.

2/2/9/1 الإعلال

جاء في النحو الوافي: الإعلال «تغيير يطر على أحد أحرف العلة الثلاثة (و– ا – ي) وما يلحق بها –وهو :الهمزة– بحيث يؤدي هذا التغيير إلى حذف الحرف، أو تسكينه، أو قلبه حرفاً آخر من الأربعة، مع جريانه في كلّ ما سبق على قواعد ثابتة، يجب مراعاتها».(60)

وأنواعه: القلب، والإسكان، والحذف، وسنأتي على بيانها بعد أن نبيّن حقيقة حشر الهمزة، وهي من الصوامت مع هذه الصوائت الثلاثة.

الهمزة– في مفهوم النظرية الصوتية القديمة والحديثة

أ– نقل ابن كيسان، مما حكاه السيوطي، قال: «سمعت من يذكر عن الخليل أنه قال: «لم أبدأ بالهمزة، لأنّها يلحقها النقص، والتغيير، والحذف، ولا بالألف لأنها لا تكون في ابتداء كلمة»(61)

ب– عن الليث بن المظفر، تلميذ الخليل، وهو مما أفاد ابن سيده الأندلسي أنّه قال: «العربية تسعة وعشرون حرفاً، منها خمسة وعشرون لها أحياز ومدارج وأربعة أحرف جوف. والهمزة سميت جوفاً لأنّها تخرج من الجوف، لا تقع في مدارج اللهاة، وإنّما هي هاوية في الهواء، فلم يكن لها حيّز تنسب إليه إلاّ الجوف».(62)

جـ– قال أبو حيّان: «المهتوت صوت الهمزة، سميت بذلك لخروجها من الصدر كالتهوّع، فتحتاج إلى ظهور صوت قوي شديد، والهتُّ الصوت بقوّة».(63)

---

(60) النحو الوافي 4/756-757).
(61) الأصوات اللغوية (185).
(62) المرجع نفسه.
(63) المرجع نفسه.

د- قال ابن منظور: «قال الخليل: الهمزة صوت مهتوت في أقصى الحلق، فإذا رفّه عن الهمزة كان نفساً، يحوّل إلى مخرج الهاء، فلذلك استخفّت العرب إدخال الهاء على الألف المقطوعة، نحو أراق وهراق».(64)

وعلى ضوء هذا ندوّن الآتي:

1- عدّهم الهمزة من الأصوات المجهورة، أمر في غاية عدم الدقة، ولعله ينهض على احساسهم بما سمّوه بصوت الصدر (الجهر) مع صوت الألف، واستشعارهم الشديد في صفتها، جعلهم ينسبونها إلى هذا الموضع، ويسبغون عليها صفة الجهر.

وهي في النظر اللساني الحديث، صوت حنجري Glottal Stop إنفجاري (شديد) لا هو بالمهموس ولا هو بالمجهور، مرقق.

2- يبدو أنّ طريقة الخليل في تذوق الحروف وراء ظاهرة عدّ الهمزة مع الألف، والواو، والياء، حيث جرت طريقته على أن يفتح فمه بالألف (أي الهمزة) ثم يأتي بالحرف المراد تذوقه الوصفي ساكناً، وينطق به هكذا «أبْ، آتْ..» ولما جاء إلى صوت الهمزة، كان عليه أن ينطق بهمزتين، الأولى متحركة، والثانية ساكنة (أ أْ) همزة الارتكاز، والهمزة المراد تذوّقها، وفي اجتماعهما أحسّ بثقل بالغ فحوّلهما إلى (همزة ممدودة) هكذا «آ». وهذه الهمزة في حقيقتها تتألف من جزئين: صوت صامت + صائت طويل، مما جعل الخليل يصنّفها مع الصوائت، إضافة إلى سبب آخر، هو في النظر اللساني الحديث (تبايني)، أي أنّ الهمزة ذات وظيفة تباينية، وليست تمييزيّة. وهذا ما يؤشّره النطق الحجازي لها بين التسهيل والتحقيق.

---

(64) المرجع نفسه (186).

إنّ عدم استقرارية وثبات صوت الهمزة في النظرية العربية يعدّ من العوامل الرئيسة في تفشي هذه الظواهر، وهو أمر شائع في اللهجات العربية القديمة والحديثة.

والهمزة في اللغة الانجليزية لا تعدّ فونيماً، إنّما مظهر تمييزي من مظاهر اللهجات. فالرجل الاسكتلندي ينطق بالكلمات: Bottle, Bottom ومثيلاتها: Bo'm, Bo'l إذْ يتحول فيها صوت التاء إلى همزة.

إنّ الذي يحقق وجود الهمزة أو يسلبها قيمتها هو النبر، فالأساس في هذا التصور هو الضغط والهتّ والنبر، وهي على هذا الأساس نوع من أنواع النبر. يقول Daniel Jones في وصفه لصوت الهمزة:

(It is neither breathed nor voiced)

أي أنه ليس بصوت نفسي ولا بصوت مجهور.[65]

يأتي الإعلال على أقسام أربعة:

أ- الإعلال بالحذف:

أسرفت النظرية العربية في وصف هذا النوع من الإعلال، حيث رأت أنّ الإعلال بحذف حرف العلة قياساً يكمن في مواضع ثلاثة، نوضحها عبر الأمثلة:

قام... قُمْتُ، قُمْ، يَقُمْنَ، فتىً، قاضٍ

وتغيّرات هذه الشواهد تقوم على التقاء (حرف العلة) بساكن بعده، وحروف العلة في نظرهم (ساكنة)، وهذه من الأخطاء التي وقعت بها

(65) المرجع نفسه (192).

النظرية العربية، لأن (حروف العلة) أصوات صائتة، وهي حركات فكيف تشكّل الحركة بالسكون؟ وهذه من نتائج فعل الخليل العروضي، حيث أقامه على أساس الحركة والسكون (فَاْعِلُنْ) وساوى بين (الألف) و(النون) الساكنة. وهذا خلط واضطراب قاد إلى نتائج تعليلية غير سليمة.

(قُمْتُ): يجري بناؤها المقطعي، الذي يفرض عليها هذه الحالة التركيبية على وفق التالي:

س ع س + س ع

وهذا هو واقع اللفظة الذي تجري عليه العربية.

وأصل تحوّلاته:

قام ⮜ قامْ + تُ

⮜ س ع ع س + س ع

وبما أنّ المقطع (X) غير مرغوب في العربية، حين يكون ابتداءً، إلاّ آخراً، وعندما يوقف عليه. لذا كان لا بد من تقصيره عن طريق عامل المخالفة الكميّة Quantity Dissimilation لذا جاء البناء على هذه الصورة.

ومثلها بقية الوحدات اللغوية. وليس هناك، أي التقاء للساكنين، لأن ما بني على خطأ، فأنّ نتائجه خطأ. وصوت الألف (حركة مدّ طويلة) لا يمكن أن تشكّل بالسكون.

كذلك ذهبت النظرية الصرفية القديمة إلى أنّ (حرف العلّة) يحذف من مضارع، وأمر، ومصدر الفعل، إذا كان ثلاثياً، واوي الفاء، مفتوح العين. وَعَدَ– يَعِدُ، عِدْ، عِدَةً، والأصل: وَعَدَ– يَوْعِدُ، عِدةً، حيث عوضت التاء عن

الحرف المحذوف. وهذه كلّها تعليلات غير صائبة، والأصح، أنّ (وعد) إذا دخلت عليه (ياء) المضارعة، تتوالى فيه (أربع) مقاطع صوتية قصيرة، تفضي إلى عدم التجانس الصوتي، حيث تتدخل المخالفة الصوتية لفض هذا النزاع عن طريق تقليل عدد المقاطع، والمقطع المرشح لهذه الحالة هو المقطع الأول لعدم اخلاله في البناء الدلالي للكلمة.

أما المصدر، فإنّه على وزن (فِعْلَة) فعندما نضع هذه المصادر من: وزن، وعد، وثب، تكون: وَزِنَةً، وَعِدَةً، وَثِبَةً، مما يشكل ثقلاً صوتياً.

وقد استشعر ابن جني ذلك حين قال: «ولكنهم اتقوا وقوع الواو بين ياءٍ وكسر فحذفوها استخفافاً».(66)

أما النوع الثالث من الحذف، فهو مع الفعل المعتلّ الآخر، إذ يحذف آخره في أمر المفرد: اِسْعَ، اِدْعُ، اِرْمِ. ويحذف حرف العلّة في المضارع المجزوم: لم يخشَ، لم يدعُ، وزادوا بأنّ الحذف فيها لا للإعلال، بل للنيابة عن سكون البناء في الأمر، وعن سكون الإعراب في المضارع.

وكلاهما تعليل مجانب للصواب، وإنّما ينهض الأمر على أساس البناء المقطعي:

لم يَخْشَ = س ع س + س ع س + س ع

وهنا يجري الإعراب على أن (يَخْشَ) فعل مضارع مجزوم بتقصر المقطع المتوسط المفتوح، وليس بحذف حرف العلة. ودليل صوابنا هو صائت الفتح الموجود على سطح (الشين) الذي يمثّل نصف الكمية الصوتية للألف. والفعل (وَصَفَ)– يجري تصريفه: وَصَفَ– أصِفُ– يَصِفُ– تَصِفُ–

(66) المنصف (184/1) تحقيق ابراهيم مصطفى، مصر 1954.

نَصِفُ، وأصولها في المضارع: أَوْصِفُ- يَوْصِفُ- تَوْصِفُ- نَوْصِفُ.
وكذلك في صيغة (وَعَدَ):

أَعِدُ- أَوْعِدُ، يَعِدُ- يَوْعِدُ، تَعِدُ- تَوْعِدُ، نعد- نَوْعِدُ

وهذا الحذف لا ينهض على تعليل صرفي عدا أن عين المضارع مكسورة.

ويجري البناء المقطعي على وفق التالي:

وَوْصِفُ = س ع س + س ع + س ع

وهنا يلاحظ أن المقطع الأول المتوسط جاء مغلقاً وهو نتيجة إتحاد العنصر الصوتي (Y) بـ الحركة المركبة (aw)، مما سبب اضطراباً في عملية الانسجام الصوتي. وهنا يأتي دور المخالفة الكمية -Quantity dissimila tion لتخفّض من كمية المقطع الصوتي الأوّل وذلك بحذف الحركة المركبة aw): س ع + س ع + س ع .

والفعل (صام)- يصوم- (مَصْوُوم- اسم المفعول)، هكذا بنوه وأضافوا- نقلت حركة (الواو- الأولى) إلى الصاد، مما تسبب في التقاء ساكنين (وْ- وْ) فحذف أحدهما فصارت الكلمة (مصوم). ومثله (باع- مَبْيُوع) حيث نقلت حركة الياء (الضمة) إلى الباء، وأدى ذلك إلى التقاء ساكنين:

مَبُيْوْع، فيحذف أحدهما (الواو)، مَبُيعُ وتقلب الضمة إلى كسرة.

هذا نصّ تعليل النظرية الصرفية العربية، أما الرؤية اللسانية الحديثة فترى أنّ الأمر يجري على غير هذه الصورة التعليلية.

صام = س ع ع + س ع

يصوم = س ع + س ع ع + س ع

وحين يجري وضع صيغة المضارع على وزن (اسم المفعول):

مَصومُ = س ع + س ع ع + س ع

لا تحدث أية حالة لالتقاء الساكنين، حيث يلاحظ أن نوع المقاطع، وتسلسلها، وعددها، جاء واحداً في كل من الفعل المضارع، واسم المفعول. وهذا ما سموه الإعلال بالتسكين.

ب- الإعلال بالتسكين (النقل)

ينهض أمر هذا النوع من الإعلال في نظر قدامى القوم على صورتين:

- حذف حركة حرف العلّة؛ حيث تكلّموا بأمرٍ، هو في الواقع مجانب للصواب. وقد أشاروا إلى مسألة الخفة والثقل في الحركات القصيرة، التي تُشكّلُ بها الصوائت. حقاً، إنّهم لم يميزوا بين الصوت الانتقالي والصائت الطويل، وإذا كان الفعل (يدعو) قد وقع في تركيب مثل: يدعو القاضي إلى النادي/ لن يدعوَ ا لقاضي إلى النادي، فأيّة خفة أو ثقل يعنون بهما؟ الواو الأولى صائت طويل مفتوح، ولا بدّ له أن يبقى كذلك، لعدم وجود ما يؤثّر على سيره الامتدادي. أما الثاني فكان لا بدّ للواو من أن تحملَ حركة الفتح، لوقوع مؤثّر عليها وهو الأداة (لن).

- نقل حركة حرف العلّة. إنّ هذا الأمر لا يمتّ إلى الواقع الصوتي والبناء بأية صورة. إذ -على رأي الصرفيين- أنّ أصل (يقول): (يَقْوُلُ) وقد نقلت (حركة الواو) إلى القاف قبلها، ومثلها (يَبْيعُ). وقالوا: إنّه، أحياناً، ينجم عن النقل والتسكين إلتقاء ساكنين: نحو: مقول ومبيع أصلها (مَقْوُول-

مَبيُوع) وحين نقلت الحركتان التقى ساكنان، فحذف أحدهما.

هذا تعليل غير منطقي. أولاً: إنّ الواو والياء صائتان طويلان يحرك بهما الصوت الواقع قبلهما، فكما يحرّك الحرف بالصوائت القصيرة، كذلك يحرك بالصوائت الطويلة. ولعلّ هذا الخطأ متأتٍ من رسم صور الحروف والحركات، ومن فعل كينونة الكتابة العربية. إذ لا توجد، من الأساس، حركة على الحرف الواقع قبل الصوائت الطويلة، لأنّه لا يحقّ لتلك الحروف أن تحرّك بثلاث حركات متوالية مرة واحدة، الحركة القصيرة والحركة الطويلة المزدوجة.

جـ- الإعلال بالقلب

ذهبت النظرية الصرفية العربية إلى نوع آخر من الإعلال، وهو الإعلال بالقلب. وفسّرت على ضوئه الكثير من الحالات التصريفية. ومفاده -تبادل المواقع بين الصوائت الثلاثة، (الألف- الواو- الياء).

أ- الألف ← تقلب إلى (واو) (ياء)

ب- الواو ← تقلب إلى (ألف) (ياء)

جـ- الياء ← تقلب إلى (ألف) (واو)

الألف <> واو

ربط الصرفيون هذه الحالة مع حالة بناء الفعل على وزن (فاعل) المبني للمجهول: عامل- يُعامل. وقالوا فيه، حين تحدثوا عن القلب في الاسم، أن يربط بالتصغير:

لاعب– لويعب، عابث– عويبث، وأشاروا إلى أنّ ضمة اللام تستوجب (الواو).

والحقّ، أنّ الضمة الحقت بصوت انتقالي متبوع بحركة مركبة (ay).

الألف <> ياء

تقلب الألف إلى ياء في الحالات التالية:

1– إذا وقعت الألف بعد صائت طويل، مصباح، مفتاح، في جمع التكسير. [أصل الياء ألف –مصابيح– مفاتيح]

2– تقلب الألف (ياء) في التصغير، مصباح، مفتاح [مصيبيح، مفيتيح].

3– تقلب الألف (ياء) إذا وقعت بعد (ياء– التصغير) [غلام– غُلُيِّم، كتاب– كُتُيِّب]. [لأن ما بعد ياء التصغير لا يكون إلاّ متحركاً –الألف لا تقبل الحركة. هكذا قال الصرفيون– وهو أمر لا ترتضيه الناحية الصوتية، لأنّ الألف حركة طويلة، وأنّ طبيعة البناء– من أجل الانسجام الصوتي، تتطلب تغييرها.

الواو <> الألف

أشار الصرفيون إلى أنّ أصل (الواو) في بعض الوحدات اللغوية (ألف):

قال– قولاً– [الأصل– قَوَلَ]

صام– صوماً– [الأصل– صَوَمَ]

سما– سمواً– [الأصل– سَمَوَ]

وهذه التغيرات وقعت، ليس بدافع الأصل، إنّما بفعل طبيعة التشكيل الصوتي للألفاظ.

الواو <> ياء

تذهب النظرية الصرفية العربية إلى أن الواو تقلب ياءً في مواضع متعددة، كما في الشواهد التالية:

ميعادٌ ⟸ مِوْعادٌ

ميزانٌ ⟸ مِوْزانٌ

رَضَيَ ⟸ رَضِوَ

يرتضي ⟸ يَرْتَضِوَ

قَوِيَ ⟸ قَوِوَ

الغازي ⟸ الغازُو

الداعي ⟸ الداعُو

الشجِيُ ⟸ الشَّجِو

جِرْوٌ ⟸ [التصغير] جُرِيٌّ ⟸ جُريو

دَلْوٌ ⟸ [التصغير] دُلَيٌّ ⟸ دُلَيو

قام ⟸ يقوم ⟸ قَوَمَ ⟸ قُوام ⟸ قيام

دار ⟸ يدور ⟸ دَوَرٌ ⟸ دِوارٌ ⟸ ديارٌ

راح ⟸ يروح ⟸ رِوْحٌ ⟸ رِواحٌ ⟸ رياحٌ

سياط ⟸ سواط

مَقْضيٌ ⟸ مَقْضَويٌ

مَرْميٌ ⟸ مَرْمَويٌ

سيِّد ⟸ سَيْودٌ

ميِّت ⟸ مَيْوتٌ

صائمٌ ⟸ صُيَّمٌ

وتعلل تحوّلات هذه الوحدات بنفس منهج النظرية الصرفية العربية، الذي يؤكد على تحرّك هذه الأصوات اللّينة، أو وقوعها بعد، أو قبل الأصوات الصائتة القصيرة. وهذا مما لا تميل إليه النظرية الصرفية الحديثة، التي تؤكد على أنّ حالات التبادل الموقعي، أو التغيّر، إنّما هو بفعل عوامل صوتية تشترك فيها صفات الأصوات، ومخارجها، وتنوعاتها حسب كيفية الممر الهوائي.(*)

الياء < > ألف

قال في الرضي: «اعلم أنّ علة قلب الواو والياء المتحركتين المفتوح ما قبلهما ألفاً ليست في غاية المتانة لأنهما قلبتا ألفاً للاستثقال». ويلاحظ اضطراب النظرية العربية في ضبط تعليلاتها. ومن هذا زاد وفير: رَمِيَ- رَمَى، قيل- قال، بيع- باعَ.

(*) ذهب الصرفيون إلى أنّ مواضع القلب هي:
- أن تقع الواو متطرفة بعد كسرة. (قوي- قوو، الغازو، الداعو)
- إذا وقعت الواو حشواً بين كسرة وألف (صام- صَوَمَ- صوماً، قام- قَوَمَ- قِواماً).
-إذا وقعت عيناً لجمع التكسير صحيح اللام وقبلها كسرة (دار- دور- دوار- ديار).
- إذا وقعت عيناً في جمع التكسير صحيح اللام وقبلها كسرة (حوض- حياض- حواض، ثوب- ثياب- ثواب).
- إذا وقعت ظرفاً في فعل ماضٍ وهي رابعة بعد فتح بشرط أن تكون منقلبة ياءً في المضارع (زكّيت- زكّوْت، اعطيت- أعطوت).
- إذا وقعت ساكنة غير مشددة وقبلها كسرة (ميزان- مِوْزان، ميعاد- مِوْعاد، ميقات- مِوْقات).
- إذا وقعت لاماً لصفة على وزن فعلى (دنوى- دنيا، عُلوى- عُليا. ويذهبون على أن الأصل (الدنو) و(العلو).
- إذا التقت هيِ و(الياء في كلمة واحدة دون فاصل مع سكون الحرف السابق لهما. (سيِّد- سَيوِد، ميِّت- ميوت) وهما من ساد- يسود ومات- يموت.
- إذا كانت لام اسمِ المفعولِ لفعلٍ ماض على وزن (فَعِلَ) (رَضي، قوي، مَرْضيٌّ، مَقْوِيٌّ -والأصل فيهما- مَرْضويٌّ، مَقْووي
- إذا كانت لاماً لجمع على وزن «فُعُول»: (عصا- عُصِيٌّ) والأصل فيها (عُصُوٌّ).
- إذا كانت عين الكلمة في جمع على وزن (فُعَّل) صحيح اللام (صائم- صُوَّم- صُيَّم لتخفيف الثقل الحاصل من التقاء واوين.

الياء < > واو

أَيْقَنَ ⟵ يَيْقَنُ ⟵ مُيْقِنٌ ⟵ أَيْقَنَ ⟵ يوقِنُ ⟵ موقِنٌ

رَمَيَ ⟸ رَمُوَ [في حال التعجب]

قَضَيَ ⟸ قَضُوَ [في حال التعجب]

طوبى ⟸ طُيْبى

تقوى ⟸ تقيا

تؤكدّ هذه الشواهد على رهافة حسّ العربي ورغبته في تحقيق جوانب السهولة، واليسر في النطق.

وتفسرٍ النظرية اللسانية الحديثة هذه الحالات على وفق القوانين الصوتية، قانون اختزال الجهد، وقانون نسب التسارع، وقانون الجهد الأقوى، وقانون الظاهرة التوازنية، وقانون التكرار والشيوع.

بل إنّ كثيراً من هذه الظواهر يحكم بناء تحوّلاتها قانونا المماثلة والمخالفة الصوتيان. (*)

(*) تحدث الصرفيون عن المواقع التي تستبدل فيها الياء واواً، وهي:

- تقلب (الياء) واواً إذا وقعت ساكنة بعد ضمّة في المواضع التالية:

اسم الفاعل- أَيْقَنَ- مُوقِنٌ- والأصل مُيْقِنٌ

المضارع- أيقن- يوقن- والأصل يُيقن

وشواهدهما كثيرة- أينع- مُينع- مونع، أيقظ- يوقظ- يُيْقظ.

- إذا وقعت الياء بعد ضمة وهي لام الفعل:

قَضَى- (وزن فَعُلَ)... قَضُيَ... قَضُوَ (للدلالة على التعجب)

- إذا وقعت عيناً لاسم على وزن «فُعلى»:

طُيْبى... طوبى، والأصل فيها طاب يطيب.

ويلاحظ أنّ ما ذهب إليه الصرفيون يغفل جوانب المقطع والتجانس الصوتي. فأيقن- مُوقن.

س ع ع + س ع + س ع س

ميقن ⟸ س ع س + س ع + س ع س

وفي الحالة الثانية احتوت الكلمة على مقطعين متوسطين مغلقين في بداية ونهاية الكلمة، وهذا يتطلب جهداً صوتياً لتحقيقهما، مما تطلب تدخل عامل المخالفة الكمية لنقل المقطع الأول إلى مقطع متوسط مفتوح، بمساعدة صوت الضمة التي هي جزء الصائت الطويل (الواو).

ويجري الحال نفسه في غالبية الشواهد.

د- الإعلال بالنقل (بالتسكين)

يبدو أن ظاهرة الإعلال بالنقل مما تعسفت فيه النظرية الصرفيّة العربية وفسّرت شواهده على أساس نقل الحركات (الصوائت القصيرة) على وفق ما سمّوه بـ (التخفيف). ويذهبون في ذلك مذاهب مضطربة:

يَقُومُ ← أصلها يَقْوُمُ

يَصُومُ ← أصلها يَصْوُمُ

يَزِيدُ ← أصلها يَزْيِدُ

وهذا، واقعاً، ليس منطقاً لغوياً سليماً. القاف، والصاد، والزاي أصوات صامتة متحرّكة بالصوائت الطويلة (الواو والياء)، فلماذا كان هذا الافتراض المزعوم، الذي قاد إلى هذا التعليل المتعسّف؟

الإعلال- وصوت الهمزة

سبق وأن أشّرنا حال الهمزة، وكيف عاملها قدامى القوم وهم يصنفونها مع زمرة الصوائت الطويلة (الحركات المديّة) (الألف والواو والياء).

والهمز هو المصطلح المكافيء للنبر. وفي رواية ينقلها الدكتور عبد الفتاح الدجني أنه قال: «روي عن أمير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه: «نزل القرآن بلسان قريش وليسوا بأصحاب نبر ولولا أنّ جبرائيل عليه السلام نزل بالهمزة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلّم ما همزنا».[67]

وهذا القول على جانب من الأهميّة، لأنّه يؤكد وجود الهمز، وأنّه الأصل في الوحدات اللغوية. أما تسهيله فهو أمر طاريء نطقت به أهل مكة والمدينة.

---

(67) في الصرف العربي (340).

إنّ غالبية الأمثلة التي جاءت مُعلَّلَة على أن صوتي الواو والياء هما أصل صوت الهمزة، تبدو متعسفة: دعاء، وفاء، سماء، بناء، هي على التوالي: دَعاو، وفايٌ، سماوٌ، بنايٌ. أو سائد، بائع، حائل، أصلها على التوالي: سايد، بايع، حاول. أو أنّ الواو والياء تقلبان إلى همزة –صحائف، قصائد، عجائز، جزائر، عرائس.

ولعلّ مردّ الأمر إلى التجانس الصوتي، والنبر القصدي Aimed Stress، الذي لا يتحقق إلا بالهمز، بالإضافة إلى جوانب الوظيفة الصوتية.

وآشار الصرفيون إلى حالة حذف الهمزة في نحو:

أكرمَ– يُكْرِمُ والأصل يُؤَكْرِمُ

مُكْرِمٌ– مُكْرَمٌ والأصل مُؤكرِمٌ ومُؤكْرَمٌ

رأى– يرى– ر : رهْ

وعى– يعي– ع : عهْ

وقى– يقي– ق : قهْ

وفى– يفي– ف : فه

وهي حالات تحولية تفسرها تحركات المقاطع، وطبيعة العناصر الصوتية. وكذلك في رؤيتهم للفعل آمن الذي أصل ألفه همزتان (أ أَ) وعلى رأيهم تحوّلت الهمزة إلى (ألف) للمجانسة مع الحرف الأوّل في حركته المديّة. كما تبدل الهمزة ياءً في كلمة (إيمان) والأصل فيها (إئمان).

ولعلّ هذا اضطراب آخر وقعت فيه النظرية الصرفية العربية، وجعلت من باب الإعلال مدخلاً واسعاً لضروب من التعقيدات، والقيود القواعدية، مما أخرج جلّ مسائله إلى دوائر الإفتراض والتخمين.

هذه الألف، التي يزعم الصرفيون أنها تتكون من همزتين «متحركة وساكنة»، إنما هو الصائت القصير المضعّف، المسبوق بهذه الهمزة، الذي يعادل بزمنه الصائت الطويل (الألف).

ولو عدنا إلى مضارع هذا الأصل (يؤمن) نلاحظ أنّ حذف الهمزة لا يؤثر في توجيه الدلالة. وقد ظهرت في التركيب، لأنّها سبقت بصوت صامت متلوٍّ بصائت قصير. أما في حالة حذفها فإنه بسبب تحرك الصامت الذي أدّى إلى ذوبانها.

ومع الفعل الأجوف (عاد) يقول الصرفيون إنّ أصله عَوَدَ، وإنّه لّما تحركت الواو وفتح ما قبلها انقلبت (ألفاً) فصارت (عادَ). وهذا دون أية إلماعة لسرّ الإنقلاب الذي حطّم (الواو) وحوّلها إلى (ألف)، مع العلم أنّ هذه الأصوات الثلاثة يختلف الواحد عن الآخر، في طريقة إنتاجه، وصفاته الصوتية.

نقول: إننا لسنا مع هذا الافتراض المزعوم، وإنما مع التركيب المقطعي للفعل (عاد) الذي يحتوي في أصل تكوينه على صوتين:

عادَ ⟸ س ع ع + س ع

الأول ⟸ صائت طويل (ع ع)

الثاني ⟸ صائت قصير (ع)

ولو توغلنا أكثر في التركيب نلاحظ أنّ هذا الصائت القصير يؤشر (الجنس + العدد)، ولو ضعّفنا هذه الحركة لأمكننا أن نحصل على صائت طويل هو (الألف) الذي يؤشر (الجنس + العدد). وهو مع الأول (مفرد مذكر)، ومع الثاني (مثنى مذكر).

يقودنا، هذا، إلى القول إنّ هذا الصائت القصير هو دليل الشخص الذي يكمن في ذات الفعل، الذي سمّاه النحاة (الفاعل) والصائت الطويل دليل الفاعل (المثنى).

أما في حالة إسناده إلى ضمير المتكلّم أو المخاطب

عاد ⟸ عُدْتُ

⟸ عُدْتَ

⟸ عُدْتِ

لم تظهر لأن التاء قد دلّت على الفاعل.

أما لو عدنا إلى مضارع الفعل (عادَ) فهو (يعودُ). ولذا نبقى مع القول أن جذر الماضي هو (عُدْ) وجذر المضارع (يعودُ)، وليس هناك ثمة تحوّل، وقد نشأ هذا الجذر من إطالة الصائت القصير في جذر الماضي وليس عن أصل مزعوم.

إنّ هذه (الواو) نشأت من إطالة الصائت القصير في جذر الماضي، لتصبح صائتاً طويلاً في جذر المضارع، وبالتالي ليس من شأنها أن تنقلب، لأنّها خاصة بجذر المضارع، وأنّ هذه (الألف) في (عاد) أضيفت من خارجه.(68) أما الإعلال بالحذف، فقد نبّه الصرفيون إلى أنّ الهمزة في الفعل الماضي تحذف عند صوغ المضارع، واسم الفاعل، واسم المفعول:

---

(68) محاولة السنية في الإعلال (174).

أكرمَ ⟸ يُكْرِمُ

⟸ مُكْرِمُ

⟸ مُكْرَمُ

نقول: إنّ صوت الهمزة في الفعل الماضي (أكرم) يتطلبه متن اللغة كواسطة للنطق بهذا الصائت القصير (الفتحة)، والهمزة، في حقيقتها، هذا الصائت القصير، ويمكننا أن نستدل عليه من صوغ المضارع (يُكرِمُ) حيث اختفى صوت الهمزة، لوجود صامت محلّه في الابتداء، ولذا أصبح غير ضروري ولا مبرر لوجوده. ولو ظهر لسبب ثقلاً ومشقّة في التحقيق، وتغييراً في البنية، مما يقود إلى دلالة المضارع، واسم الفاعل واسم المفعول.

ولعلّ في إجمالي الصرفيين صور هذه الإنقلابات وتعليلهم المضطرب للكثير من شواهدها، إنّما يعكس الرؤية غير المتفحصة والدقيقة لضروب الجوانب الصوتية، والخصائص الوظيفية لصوت الهمزة وبقية الصوائت الطويلة والانتقالية.

وقبل أن ندخل في ميدان الظاهرة الصوتية وتعليلاتها، نورد تعليلات الصرفيين في الأسباب الكامنة وراء قلب الواو والياء همزة:

إذا وقعت عيناً لاسم الفاعل، فأسماء الفاعلين:

قائل، قائم، صائم ⟸ قاول، قاوم، صاوم

ولكن لماذا هذا الانقلاب، وما سرّ التحوّل؟

قالوا: لأنّ أفعال تلك الصيغ (معتلة):

قال- يقول- قائل

قام– يقوم– قائم

صام– يصوم– صائم

أما عور– عاور، عين– عاين لأن أفعالهما غير معتلة.

وهذا تعليل لا يشكل رؤية واضحة المعالم، إنّما لأنّ الواو صوت انتقالي مسبوق بصائت طويل، وهي جزء من حركة Semi-vowel ، إضافة إلى أنّ الهمزة لها وظيفة صوتية تمييزية، وهي إفادة النبر أو الارتكاز، مما يكسب المقاطع بياناً، ووضوحاً صوتياً. وهذا ما يلاحظ على طول امتداد حركة الهمز عبر مساحة اللفظة العربية، وما قدمته شواهدها الصوتية في هذا الميدان.

وما نلاحظه في لهجاتنا الحديثة: صايم، قايم، هايم، نايم، بايت. وغيرها، إنّما بقايا لتلك الصور النطقية التي أثرت عن اللهجات العربية القديمة.

إن وقوع الواو والياء بعد ألف (مفاعل): عجوز– عجائز والأصل (عجاوز)، صحيفة– صحايف– صحائف، قد ورد في مدوّنات السلف، خصوصاً في جوانبه اللهجية.

وأشار الصرفيون إلى أنّ كل كلمة اجتمعت في أولها (واوان) على وزن (فواعل) نحو (وثق، وصل، وقى، وقف) يأتي بناؤها وفق الآتي:

وواثق ← أواثق، وواصل ← أواصل، وواقي ← أواقي من (واقية) وواقف أواقف (من واقفة) حيث قلبت فيها الواو الأولى همزة.

ولعل في هذه الشواهد رؤية صوتية تكمن في أنّ الواو الأولى صوت انتقالي متبوع بصائت قصير، والواو الثانية صوت انتقالي متبوع بصائت طويل، وكلا الصائتين من جنس واحد وأصلهما (الفتحة)، مما يؤدي إلى

تركيب حركي مزدوج القيمة الصوتية. وهذا يتطلب صوت الهمزة، بغية تصحيح المسار الصوتي، وتحقيق عامل النبر الوظيفي.

2/2/9/2 الإبدال

الإبدال– وضع حرف مكان آخر، وهو مما يختص في الحروف الصحيحة والمعتلة. وهذا مذهب الصرفيين في بيان ماهيته.

والهدف من الإبدال التخفيف، وما هو في الواقع إلاّ لهجات وقعت على دلالات متفقة، ومختلفة من حيث البنية التركيبية، ولو بحرف، من أجل التباين.

ولعلّ في مسرد اللغويين لحروف الإبدال، التي جمعوها بقولهم «استنجده يوم طال» وغيرها، إنما يدل على كثرة وقوعه بين لهجات العرب.

ولكن، لو نظرنا إلى الإبدال من باب الضرورة، لأمكننا القول بأنّ حروف البدل، هي: «هدأت موطياً».

وفي الشواهد التالية وقفة مع جوانب الصيغ اللغوية التي تبدل فيها هذه الأصوات.

يقع الإبدال قياساً في الوزن الصرفي (افتعل) وشواهده تؤكد على أنّها أبدلت بقوة عامل المماثلة الصوتية Assimilation، إذ أنّ الأصوات تختلف في درجات تأثّرها، بما يجاورها من أصوات، في المخرج Point of articulation، وكيفية الممر الهوائي Air Passage ، حيث تتوزع الأصوات حسب تلك المواقع إلى، أصوات انفجارية (Stops) أو

(Plosives)، وأصوات احتكاكية (Fricatives) وأصوات مركبة (Affricate) ، وأصوات مكررة (Trill) (Flapped) أو One-tap trill، وأصوات جانبية (Lateral) ، وأصوات أنفية (Nasals) . وكذلك حسب طبيعة اهتزاز الأوتار الصوتية، إلى أصوات مجهورة وأصوات مهموسة.

ويظهر أن الغرض من كلّ درجات التأثر الصوتي هو التقارب، والتيسير في جريان العملية النطقية، بالإضافة إلى الاقتصاد في الجهد العضلي المبذول أثناء عملية التحقيق.

وقبل أن نبحر مع ظواهر التماثل، والاختلاف الصوتي، بغية تعليل التحوّلات في الوحدات اللغويّة، نسوق الشواهد التالية:

أ- زان ← ازتان ← ازدان

زاد ← ازتاد ← ازداد

زجر ← ازتجر ← ازدجر

زهر ← ازتهر ← ازدهر

دعا ← ادتعى ← ادّعى

ذكر ← اذتكر ← اذّكر

صدم ← اصتدم ← اصطدم

صبر ← اصتبر ← اصطبر

صحب ← اصتحب ← اصطحب

صنع ← اصتنع ← اصطنع

ضرب ← اضترب ← اضطرب

ضلع ← اضتلع ← اضطلع

ضعن ← اضتعن ← اضطعن

ضجع ← اضتجع ← اضطجع

ضعن ← اظتعن ← اظَّعَن

طلع ← اطتلع ← اطَّلع

طرد ← اطترد ← اطّرد

ظلم ← اظّلّم ← اضطلم

ب- وصل ← اوتصل ← اتّصل

يَسَرَ ← ايتسر ← اتّسر

وعد ← اوتعد ← اتّعد

وفي هذه الأمثلة نلاحظ أنّ أنواع التأثر الصوتي فيها تعود إلى ثلاثة أضرب من التماثل:

- التماثل التقدّمي Progressive assimilation
- التماثل الرجعي Regressive assimilation
- التماثل المزدوج Compound assimilation

والأول يبث من الصوت السابق إلى الصوت اللاحق (الأول ← الثاني) وهذا ما تقدمه شواهد المجموعة (أ) حيث نرى أنّ أصواتها تميزت بالصفات التالية:

الزاي ⟸ إحتكاكي- مجهور

الدال ⟸ انفجاري- مجهور

الذال ⟸ إحتكاكي- مجهور

الصاد ⟸ إحتكاكي- مفخم- مهموس

الطاء ⟸ انفجاري- مفخم- مهموس

الضاد ⟸ انفجاري- مفخم- مجهور

الظاء ⟸ إحتكاكي- مفخم- مجهور

أما صوت (التاء) فهو صوت (انفجاري- مرقق- مهموس). لذا فإنّ التيار التأثري استبدل هذا الصوت بالأصوات (الدال- الذال- الطاء- الظاء) وهي أصوات، كما رأينا، لها ميّزات صوتية عالية القيمة، مما مكّنها من احتلال موقع (التاء).

وهذا النوع من المماثلة يسمى -أيضاً- بالمماثلة التقدمية القياسيّة، ويشترط في تحقيقها: المجاورة، والتجانس، وقوة التأثير. وتقوم على امتلاك الصوت الأول (السابق) قيماً وظيفية عالية التمييز، وكذلك يشترط سقوط الصوت الثاني (اللاحق).

وهناك -صيغتان- هما **(اتفاعل)** و**(اتفعَّل)** اللتان وردتا من التراث اللغوي القديم على هيئة (تفاعل) (تفعَّل) ثم تطورتا بعد إسكان أولهما ودخول (صائت الايصال) على مقدمتهما.

فالأفعال:

أ- تَزَيَّنَتْ ⟸ ازيَّنَتْ

أتصدَّق ⟸ أصَّدَّق

تدارأتم ⟸ ادّارأتم

يتصعَّد ⟸ اصَّعَّد

يتسمَّع ⟸ يَسَّمَّع

ب- تطيَّر ⟸ اطَّيَّر

يَتَدبَّر ⟸ يَدَّبَّر

يَتذكر ⟸ يَذَّكَّر

وقبل أن نورد شواهد هذا النوع من التماثل الصوتي نؤكّد على أنّ الإبدال لا يقع إلاّ في الأفعال التي تكون (فاؤها) أحد الأصوات التالية: [التاء- الزاي- الذال- الدال- الصاد- الضاد- الطاء- الظاء].

قال تعالى:

﴿يا أيُّها الذينَ آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثَّاقَلْتُم إلى الأرض﴾ التوبة/38 .

﴿وإذا قتلتم نفساً فادّارأتم فيها واللّهُ مُخْرِجٌ ما كُنْتُم تكتمون﴾ البقرة/72 .

﴿يؤتي الحكمة مَنْ يشاء ومن يؤت الحكمةَ فقد أوتي خيراً كثيراً وما يَذَّكَّرُ إلاّ أولو الألباب﴾ البقرة/269 .

﴿وما يُدريك لَعلَّه يَزَّكّى أو يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذكرى﴾ عبس/ 3،4

﴿لا يَسَّمَّعونَ إلى الملأ الأعلى ويُقْذَفونَ من كلِّ جانبٍ﴾ الصافات/8 .

﴿حتى إذا أخذتْ الأرضُ زُخرفُهَا وازَّيَّنتْ وظنَّ أهلُها أنَّهم قادرون عليها﴾ يونس/24 .

﴿ قالوا إنّا تطيَّرنا بكم لَئِن لم تَنتهوا لَنَرْجُمَنَّكم ولَيَمَسَّنَّكُمْ منّا عذابٌ أليم﴾ يس/18 .

﴿قالوا اطَّيَّرنا بك وبمن معك قال طائرُكُم عند اللّه بل أنتم قومٌ تُفْتَنونَ﴾ النمل/47 .

﴿أفلا يتدبَّرونَ القرآن أم على قلوبِهم أقفالُها﴾ محمد/24 .

﴿وأنفقوا من ما رزقناكم من قبلِ أن يأتي أحدَكم الموتُ فيقول رَبِّ لولا أخرتني إلى أجلٍ قريب فأصَّدَّق وأكن من الصالحين﴾ المنافقون/ 10 .

﴿أفلم يدَّبروا القولَ أم جاءَهُم ما لم يأتِ آباءَهُم الأوَّلين﴾ المؤمنون/68.

﴿أفَمَنْ يعلمُ أنَّما أُنزل إليك من ربِّكِ الحَقُّ كمَنْ هو أعْمى إنَّما يَتذكَّر أولو الألباب﴾ الرعد/19 .

﴿مَنْ يُرِدِ اللّه أن يَهْدِيَهُ يَشْرحْ صدرَه للإسلام ومَنْ يُرِدْ أنْ يُضلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضيِّقاً حَرَجاً كأنَّما يَصَّعَّدُ في السماء كذلك يجعل اللّه الرِّجس على الذين لا يؤمنونَ﴾ الأنعام/125 .

أمّا التماثل الرجعي Regressive Assimilation فإنّه يبث من الصوت الثاني (اللاحق) إلى الصوت الأول (السابق).

وقد سمّى ابن جنّي هذا النوع من التماثل بـ «الادغام الصغير»(*) ويقوم على تحويل تاء الافتعال إذا كانت (واواً) وامثلتها:

وعد- اتّعد، يتذكر- يذكّر، يتطهّر- يطهّر- اطهّر يتثاقل- يثاقل- اثّاقل، كما بينتها شواهد الآيات.

وفي حالات تبادلية أخرى ندوّن الآتي، مع بيانات صوتية أخرى:

- **ابدال الميم من النون**- انْمحى- امَّحى، انبعث، امبعث، انبرى- امبرى، وتسمى هذه بالماثلة المخرجيّة Point of Articulation assimi-lation . ويمكن ملاحظتها في اللغة الانجليزيّة في بعض حالات الجمع، كما ألمعنا إلى ذلك في تنوعات الجمع.

- **ابدال الميم من الواو** -فوك- فمك، وفي قوله (ص): (وليس من امبرٍ امصيام في امسفر».

- **ابدال الياء من الجيم**: شجرة، شيرة، مسجد- مسيد. والذي يعود إلى كتب الإبدال يقف على زاد كثير مما عرضة مصنفوها في هذا الميدان.

وقد تحذف أصوات على سبيل البدلية: ناس- من أناس، سل من أسأل، وحذفت من «حرِ» وأصله «حَرْحٌ» وفي التصغير التحقيري «حُريحٌ» وفي تكسيره «أحراحٌ» وهو ضرب من الثياب.

وكذلك في ست وأصلها سدس، وغدٌ من غدو، حمٌ من حمو، و(هن) من هنو، و(دمٌ) وأصلها دميٌ ومن (سوف) لقولهم: (سو أفعل)، وقالوا: فُلٌ وأصلها فلان، وقط من قططت.

(*) الأصوات اللغوية (288).

ويسمّي بعض المحدثين التماثل الحادث في لفظه (سراط) (صراط) بالمماثلة الكيفيّة، أي طريقة الأداء النطقي Articulatory assimilation.

أما التماثل المزدوج Compound assimilation فهو حين يحاط صوت بصوتين متماثلين، إذ يؤدي ذلك إلى ممارسة الضغط عليه، فيحوّلانه إلى طبيعتهما البنائية، وهذا يعتمد على المتكلّم نفسه، ورغبته في الإظهار أو التزاوج تحت قانون التسهيل في مثل: طبطب، زلزل.

وهناك نوع آخر من التأثير الصوتي حيث سجّله الأصواتيون المحدثون تحت ما يسمى بـ «المخالفة الصوتية» Dissimilation .

وينعتونها بالقوّة السالبة في الميدان اللغوي، لأنها تسعى إلى تخفيض حدّة الخلافات بين الأصوات. ويؤكدون إن أكثرية اللغات تعتمد تحقيق ظاهرة المخالفة الصوتية في الأصوات (اللام، الميم، النون، الراء) تيسيراً للنطق وتحقيقاً لحالة الانسجام في التيار الكلامي. ويمكن على ضوئها تفسير الكثير من ظواهر الإعلال والإبدال الصوتي.

ويؤثّق البرفسور S. Hurwitz بعضاً من التحوّلات الصوتية على وفق هذه الظاهرة:

حرجل- حجّل، جلمد- جَمَّد، عنكب- عكّب، عرقب- عقّب، قرمط- قمَّط، فلطح- فَطَّح.(69)

وفي شواهده التي ساقها، يعتمد Hurwitz علّة التضعيف للصوت الذي يعقب هذه الأصوات المتوسطة، إذ أنّها تمثل ممراً مرناً للتضعيف.

تهدف المخالفة الصوتية إلى تيسير جانب الدلالة عن طريق المخالفة بين الأصوات. ونقرأ:

Hurwitz, Root- Determinatives in Simitic Speech, P.39, 41, 48. (69)

تشغّر ⟸ الشنغير – السيء الخلق.

تحدّس ⟸ تحندس الليل إذا أظلم.

الرس ⟸ الرمس – الدفن.

العباس ⟸ العنباس – الأسد.

ولذا فإنّ المماثلة تسعى إلى التقريب بين الصوتين المتجاورين، في حين أنّ المخالفة ترمي إلى تخفيض الجهد العضلي، عن طريق قلب أحد الصوتين المتماثلين المتجاورين، إمّا إلى صائت طويل، أو إلى ما يشبهه من الأصوات، كاللام والنون، وفي هذا أقصى مراحل التيسير.

وسجّل الدكتور ابراهيم أنيس «أنّ المخالفة قد تكون، في النادر من الأحيان، ما بين الأصوات الشديدة»(70). ويحدث في مثل:

إجّاس ⟸ روفي فيها إنجاص.

دبّوس ⟸ روي فيها دنبوس.

لعلّ ⟸ روي فيها لعنّ.

ويسمى هذا النوع من التحوّل بتغاير المجاورة Contact dissimila-tion وفي حديث الهجرة: «استقبل الناس في المدينة النبي (ص) على الأناجير». و(إجّار) و(إنجار) لفظان بمعنى سطح الدار.(71)

ويدخل عامل المخالفة ميدان تغيير حركة لواحق جمع المذكر السالم، وجمع المؤنث السالم، والمثنى.

---

(70) الأصوات اللغوية (د. عبد القادر عبد الجليل) (294).

(71) المرجع نفسه.

ولعلّ السر في ذلك يكمن في المتوالية الحركية من الفتحات، التي بتأثير المخالفة غيّرت متجهها من الإستعلاء إلى الإستفال. يظهر ذلك على اللاحقة (آت) حين التزمت الكسر نصباً، وجراً، نيابة بدلية عن الفتحة، وأنه تتساوى فيها حالتا النصب والجر. والأمر نفسه مع صورة المثنى في كسر نونه، وجمع المذكّر السالم في فتح نونه.(72)

وفي مطالعتنا لمصنفات السلف نلاحظ أنّهم تعرّضوا لهذه الظاهرة تحت عنوانات مختلفة:

– كراهية اجتماع المثلين.

– كراهية التضعيف.

– كراهية اجتماع حرفين من جنس واحد.

– توالي الأمثال المكرورة.

– ما شبه من المضاعف بالمعتل.

ويذكر المبرّد في (المقتضب) أنّ التضعيف مستثقل لحركة اللسان في علملية الرفع والعودة إلى مستقرّه، في نحو:

أمليت ⟸ أمللت

تسريّت ⟸ تسررت

ويقول المبرّد: «والدليل على أنّ هذا إنّما أبدل لاستثقال التضعيف كما في قولك: دينار، وقيراط، والأصل: دنّار، قرّاط، فأبدلت الياء للكسرة، فلما فرّقت بين المضاعفين رجع الأصل، فقلت: «دنانير، وقراريط، وقريريط»

(72) انظر مبحث الجمع.

وابن جني يورد:

قصَّيتُ ⟵ من قصصتُ

تقضّي ⟵ من تقضض، ثم أحيل التركيب لاستثقال التكرير إلى لفظ (قضي): تقضِّي البازي إذا البازي كسر.(73)

وفي التنزيل: «ثم ذهب إلى أهله يتمطّى» القيامة/33 والأصل (يتمطط).

وأهل تميم يقولون:

سنبل بدلاً من سُبُّل

وهناك المخالفة المتباعدة Distant Dissimilation وتقع في الأصوات التي يفصل بينها فاصل من صوت آخر غير مناظر:

إخضوضر ⟵ أصلها إخضرضر

إعشوشب ⟵ أصلها إعشبشب

بغداد ⟵ أصلها بغدان

أيهات ⟵ أصلها (هيهات) عند أهل الحجاز

وهناك –أيضاً– المخالفة الكمية Quantity Dissmilation وغالباً ما تكون بين المقاطع الصوتية، ومعها لا بد من تقصير الصائت الطويل.

لهو ⟵ س ع + س ع ع

لهُ ⟵ س ع + س ع

لَكي ⟵ س ع + س ع ع

لكِ ⟵ س ع + س ع

(73) الأصواتاللغوية (د. عبد القادر عبد الجليل) 296.

2/2/9/3 العِوَضُ

ويسميه البعض «التعويض» وهو حذف أحد الأصوات من الصيغة، وإحلال آخر بديلاً عنه، دون التقيّد بمكان الصوت المحذوف:

فرزدق ⮜ فُريزيق

حيث حلّت (الياء) محل (الدال) المحذوفة في التصغير عدة ⮜ من (وعد) حلّت (التاء) في آخرها وحذفت الواو من أولها.

2/2/10 ظاهرة النَّسب

عرّف ابن يعيش النَّسبَ قائلاً: «اعلم أنّ النسبة التي يقصدها النحويون ويسميها سيبويه الإضافة، هو ما ينسب إلى قبيلة، أو بلدة، أو صنعةٍ، أو غير ذلك، يقال: نسبته لبني فلان، إذا عزوته إليهم فهي إضافة من جهة المعنى، مخالفة من جهة اللفظ»(74) وتجري فائدته دلالياً ووظيفياً مجرى الصفة.

وهو أحد أساليب العربية التعبيريّة؛ عماده اللَّصق، إذ تلحق بآخر الاسم (ياء) مشددة، وهي التي تحمل دلالة (النسبة).

وقد ذهب الصرفيون في تعليل تشديد الياء، إلى عدم التباسها بياء المتكلّم، ولكي تجري عليها وجوه الإعراب القواعدي.

وقد جرى عرف النحويين على أنّ الاسم المنسوب يرفع الوحدة اللغوية التي تقع بعده، على أنها فاعل، أو نائب فاعل، على اختلاف مذاهب.

هذه الياء، هي (حرف) على مذهب البصريين، لا محل لها من الإعراب. وبعض الكوفيين يرى أنّها اسم في موضع جر بالإضافة.

ولسنا في معرض مناقشة الآراء، قدر ما نؤشر بيان أحوال النسب، وهي:

1- **نسبة الوحدة اللغوية المنتهية بتاء التأنيث:**

مكة- مكيّ، فاطمة- فاطميّ، بصرة- بصري.

2- **نسبة الوحدة اللغوية المنتهية بألف مقصورة:**

أ- فتى- فتويٌّ، عصا- عصويٌّ.

---

(74) شرح المفصل (141/5).

ب- سعدى- سعدويٌّ، ملهى- ملهويٌّ- ملهيٌّ، حبلى- حبلويٌّ- حُبليٌّ

جـ- مصطفى- مُصْطَفِيٌّ، مستدعى- مُسْتَدْعِيٌّ.

الياء المشددة- لاحقة في آخر الكلمة- ثابتة البنية، ولكنها قد تتسبب في جريانٍ تصريفي يبتعد عن الأصل. هذه الياء المشددة عند بنائها صوتياً (yy) تتحول إلى (yn) أي (س س)، وهذا اللون من المقاطع لا يتوفر في العربية، ولا تنهض عليه أبنيتها التركيبية.

والواقع التركيبي يفرض على (س س) أن يتآلفا مع ما يجاورهما من أصوات، وفي هذه الحالة، تتشكل بنية مقطعية جديدة. هذه البنية هي عبارة عن الصائت القصير (حركة الإعراب) مع الياء المشددة: (iyy) .

بَصَرة ← بَصْرِيٌّ

= س ع س + س ع س + س ع س

وهذه الكسرة لازمة صوتية بغية المجانسة مع صوت الياء.

تجري التحركات الصوتية في شواهد الطائفة/أ على وفق التالي:

عَصا + يّ ← cA + Ṣaa + i + yy + un

← س ع + س ع ع + ع + س س + ع س

وهذا التركيب مضطرب صوتياً ومقطعياً، ولا بد من تصحيح مساره التركيبي، لأنّ الألف هي صائت طويل متّسع أمامي، ومع الكسرة لا يتآلف، وكان لا بدّ من تحويله إلى صورة قريبة من ميدان الكسر، وهي (الواو) الصائت الأمامي الطويل الضيّق، وهو حيّز الكسرة:

عصو + ِ + يٌّ ⟸ $cA + \d{S}a + W + i + yy + un$

⟸ س ع + س ع + س ع + س س + ع س

ثم يأتي التقريب الآخر -بتحوّل (الواو) إلى مدرج (الياء)، لأنها من جنس (الكسرة):

عَصِيْ + ـَـ + يٌّ ⟸ $Ca + Si + yy + un$

3- نسبة الوحدة اللغويّة المنتهية بياء:

أ- شجي- شجوِيٌّ، صدي- صدوِيٌّ

ب- قاضي- قاضَوِيٌّ، غازي- غازَوِيٌّ

جـ- مُهتدي- مُهتدِيٌّ، مُعتدي- مُعتدِيٌّ

د- كرسيٌّ- كرسيٌّ، شافعيّ- شافعيٌّ

هـ- عَليٌّ- عَلَوِيٌّ، غنيٌّ- غَنَوِيٌّ، هنيّة- هَنَوِيٌّ، نبيّ- نَبوِيٌّ، رَضِيٌّ- رَضَوِيٌّ.

و- طَيّ- طَوَوِيٌّ، لَيٌّ- لَوَوِيٌّ، حيٌّ- حَيَوِيٌّ، كيَّة- كوَوِيٌّ، حيَّة- حَيَوِيٌّ.

ز- ظَبّيّ- ظَبِيٌّ، رَمْيّ- رَمِيٌّ، جَرْيٌ- جَرْبِيٌّ، نَهْيٌ- نَهْيِيٌّ، ظَبْيَةٌ- ظَبوِيٌّ، رَمْيَةٌ- رَمَوِيٌّ، آية- آيِيٌّ، راية- رايِيٌّ، بداية- بدائِيٌّ، نِهاية- نِهائِيٌّ.

تتحرك هذه الشواهد صوتياً، حين البناء على هيئة النسب، على وفق ما عرض مع الاسم المقصور.

ولا بأس أن نتناول بعضها:

قاضيُ ⟵ قاضِيِيٌّ ⟵ Qaa + dh + i + y + u + yy + un

⟸ س ع ع + س ع + س ع + س س + ع س

⟸ س ع ع + س ع + س ع س + س ع س

ومع هذه الصورة يتوالى مقطعان متوسطان مغلقان في نهاية الوحدة المنسوبة، وهذا لا ضير فيه، لكنّ تأليفهما الصوتي جاء من متوالية غير متجانسة صوتياً:

[y + u] +[y + y] +[N]

وبما أنّ المقطع الثاني يتألف من صامت + صائت الكسر، الذي يقع في حيّز الواو الضيّقة في المقياس المعياري، فإنه يتحول إلى:

Qaa + dhi + Wiy + yun

وهكذا يجري الحال مع الشواهد الأخرى مع تغيّر في جريان الصوائت القصيرة والطويلة.

4- نسبة الوحدة اللغوية المنتهية بواو

واوٌ- واويٌّ، نَحو- نحويٌّ، تَرْقُوَةٌ- تَرْقُويٌّ، قَلَنْسُوَةٌ- قَلَنْسِيٌّ.

وفي قلنسوة نلاحظ أن النسبة حذفت الواو والتاء المدوّرة، وجرى البناء على وفق الآتي:

قَلَنْسُوِيٌّ ⟸ Qa + lan + su + wa + yyun

⟸ س ع + س ع س + س ع + س ع + س ع س

والبناء، من حيث هيئة المقاطع، يجري متزناً، ولكنّ عِلّة الأمر تقع على أصوات البناء، إذ أنّها غير متجانسة صوتياً ولعلّ صائت الكسر على (الواو) يحمل بعضاً من أسباب عدم التجانس.

فتوالي: ضمة + ضمة + كسرة يشكّل علّة الثقل من جراء تكرارها، ومن ناحية أخرى أنها ليست من فصيلة واحدة، فالضمة صائت خلفي، والكسرة أمامي، متبوع بصوت أمامي (الياء) وكان لا بدّ من تحولها إلى جنسه. ولما تحوّل تبعته تغيّرات صوتية أخرى:

u ⟹ i

wi ⟹ ii

ثم لا بدّ من حذف هذا الصوت (wi) كراهية أن تتوالى ثلاث يائات في صورة واحدة متوالية، فصارت الهيئة مقطعياً: س ع + س ع س+ س ع س + س ع س وهي: مقطع قصير متلوٌّ بثلاثة مقاطع متوسطة مغلقة.

5 – الوحدة اللغوية على وزن فَعيل– فُعَيل.

عَقيل– عَقيليٌّ، جرير– جَريريٌّ– نُمير– نُميريٌّ– صُهيب– صُهيبيٌّ، قريش– قرشيٌّ، ثقيف– ثقفيٌّ، سُليم– سُلَميٌّ

6– الوحدة اللغوية على وزن فَعيلة– فُعَيلة:

ربيعة– رَبَعيٌّ، قبيلة– قَبَليٌّ، مُزينة– مُزَنيٌّ، قُتَيبة– قُتَبيٌّ، جهينه– جُهَنِيٌّ.

7 – **الوحدة اللغويّة الثلاثية المكسورة الصوت الثاني:**

نَمِرٌ– نَمَرِيٌّ، مَلِكٌ– مَلَكِيٌّ، دُئِل– دُؤَلِيٌّ، تَغلِبُ– تغلَبِيٌّ، مَشْرِق– مَشْرَقِيٌّ، مَصْرِف– مَصْرَفِيٌّ.

8 – **الوحدة اللغوية على وزن [فاعل– فعّال– فَعِل]**

– لابن، تامر، نابل، دارع، فارس، سائف.

– لبّان، تمّار، نبّال، سيّاف، جمّال، صرّاف.

– طَعِمٌ، لَبِسٌ، عمِلٌ.

وكلّ من هذه الصيغ بطبيعة تكوينها الصوتي الذي يفضي إلى الدلالة على مصاحبة الفعل لصاحبه، أو مزاولته لحرفة، أو التكثير، فإنّها تغني عن ياء النسب.

9 – **الوحدة اللغوية المجموعة**

أقباط– قبطيٌّ، بساتين– بستانيٌّ، مساجد– مسجديٌّ، أبل– ابليٌّ، أعراب– أعرابيّ، أمر– أواميٌّ.

10 – **الوحدة اللغوية المركّبة:**

بعلبك– بعليّ، رام الله– راميٌّ، جاد المولى– جاديّ، صلاح الدين– صلاحيّ، سيف الدولة– سيفيٌّ، أبو بكر– بكري، أم كلثوم– كلثوميٌّ.

11– **الوحدة اللغوية المحذوفة اللام:**

يد– يديٌّ، دم– دميٌّ، أخ– أخت– أخَوِيٌّ، ابن– بنت– بَنَوِيٌّ.

12 – الوحدة اللغوية الثنائية التكوين الصوتي

كَمْ– كمِيٌّ– كَمِّيٌّ، لو– لَوِّيٌّ.

13– الوحدة اللغويّة المحذوفة الفاء– صحيحة اللام

عدة– عديٌّ، صفة– صفيٌّ.

14– الوحدة اللغويّة المحذوفة الفاء– معتلة اللام

شِيَةٌ– وَشَوِيٌّ، دِيَةٌ– وَدَوِيٌّ.

15– الوحدة اللغوية الممدودة:

صحراء– صحراويٌّ، بيضاء– بيضاويٌّ، إنشاء– إنشائيٌّ، ابتداء– إبتدائيٌّ، كساء– كسائيٌّ– كساوِيٌّ، رداء– ردائيٌّ– رداويٌّ.

هذا ما وجب بيانه وله الحمد والثناء.

موارد الدراسة

1- العربية

1- **أبنية الصرفي في كتاب سيبويه**، د. خديجة الحديثي، بغداد 1965.

2- **أبو زيد الأنصاري وكتابة الهمز**، تحقيق د. خليل العطية، البصرة، 1990.

3- **الإتقان في علوم القرآن**، جلال الدين السيوطي، القاهرة، 1935.

4- **الأحكام في أصول الأحكام**، الآمدي، تحقيق ابراهيم العجوز، بيروت، 1985.

5- **الأحكام في أصول الأحكام**، ابن حزم الأندلسي، القاهرة.

6- **ارتشاف الضرب من لسان العرب**، أبو حيان الأندلسي، تحقيق مصطفى النمّاس، القاهرة،1984.

7- **أسباب حدوث الحروف**، ابن سينا، القاهرة 1352هـ ، وطبعة دمشق تحقيق محمد إحسان ويحيى علم، 1983.

8- **أسرار العربية**، أبو البركات الأنباري، تحقيق د. فخر صالح قداره، بيروت، 1995، وطبعة ليون ١٨٨٦م.

9- **أسس علم اللغة**، ماريو باي، ترجمة أحمد مختار عمر، القاهرة، 1983، وطرابلس 1973.

10- **الأصوات اللغوية**، د. عبد القادر عبد الجليل، عمّان، 1998.

11- **الأصول في النحو ، ابن السراج،** تحقيق، د. عبد الحسين الفتلي، النجف 1973.

12- **الاقتراح في علم أصول النحو،** جلال الدين السيوطي، طبعة حيدر آباد الدكن، 1310هـ .

13- **الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين،** كمال الدين أبو البركات الأنباري، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة 1961.

14- **أوضح المسالك إلى ألفية أبن مالك،** تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت ط 5.

15- **بغية الوعاة، جلال الدين السيوطي،** تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة، 1964. والقاهرة تحقيق (الصعيدي)

16- **البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث،** أبو البركات الأنباري، تحقيق، د. رمضان عبد التواب، القاهرة، 1970.

17- **البنية اللغوية في اللهجة الباهلية،** د. عبد القادر عبد الجليل، عمان، 1997.

18- **التذكير والتأنيث،** أبو حاتم السجستاني، تحقيق، د. إبراهيم السامرائي – فصلة مجلة رسالة الإسلام (8,7).

19– **تراث الإنسانية،** دار الفكر، عن المؤسسة المصرية العامة، القاهرة.

20- **تصريف الأسماء والأفعال،** د. فخر الدين قباوة، بيروت، 1988.

21- **التطور النحوي للغة العربية**، براجستراسر، القاهرة، 1927.

22- **التطور اللغوي**، د. رمضان عبد التواب، القاهرة، 1995.

23-**التنوعات اللغوية**، د. عبد القادر عبد الجليل، عمّان، 1997.

24- **تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي**، د. أسعد علي، لبنان، 1968.

25- **الجمل في النحو**، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق، د. فخر الدين قباوة، بيروت، 1985.

26- **حاشية الصبّان**، نشر دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

27-**حاشية الملوي على المكودي على الألفية**، المطبعة الخيرية، ط١، 1305هـ.

28- **الخصائص**، **ابن جنّي**، تحقيق، محمد علي النجار، بيروت، 1983، بغداد، 1990.

29- **دراسة الصوت اللغوي**، د. أحمد مختار عمر، القاهرة، 1991.

30- **دراسة اللهجات العربية القديمة**، د. داود سلوم، مكتبة النهضة، 1986.

31- **دراسات في فقه اللغة**، د. صبحي الصالح، بيروت، ط2.

32- **دروس في علم أصوات العربية**، جان كانتينو، ترجمة، صالح القرمادي، تونس، 1966.

33- **الدلالة الصوتية والصرفية في لهجة الإقليم الشمالي**، د. عبد القادر عبد الجليل، عمّان، 1997.

34– **ديوان ذي الرمة**، طبعة كمبردج، 1919.

35- **الساق على الساق فيما هو الفارياق**، أحمد فارس الشدياق، مصر.

36- **سر صناعة الإعراب**، ابن جنّي، تحقيق، د. حسن هنداوي، دمشق، 1933، والقاهرة 1954 تحقيق السقا وآخرون.

37- **شذا العرف في فن الصرف**، أحمد الحملاوي، بيروت، لبنان.

38- **شرح الأشموني**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، ط1.

39- **شرح شافية ابن الحاجب**، رضي الدين الاستربادي، مصر، 1356هـ .

40- **شرح ابن عقيل**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت.

41- **شرح قطر الندى وبل الصدى**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار البحوث الكويتية، 1976.

42- **شرح المفصّل**، ابن يعيش، مصر، 1949.

43- **شواهد التوضيح لمشكلات الجامع الصحيح**، ابن مالك النحوي، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، 1957.

44- **طبقات القرّاء**، ابن الجزري.

45- **علم اللغة**، د. محمود السعران، القاهرة، 1962.

46- **عنوان الظرف في علم الصرف**، هارون عبد الرزاق، الكويت.

47- **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ابن حزم الأندلسي، مصر 1317–1321 هـ .

48- **فقه اللغات السامية**، كارل بروكلمان، ترجمة، د. رمضان عبد التواب، الرياض، 1977.

49- **فقه اللغة وخصائص العربية**، محمد المبارك، دار الكفر، ط 3، 1968 ط7 ، 1981

50- **الفهرست**، ابن النديم، بيروت، 1964

51- **في فلسفة اللغة**، كمال يوسف الحاج، بيروت، 1967

52- **القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث**، د. عبد الصبور شاهين، القاهرة.

53- **قواعد النقد الأدبي**، لاسل ابركرومبي، ترجمة، محمد عوض محمد، 1954

54- **الكتاب**، سيبويه، تحقيق، عبد السلام هارون، بيروت 1967

55- **كشف الظنون**، حاجي خليفة، طهران، 1378هـ

56- **لطائف الإشارات لفنون القراءات**، شهاب الدين القسطلاني، تحقيق، عبد الصبور شاهين وآخرون، القاهرة، 1972

57- **لغات البشر**، ماريو باي، ترجمة، د. صلاح العربي، القاهرة، 1970

58- **اللغة**، ج. فندريس، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصّاص، مطبعة لجنة البيان العربي، 1950

59- **اللغة بين ثنائية التوقيف والمواضعة**، د. عبد القادر عبد الجليل، عمّان، 1997

60- **اللغة العربية ومعناها مبناها**، د. تمام حسان، القاهرة، 1973

61- **اللغة بين المعيارية والوصفية**، د. تمام حسان، الدار البيضاء.

62- **اللغة وعلم النفس**، د. موفق الحمداني، الموصل، 1982

63- **لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة**، د. غالب فاضل المطلبي، بغداد، 1978

64- **المثلث**، ابن السيد البطليوسي، تحقيق، صلاح مهدي علي، بغداد، 1981

65- **المحتسب في تبيين شواذ القراءات**، أبو الفتح ابن جنّي، تحقيق، علي النجدي ناصف وآخرون، القاهرة 1386هـ

66-**مختصر المذكر والمؤنث**، المفضل بن سلمة، تحقيق، د. رمضان عبد التواب، 1972

67- **المخصص**، ابن سيده، بيروت

68- **المدارس المعجمية**، د. عبد القادر عبد الجليل، عمّان، 1997 .

69-**المدخل إلى علم اللغة**، د. رمضان عبد التواب، القاهرة، 1982

70- **المذكر والمؤنث**، أبو موسى الحامض، تحقيق، د. رمضان عبد التواب، فصلة من حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس، العدد العاشر، 1967

71- **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم وآخرون، القاهرة

72- **المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث**، د. محمد أحمد أبو الفرج، دار النهضة العربية، ١٩٦٦

73 - **معجم الأدباء**، ياقوت الحموي، طبعة دار المأمون

74- **معجم العين**، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د. مهدي المخزومي وآخرون، بغداد، 1980

75- **المعجم الوسيط**، ابراهيم مصطفى وآخرون.

76- **مفتاح السعادة ومصباح الزيادة**، طاش كبري زاده، طبعة حيدر آباد الدكن.

77- **مفتاح العلوم**، أبو يعقوب السكاكي، القاهرة، 1937

78- **المفصّل في علم العربية**، الزمخشري، بيروت، ط2

79- **مفهوم المعنى**، د. عزمي إسلام– حوليات كلية الآداب، ط6 ، جامعة الكويت، 31/ 1985

80- **المقتضب**، المبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة، القاهرة، 1963 وطبعة بيروت.

81- **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق، د. علي عبد الواحد وافي، القاهرة، 1967 وطبعة 1327هـ

82-**المقصور والممدود**، أبو البركات الأنباري، تحقيق، د. عطية عامر، ستكهولم– أبسالا.

83- **الممتع في التصريف**، ابن عصفور الإشبيلي، تحقيق، د. فخر الدين قباوة، بيروت.

84- **مناهج البحث في اللغة**، د. تمام حسّان، القاهرة، 1955، الدار البيضاء، 1979، دار الثقافة، 1974

85- **المنصف في شرح كتاب التصريف**، لأبي عثمان المازني، تحقيق، ابراهيم مصطفى وآخرون، القاهرة، 1954

86 - **النحو الوافي**، عباس حسن، القاهرة، دار المعارف

87- **نشأة النحو**، محمد الطنطاوي، 1969

88- **النكت الحسان في شرح غاية الإحسان**، أبو حيان الأندلسي، تحقيق، د. عبد الحسين الفتلي، بغداد، 1985

89- **همع الهوامع شرح جمع الجوامع**، جلال الدين السيوطي، بيروت.

90- **هندسة المقاطع الصوتية وموسيقى الشعر العربي**، د. عبد القادر عبد الجليل، عمّان، 1998

91- **وفيات الأعيان**، ابن خلكان، تحقيق، د. إحسان عباس، بيروت 1968

الدوريات

92-**محاولة ألسنية في الإعلال**، أحمد الحمو، مجلة عالم الفكر، 1989/3

93- **المصطلح الألسني العربي وضبط المنهجية**، د. أحمد مختار عمر، مجلة عالم الفكر، 1989/3

2- غير العربية

)4- Bolinger (Dwight)

Aspect of language, U.S.A, 1968

)5- Bronsohan (L.F.) and Malmberg, (B.)

Introduction to phonetics, Cambridge, 1970

)6- Halliday

system and function in language

)7- Jesperson (ottoo)

language, G.Allen and Dwin, Ltd., london, 1947

)8- Malmberg (Bertil)

Phonetics, Newyork, 1963

)9- Martinet (Andre)

Elements of general linguistics, london, 1964

.00- Robins, (R.H)

General linguistic, G.B., 1966, London ,1980 .

101- Sapir (E.)

Language, Harcourt, Brace and world, New York, 1921.

102- Stetson (R.H.)

Bases of phonology, Ohio, 1945.

103- Sweet (H.)

New English grammar

104- Trask (R.L.)

Language Change, London, Newyork, 1994.